

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

صَلَّى اللَّهُ الْعَظِيمِ

قال العماد الاصفهاني:

"إني مرأيت أنه لا يكذب أحد أكتاباً في يومه..."

الأقال في غده: لو غير هذا، لكان أحسن، ولو زيد

هذا لكان يستحسن... ولو قدم هذا لكان أفضل،

ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أجل العبر، وهو

دليل على استيلاء النقص على جملة البشر."

الإهداء

إلى من لراحتي سهرت، ولسعادي سعت، ولهذا اليوم اشتاقت... إلى الرجاء في
اليأس، والقوة في الضعف، والتعزية في الحزن، إلى أعز ما تحدثه الشفاه البشرية.
إليك أمي الحبيبة...

إلى رمز الصلابة والكفاح، إلى من وفر لي جو الارتياح وكان سبب تنوير هذا
التحاح

إليك أبي الحبيب...

إلى اخوتي في ديار الغربة وحيد ونصرو

إليكم إخوتي الأعزاء

إلى زميلة الدراسة، ورفيقة العمر

إليك نجيدة

إلى كل هؤلاء...

أهدي باكورة عطائي

صبح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فإنّ البحث اللغوي يتناول أربعة مستويات هي المستوى الصوّتي والصّرفي والنحوي والدلالي، ويعدّ المستوى الصوّتي أساسه وشرائينه. فإذا أردنا معرفة دلالة أي كلمة فلا يفهم معناها الدلالي إلاّ في السياق أي اعتماداً على المستوى النحوي. وهذا الأخير يستنجد بدوره بحقل آخر هو حقل الدرس الصّرفي، فتوضع في الميزان الصّرفي لتصنيفها ضمن باب الأسماء والأفعال، وهذا المستوى بدوره يستدعي دراسة الكلمة دراسة صوتية وذلك قصد معرفة الكلمة لأنها تخضع لتطوّرات مستمرة.

إنّ المادة الأساسية لعلم الأصوات اللغوية هي الصّوت الإنساني الذي يشكّل جزئيات اللّغة ومفرداتها، هذا العلم الذي يهتم بدراسة هذه الأصوات دراسة نظرية وعملية، اعتمدت في وهلتها الأولى الملاحظة الذاتيّة، والتقييد المباشر، ممتزجة مع العلوم الأخرى قصد الإفادة من معطياتها في ميادينها التحليلية، ثمّ جاءت المخابر والمعامل الصّوتية التي خطت بهذه الدّراسات خطوات متقدّمة في الدّرس العلمي.

كما اتّصل الدّرس الصّوتي عند أمة العرب، بالقرآن الكريم، اتّصلاً وثيقاً ومباشراً، لأنّه مناط الأحكام ودستور الأمة، ولا يمكن أن يسجّل لها التقدّم والرّقي في جوانبها المتعدّدة إلاّ بفهم نصوصه، والوقوف على أحكام نظمه، وسير أغوارها الدلالية والأسلوبية.

ومن المعلوم أنّ أصوات الكلام تحيط بنا من كلّ جانب، فالإنسان حينما يتّصل بغيره، وحينما يغني أو ينظم شعراً يستعين بالأصوات. فالصّوت إذن ضروري في الحياة كالهواء والماء والطّعام، وضرورته تأتي من كونه يمثل الجانب

العلمي للغة. وقد أدرك اللغويون العرب قيمة الصوت فاستعانوا به على قضاء حاجاتهم، ذلك أن آراءهم الكثيرة في إصلاح العروض والتحو والصرف والمعاجم، وفي تدوين القراءات القرآنية قد بنوها على الدراسة الصوتية، وبذلك شكّلت هذه الدراسة منطق اهتمام الكثير من اللغويين فأفرز هذا الاهتمام ظهور الكثير من البحوث اللغوية والصوتية على وجه الخصوص.

وإذا كان الاختلاف ظاهراً بين القدماء والمحدثين من حيث تقديم هذا الجانب أو تأخيره في مؤلفاتهم، فإنّ هذا لا يلغي الجهود الجبّارة التي بذلها أسلافنا في إثراء الدرس الصوتي، إذ شكّل انتباه اللغويين إلى قيمة الصوت منطلقاً أساسياً في تحليل البنية اللغوية، فكانت لهم بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنّها جليّة القدر بالنسبة إلى عصورهم وقلة وسائلهم.

وقد اتّسمت هذه الدراسة الصوتية بالمباشرة والملاحظة الذاتية، القائمة على جدارة، ومكانة الفكر العربي والإسلامي.

وإنّ غيرتي على اللغة العربية وحبّي لها، وإحساسي بجماليتها والحاجة المستمرة لبحثها ومعرفة مكوناتها، وأمام النقص الذي تشكو منه المكتبة العربية في البحوث التي تخصّ هذا الحقل، ونظراً إلى قلّة الدراسات العلمية الجادة للصوتيات الوظيفية، وقع اختياري على هذا البحث موضوعاً لهذه الرسالة. ومن دوافعي الرئيسية لاختيار هذا الموضوع ولعي الشّديد بعلم الصوتيات، فقد وقر في ذهني أن أحسن سبيل لإثراء معارف الصوتية وإشباع رغبتني لن يكون إلاّ باختيار موضوع في هذا المجال.

ومن تمّ فقد وسمت بحثي بـ: (البناء الصوتي في سورة الكهف دراسة صوتية تشكيكية)، كما أنّ اختياره جاء بعد قراءة طويلة ومستفيضة للظواهر الصوتية التي تزخر بها العربية، خاصّة من الناحية التشكيكية. إضافةً إلى نضج الدرس الصوتي

الموروث وارتقائه إلى مستوى يدعو إلى إعادة البحث، للتقصي الشّدِيد للجهود الصوتية، التي بذلها العلماء قديماً، وما زالت تستقطب اهتمام المحدثين وأنظارهم.

وقد آثرت القرآن الكريم ميداناً للتطبيق، لمعرفة مدى مطابقتها لقواعد علم الأصوات وقوانينه، بصفحة النصّ الفصيح. كما أنه لا يخفى على الجميع أنّ الإعجاز الصوتي الذي يرتقي إليه القرآن الكريم، والمتمثل في التلاوم بين الأصوات، سواءً كان ذلك على مستوى اللفظة المفردة أو على مستوى النظم اللغوي، فلا نجد في قراءته انتقالاً مفاجئاً بين أصوات شديدة التقارب في المخرج بحيث يؤدي إلى تنافر يعوق تدفق التلاوة وجمال الانسجام الموسيقي بين الأصوات، كما نجده في الشعر والنظم، وبذلك يكون مجالاً حسناً لمعرفة البنية الصوتية المثلى. أما اختياري لسورة الكهف فليس تفضلاً بين السور القرآنية الجليلة، وإنما لاحتوائها الكثير من الظواهر التركيبية المتعددة.

ومن الأهداف المرجوة من هذا البحث، وصف نظام اللغة العربية الصوتية باعتماد نصّ مقدّس، لتبيين أسرارها، ومظاهر استعمالها، ومحاولة تحليل البنية اللغوية من مستوى داخلي، وذلك بالوقوف على الظواهر الصوتية التي تتحكم في توجيه الصوت اللغوي، وفق ما تمليه أساسيات التشكيل الصوتي.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أقسم بحثي على مدخل وثلاثة فصول، فخصّصت المدخل للجهود الصوتية عند العرب: القدامى والمحدثين، الذين خطوا بالدراسة الصوتية خطوات واسعة و ضربوا فيها بسهم وافر، شهد بذلك نصفة الدارسين الغربيين، مع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم إلا لاحقاً، فإنه لم يغب عن مصنفاتهم إطلاقاً.

ومحاولة متي لتسجيل ما للعرب من إفادة وجهد في الإحاطة بأبعاد هذا الحقل، ولعلّ من واجبنا نحن الأخلاف أن ننفذ الغبار عن دراسات الأجداد

ليطلع عليها المهتمون، وليعلم الكل أن ما توصلوا إليه يضاهاى ما توصل إليه العلم الغربي بآلاته المبتكرة ومناهجه.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه الدراسة الصوتية للسورة، دراسة الأصوات العربية: صوامتها وصوائتها، من ناحية المخارج والصفات التي جاءت عليها، ومختلف الحالات التي ظهرت فيها، كما تعرّضت أيضاً لمبحث مهم رأيت أنه يخدم البحث، وهو طريقة وكيفية تألف أصوات العربية في البناء الصوتي، وعرضت فيه لآراء اللغويين والبلاغيين بصفته نقطة اشتراك بينهما. فقد أدت كثرة الملاحظة والدراسة لأصول الكلمات إلى تنبيه اللغويين إلى أن نسيج الكلمة العربية يقوم على قواعد معينة، ويعتمد على نظرية الجذور، وأن الكلمة في العربية تعتمد على جذور الثلاثي، وأن التأليف بين هذه الأصول الثلاثية يعتمد، إلى حد كبير، على الدراسة الصوتية. وأثريت الفصل بإحصاء دقيق لأصوات السورة، لمعرفة مدى مطابقة النص لقواعد التألف والتجاور، والتعرّف على الأصوات الأكثر شيوعاً وانتشاراً في العربية.

ونظراً لغزارة المادة العلمية فقد جاء هذا الفصل طويلاً مع كثرة التّهميش تماشياً مع طبيعة البحث ومقتضيات الأمانة العلمية.

أما الفصل الثاني فقد خصّصته لدراسة النسيج المقطعي لآيات السورة، والظواهر فوق التركيبية. حاولت من خلاله تعريف المقطع، وذكر أنواعه، مدعمةً الفصل بدراسة تطبيقية إحصائية لعدد تواتر المقاطع العربية، ونسبة كل واحدٍ مع الشرح والتحليل، وذيلته بدراسة النبر والتنغيم لما لهما من صلة مباشرة بالمقطع. فقد عرّفت النبر ومعالجة القدماء له، وقواعده في العربية، وعرضت للتنغيم بالتعريف وذكر أنواعه، مع النقد والتقويم والتطبيق على السورة، لذكر الدلالات المختلفة التي يؤدّيها التنغيم.

وأما الفصل الثالث فقد وضعته للدراسة التشكيلية للسّورة، إذ تعرّضت للظواهر الصّوتية التي اعترت الأصوات داخل البناء والتشكيل، وعند أداء الوظيفة الصّوتية من مماثلة ومخالفة وغيرها.

وحتى تكون المنهجية سليمة اخترت قراءةً واحدةً، مستعينةً في ذلك بقرص إلكتروني، لتحليل العيّنة، والاستماع ورؤية تلك الظواهر على الشاشة. وتمثلت القراءة القرآنية في قراءة نافع برواية ورش، طريقة الأزرق.

وحرّرت مادّي اللّغوية متّبعة في ذلك المنهج الوصفي الذي أملتّه طبيعة الموضوع، من حيث أنّه يهدف إلى الكشف عن خصوصيات البناء الصّوتي في القرآن، وعليه فإنّه يقتضي اتّباع منهج دقيق في بناء حلقاته المتجانسة. كما أنّني اتّبع المنهج الإحصائي التحليلي في إحصاء ما ورد من الأصوات المختلفة التي شاركت في بناء تلك المدوّنة، مع الاستعانة أيضاً بالمنهج التاريخي الذي مكّني من التّعرف على علماء العربية وجهودهم وتطور هذا الدّرس في مباحثهم.

(وقد تمّياً لهذا العمل من المصادر والمراجع ما لم يتيسّر لغيره، حيث اعتمدت في بناء البحث على أبحاث الكتب ومصادر اللّغة التي تنوّعت بين كتب النحو واللّغة والقراءة. نحو الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرّد والعين للخليل، والتّهذيب للأزهري، والخصائص وسرّ صناعة الإعراب لابن جني، إضافةً لكتب القراءات المختلفة مثل التيسير في القراءات السّبع للدّاني، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدّمياطي.

أما المراجع الحديثة، فتنوّعت بين المراجع المتخصّصة في علم الأصوات نحو الأصوات لكامل بشر والأصوات اللّغوية لإبراهيم أنيس، ودراسة الصّوت اللّغوي لأحمد مختار عمر، ومنها الكتب الجامعة لمختلف مستويات الدّرس اللّغوي،

كمنهج البحث لتمام حسان، وكتب اللغة للمستشرقين، مثل: اللغة لفندريس،
والعربية الفصحى لهنري فليش، والتطور النحوي لبرجستراسر.

بالإضافة إلى المؤلفات الأجنبية والتي رأيت ضرورة العودة إليها، وعلى رأسها
كتاب تروبتسكوي "Les principes de phonologie" وكتاب دانيال جونر "An out
line of english phonetics".

كما أفدت من المقالات المنشورة في المجلات والدوريات، وبعض الرسائل
الجامعية المتواجدة في مكتبة الكلية والتي لها صلة بالموضوع. هذا فضلا عما تزودنا
به شبكة الأترنيت من المواضيع المختلفة.

ولم أنتظر يوما من مسيرة بحثي أن تكون بسيطة ميسرة، لعلمي سلفا بما
سيلحقني من عراقيل. وفعلا لم يكن الطريق معبدا سهلا، بل اجتمعت أمامي
صعوبات جمة أثناء إنجاز البحث ولعل أهمها ندرة المصادر والمراجع، وإن وجدت
فإن الأمر لا يخلو من صعوبة الحصول عليها، وفقدان البعض منها التي كنت آمل
الإطلاع عليها، مثل: "الموسيقى الكبير" للفارابي، و"هندسة المقاطع العربية" لعبد
القادر عبد الجليل.

ولم يهنأ لي بال لفقدانها، فسافرت بحثا عنها وعن غيرها إلى جامعة وهران
وجامعة الجزائر العاصمة. وكل هذا استهلك مني الجهد العضلي والفكري الشيء
الكثير. وعلى الرغم من هذا فإن هذه المشاكل، التي قد يتعرض لها أي باحث، لم
تنقص من مردودية البحث بل على العكس زادتني إصرارا وتشبثا بالعمل الجاد
والإتيان بالأحسن.

وبعد ... فإني لا أدعي سبق في هذا المجال وإنما أزعم أنه كان عملا جديدا
في مجال الصوتيات الوظيفية والدراسات التشكيلية، ولبنة تضم الجليل الذي ما لبث

يتقدّم بالدراسات اللسانية عامّة والدراسات الصوتية خاصّة، كي تواكب غيرها من الدراسات الغربية المتطوّرة.

فهذا ما استطعت الوصول إليه في دراستي، فإن كنت قد وفّيت حقّه ورفعت درجته، فذلك ما أهدف إليه، وأجهدت نفسي لأجله، وإن يكن غير ذلك فعزائي أنني لم أدخر جهداً وطاقاً في سبيله، وحسبي أنني نشدت الكمال وما الكمال إلاّ لله سبحانه.

وإن يكن بدّ من توجيه كلمة شكر فلا يفوتني أن أتقدّم بشكري الجزيل لأستاذي الجليلين: د. عبد الجليل مرتاض، ود. عبد الجليل مصطفىاوي، اللذان سَهَرَا معي على إنجاز هذا البحث، وبدلاً جهداً كبيراً ليخرجاه إلى النور على أكمل وجه. كما أتقدّم بفائق التقدير والاحترام إلى كلّ أساتذتي اللذين كان لي بهم شرف الاعتزاز بانتسابي تلميذة لهم، فلهم منّي جزيل الشكر.

وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد وأتمنى أن يعود عملي هذا بالفائدة على قارئه، وحسبي من المطلّعين على هذا البحث أن يلتمسوا لي العذر الذي يرفع عني حرج التّقصير أو النّقص، فما أدّخرت جهداً إلاّ بذلته في إعداده وإخراجه على أحسن صورة.

والحمد لله تعالى.

تلمسان في:

يوم الأربعاء 19 ربيع الثاني 1422هـ

الموافق لـ: 11 جويلية 2001م

صباح دالي.

المدخل:

ماهية الدرس الصوتي عند

العرب

لقد بذل العرب جهوداً جبّارةً في ميدان الدّراسات اللّغوية العامّة، والدّراسات الصّوتية بشكلٍ خاصّ، إذ ما من مفكّرٍ عربيٍّ إلّا ووقف عند هذا الحقل اللّساني. ومن هنا رأينا أن نتقصّى هذه الجهود بالدّراسة التّتبّع عند العلماء العرب آخذين بعين الاعتبار مبدأ الشّهرة لدى كلّ عالمٍ ومفكّرٍ فيه.

فعلم الأصوات (Phonetique) علمٌ جديدٌ قديمٌ، جديدٌ لأنّه واحدٌ من فروع علم اللّسانيات (Linguistique) الذي تأسّس في مطلع هذا القرن على يد مجموعةٍ من اللّغويين، من أبرزهم العالم السّويسري فردينان دوسوسير (1857-1913 م) (1).

وقدّم لأنّه واحدٌ من العلوم التي تقوم عليها كلّ لغةٍ. فاللّغة أصواتٌ تتألّف منها كلمات، تنظّم بدورها في جمل فتؤدّي معانٍ شتى، أو هي كما قال ابن جني (ت392هـ) في باب القول على اللّغة: "...أصواتٌ يعبر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم" (2)، حيث ركّز على الجانب الصّوتي للّغة.

والصّوت كما قال الجاحظ (ت255هـ) هو: "آلة اللّفظ، والجوهر الذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركة اللّسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا مثوراً إلّا بظهور الصّوت. ولا تكون الحروف كلاماً إلّا بالتّقطيع والتّأليف" (3). وفي القول إشارةً بليغةً إلى انتظام الحروف وتألّفها لبناء الكلمات.

ولمّا كان الأمر كذلك فقد عني أصحاب كلّ لغةٍ بأصواتها، ولم يشدّ العرب عن ذلك، فكان الدّرس الصّوتي عندهم من أصل الجوانب التي درسوا فيها مستويات اللّغة، وأقربها إلى المنهج العلمي، لأنّ هذا الدّرس بني على أسبابٍ موضوعيّةٍ، من بينها اهتمام العرب - منذ ظهور الدّين الإسلامي - بالحفاظ على لغةٍ

(1) ينظر مقدمة الترجمة العربية لكتاب: "محاضرات في الألسنية العامة"، تأليف فرديان دوسوسير، 3: ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر. المؤسسة الجزائرية للطباعة.

(2) الخصائص، أبو الفتح ابن جني: 1/33، تحقيق: محمد علي النجار. دار الهدى للطباعة والنشر. بيروت، ط2.

(3) البيان والتبيين. أبو عثمان الجاحظ: 1/79، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985.

القرآن الكريم، خوف التحريف والتغيير. فضبط بالنقطة لتسلم قراءته من كل زللٍ. وكانت لهم بذلك بحوث هامة في الأصوات اللغوية، شهد بذلك نصفة الدارسين من الغربيين، من بينهم برجستراسر (Bergstrasser) الذي قال: "لم يسبق الغربيين في هذا العالم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند والعرب"⁽¹⁾. وقريب منه قول فريت (FRITH) الإنجليزي: "لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية والسانسكربتية."⁽²⁾

وقد أسهم علماء القراءات في إضافات صوتية تفصيلية أثناء وصفهم لتلاوة القرآن الكريم، حسب القراءات المختلفة، فسجّلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية⁽³⁾. وكيف لا يفعلون ذلك وهم يقرؤون كل يوم قوله تعالى: «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً»⁽⁴⁾، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها"⁽⁵⁾.

الجهود الصوتية عند العرب القدماء

وعلى الرغم من أن علم الأصوات لم يعرف بهذا المصطلح (الأصوات)، عند العرب، إلا في مرحلة متأخرة، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء الغريبة: نحوها وصرفها وبلاغتها وموسوعاتها الأديبة، وما ألفت في الطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد. ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخلها.

(1) التطور النحوي للغة العربية، للمستشرق برجستراسر: 11. أخرجه د. رمضان، مكتبة الخالجي بالقاهرة. مصر.

(2) التفكير الصوتي عند العرب، أحمد مختار عمر: 101، عالم الكتب، مصر، ط1، 1982.

(3) ينظر علم وظائف الأصوات، عصام نور الدين: 161، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1996م.

(4) سورة المزمل: 4.

(5) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: 349/5.

ويمكن أن نوزع الجهود الجبارة التي ساهمت في إثراء الدرس الصوتي عند

العرب ضمن ثلاث فئات:

- 1- فئة التّحاة واللّغويين والبلاغيين.
- 2- فئة الأدباء والحكماء والفلاسفة.
- 3- فئة القراء وعلماء التّجويد والمفسّرين.

1- الجهود الصوتية عند النّحاة و اللّغويين و البلاغيين :

تنسب المحاولة الأولى في الجهود الصوتية إلى أبي الأسود الدؤلي (ت 68 هـ)، فقد كان ممن يحرصون أشدّ الحرص على سلامة النصّ القرآني، ويتألم كما يتألم العلماء جميعاً عند سماع اللّحن في القراءة⁽¹⁾. ولذلك أمر كاتبه عند سماعه اللّحن عند ابنته، قائلاً: "إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف، فانقط نقطةً فوقه على أعلاه، وإن ضمنت فمي فانقط نقطةً بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النّقطة من تحت الحرف."⁽²⁾ وبذلك يكون أبو الأسود الدؤلي قد اكتشف، عن طريق ملاحظة حركة الشّفتين، الحركات الثلاث أو ما يسمّى بالصّوائت (الفتحة، الضمّة، الكسرة) في نظام العربيّة الصوتي.

ثمّ أتى من بعده الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، الذي عمّق الدّراسة الصوتية، من خلال تأليفه لأوّل معجم في العربيّة، وهو كتاب العين، الذي بني على أساس صوتيٍّ، وصدر بمقدّمة صوتيّة تعدّ أوّل دراسة صوتيّة منظمّة وصلت إلينا في تاريخ اللّغة العربيّة⁽³⁾. وقد بقيت أفكاره البكر-لاحقاً- منبعاً لكلّ الدّراسات

(1) الأصول-دراسة إبستمولوجية لأصول الفكر العربي اللغوي-، د. تمام حسان: 32، دار الثقافة-المغرب، ط1، 1981م.

(2) الفهرست، لابن النديم: 191، تحقيق: مصطفى الشوملي، الدار التونسية للنشر، تونس. وينظر: فصول في فقه اللغة: 114، رمضان عبد التواب: 191، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(3) ينظر: الحصيلة اللغوية، أحمد محمد المعنوق: 234، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت. 1417هـ/1996م. وينظر فقه اللغة، عبده الراجحي: 130، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

اللغوية، ونبراسا للعلماء من بعده.

والخليل الذي كان شغوفاً بالأصوات أدرك ذلك، فأسس له قاعدة خاصة بإنتاج الصوت ومخارجه وصفاته في كتاب العين. وتذكر له كتب كثيرة أخرى تنحو هذا النحو ككتاب "النغم" وكتاب "الإيقاع"⁽¹⁾.

واستطاع أيضاً انطلاقاً من تفكيره الصوتي وتذوقه للأصوات، واهتماماته الصوتية، التي مكنته من تعديد بحور الشعر، أن يضع علامات صوتية عدة، منها: الشدة والسكون وهمزة القطع وهمزة الوصل. ولم يكتف بدراسة الصوت معزولاً، بل درس وظيفته في اللغة العربية دراسة علمية دقيقة⁽²⁾.

فالخليل الذي عاش في جو الأصوات والأنغام والموسيقى، قدم تصنيفاً للحروف العربية، على أساس مخارجها، فرأى أنها تسعة وعشرون حرفاً في العربية؛ منها خمسة وعشرون حرفاً صحاح (صوامت) لها أحياز ومدارج، وأربعة هوائية (صوائت). أما الصحاح فرتبها على النحو التالي: العين ثم الحاء ثم الهاء من حيز واحد، وبعضها أرفع من بعض⁽³⁾.

وهذه صورة الحروف التي ألفت منها العربية على الولااء - حسب ترتيبه - :
العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الصاد، الصاد، الزاي، السين، الطاء، الدال، التاء، الظاء، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، الواو، الألف، الياء، وهمزة⁽³⁾.

وكان يتعرف على مخارجها عن طريق تذوقها وفحصها، إذ كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: أب، أت، أح، أع، أغ⁽⁴⁾.

(1) بغية الوعاة، للسيوطي: 560/1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية.

(2) ينظر العين للخليل: 57/1. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

(3) ينظر المرجع نفسه: 48/1.

(4) العين: 47/1.

وتجدد الإشارة هنا إلى أن بعض الدارسين المحدثين، من عرب ومستشرقين، ذهبوا إلى أن الخليل تأثر، في عمله هذا، بصنيع الهنود، الذين سبقوه في الحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها⁽¹⁾.

وتلاه كتاب سيويه (ت180هـ؟) - حاوي علم الخليل - الذي تضمّن دراسات صوتية أوسع من دراسة أستاذه، تنوّعت بتنوّع مادّتها. فقد ساهم في هذا المجال وقدم بحوثاً مستفيضة. وهذا ما وجدناه في طيّات كتابه، فكان منها ما يتعلّق باللّهجات والمقايسة بينها والاستدلال لها⁽²⁾.

ومنها ما يتعلّق بالقراءات⁽³⁾. ومنها ما يتحدّث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز من تحقيقٍ وتسهيلٍ وهمزة بين بين⁽⁴⁾، إلى غير ذلك من مباحث صوتية مبثوثة في طيّات الكتاب بأجزائه الأربعة. ويستأثر الجزء الرابع بجلّ هذه المباحث وهو باب الإدغام⁽⁵⁾. حيث نرى تصنيفه للأصوات فيه حسب المخارج، وحسب طريقة النطق. فقد تكلم عن الأصوات الشديدة والرّخوة، وما بينهما، وما إلى ذلك ممّا يدخل في تكوين النظام الصوتي العربي ليغدو أساساً ومرجعاً لكلّ من صنّف في هذا الباب من النّحاة واللّغويين والقراء العرب المحدثين⁽⁶⁾، والمستشرقين⁽⁷⁾. وهي جديرة بالدراسة والشرح في ضوء الدّراسات الحديثة للأصوات اللّغوية، ولم يغفل سيويه

(1) ينظر المعجم العربي، نشأته وتطوره، حسين النصار: 1، 2، دار مصر للطباعة. القاهرة.

(2) ينظر الكتاب، لسيويه: 71/1-72، و3/530، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت.

(3) المصدر نفسه: 58/1 و59 و91/2.

(4) المصدر نفسه: 3/541-556.

(5) المصدر نفسه: 4/431-485.

(6) تناول كثير من اللغويين المعاصرين مباحث الصوت في الكتاب بالدراسة والتتبع منهم: د. إبراهيم أنيس في

"الأصوات اللغوية": 112-135 ود. تمام حسان في اللغة العربية معناها ومبناها: 50-63 ود. حسام النعيمي في

الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 57.

(7) منهم الأستاذ الألماني، أ. شادة، في بحثه: "علم الأصوات عند سيويه"، ينظر: الأصوات اللغوية: 112.

القراءات في كتابه، بل تطرّق لشرحها وإيضاح بعضها⁽¹⁾.

ومذهبه في ترتيب المخارج هو أنّ الحروف العربيّة تسعة وعشرون حرفاً، وهي: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو⁽²⁾. وهو "المذهب الرّسمي لمدرسة البصرة"⁽³⁾ كما تحدث أيضاً عن الحروف الفرعية وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي النون الخفيفة والهمزة التي بين بين والألف التي تمال إمالة شديدة والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم⁽⁴⁾.

وجعل الحروف العربيّة ستة عشر مخرجاً، ثلاثة منها تخرج من الحلق (الهمزة والهاء والألف)، واثنان من وسطه (ع، ح)، ومن أدناه أيضاً اثنان (غ، خ)، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج حرف القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج ثلاثة حروف (ج، ش، ي)⁽⁵⁾. ثم قسم هذه الحروف أقساماً بحسب صفتها، أمّا حروف العلة، فيذهب إلى أنّها تتسع في المخرج، أي ينفسح الهواء عند مخرجها⁽⁶⁾. وسنفضّل الحديث أكثر عن المخارج والصفات في الفصل الخاصّ بها.

(1) الكتاب: 1/58، 2/91 و108.

(2) المصدر نفسه: 4/431.

(3) ينظر المعجم العربي - نشأته وتطوره: 1/228.

(4) الكتاب: 4/432.

(5) المصدر نفسه: 4/431.

(6) المصدر نفسه: 4/432.

وكان منهج سيبويه كمنهج أستاذه الخليل، وكمنهج أبي الأسود الدؤلي من قبل منهجاً وصفيّاً واقعيّاً، قائماً على الملاحظة الذاتية وبعيداً عن الافتراض والتأويل ولم تزل الدراسات الصوتية الحديثة تعتمد إلى جانب الآلات الحسّاسة والحاسوب -على التجربة الشخصية، والملاحظة الذاتية- نهجاً مقبولاً ومطلوباً في الدراسات الصوتية⁽¹⁾.

ولم تقف الأبحاث عند هذا الحدّ، بل تتابعت محاولة التحوّيلين واللغويين، ينحون نحو سيبويه و يقتفون أثره في تخصيص حيز من مصنفاتهم للدراسات الصوتية⁽²⁾.

وكان على رأسهم ممّا وصلنا "المقتضب" للمبرد (ت 285 هـ)، فقد أفرد في مصنفه المذكور باباً لمخارج الحروف، مكثفياً فيه بترديد كلام سيبويه، بالألفاظ نفسها دون أن يزيد عليه ما يستحقّ الذكر⁽³⁾. وهو ما لاحظناه أيضاً في "الأصول في النحو" لابن السّراج (ت 318 هـ)⁽⁴⁾، و"الجمهرة" لابن دريد (ت 321 هـ) الذي تناول في المقدمة الحديث عن نسخ الكلمة العربيّة والحروف التي تأتلف أو لا تأتلف⁽⁵⁾.

ثمّ توالى الدراسات الصوتية بعد ذلك وظهرت أهميّتها، فالزّجاجي (ت 340 هـ) تكلم في كتابه "الجملة في النحو" عن الإدغام الذي لا يكون إلّا بمعرفة مخارج

(1) ينظر علم وظائف الأصوات: 164، وينظر في هذه المسألة دراسات في علم اللغة، كمال بشر: 17. دار المعارف، مصر.

(2) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 106، والمعجم العربي نشأته وتطوره: 1/240.

(3) ينظر المقتضب: 1/192 و 196، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت - مصورة عن نسخة - القاهرة، 1963 م.

(4) ينظر الأصول في النحو: 3/399، تحقيق: عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 2، 1986 م.

(5) ينظر جمهرة اللغة: 1/6-9 - دار صادر - بيروت، 1351 هـ.

الحروف، ومراتبها وتقاربها، وتباينها، وحكم مهموسها وسائر ذلك من أنواعها⁽¹⁾.
ومن الذين اهتموا أيضاً بالدرس الصوتي اللغويون الذين شرحوا كتاب سيبويه،
كالسّيرافي (ت 368 هـ) الذي ذكر مخارج وصفات الحروف، وفيه مادة صوتية
صالحة⁽²⁾. إضافة إلى ما أتى به الرّماني (ت 384 هـ)⁽³⁾.

وقد تطرّق الزّمخشري (ت 538 هـ) بعد ذلك في كتابه "المفصل" للإدغام
ذاكراً الحروف العربيّة ومخارجها وصفاتها، في باب عنوانه "ومن أصناف
المشترك"⁽⁴⁾. وكان بهذا المصدر الذي بنى عليه ابن يعيش (ت 643 هـ) شرحه
المعروف⁽⁵⁾. ويتداخل علم الصوت بعلم الصرف عند الرّضّي الأسترباذي
(ت 686 هـ) في شرحه للشافية، حيث أورد فيه كلاماً على المخارج والصفات.
وأورد باباً مستقلاً للإدغام والإبدال والإمالة⁽⁶⁾.

وظهرت مصنّفات ورسائل خاصّة بالأصوات حفظتها كتب التّراجم والسّير
والمصادر، استعملت مصطلح الأصوات ومايشاكلها، ولم تصل إلينا مثل كتاب
"الأصوات" لقطرب النّحوي (ت 206 هـ)⁽⁷⁾، و"الأصوات" للأخفش
(ت 215 هـ)⁽⁸⁾. و"الأصوات" ليعقوب بن السّكيت (ت 246 هـ)⁽⁹⁾، دلالةً على

(1) ينظر الجمل في النحو: 409-413، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1986م.

(2) ينظر دراسة "علم الأصوات عند العرب". محمد حسان الطيان: 782، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء
الرابع، المجلد: 39، مطبعة الصباح، 1994م.

(3) ينظر الفهرست: 287.

(4) المفصل للزّمخشري: 393-405، دار الجليل - بيروت، ط2.

(5) شرح المفصل: 10/123، عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبّي - القاهرة.

(6) شرح الشافية: 3/260، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفراف، ومحمد محي الدين عبد الحميد - دار الكتب
العلمية - بيروت، 1402هـ/1982م.

(7) ينظر الفهرست: 238.

(8) ينظر المصدر نفسه: 237 وإنباه الرواة للقفطي: 2/42 (ت 646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(9) ينظر الفهرست: 327.

نضج الدرس الصوتي عند العرب في فترة مبكرة.

ويبدو أن العلماء و اللغويين الذين جاءوا بعد سيبويه لم يأتوا بالجديد المفصل، وكانوا يعترضون بكل ما ورد عنه إلى حد يكاد يبلغ القداسة.⁽¹⁾ ولم يفصلوا الدراسة الصوتية عن الدراسات اللغوية.

ويأتي القرن الرابع الهجري، ليحمل إلينا العالم الجليل ابن جني (ت 392 هـ) وهو أول من أفرد المباحث الصوتية في كتابه "سر صناعة الإعراب". و نظر إليها على أنها علم قائم بذاته⁽²⁾. واستعمل في كتابه هذا و لأول مرة مصطلح "علم الأصوات"، إذ يقول: "و لكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات و النغم"⁽³⁾. وبسط فيه الكلام عن حروف العربية، مخارجها و صفاتها، و أحوالها، و ما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال و الإبدال أو الإدغام، و الفرق بين الحركة والحرف، و مزج الحروف و تنافرهما، و عرج على جهاز النطق الإنساني، و طبيعته و وظيفته، فشبّهه بالناي تارة، و بوتر العود تارة أخرى، ليقدم صورة عن عملية إنتاج الكلام، و ما ينتج عنها من أصوات صامتة (Consonnes)، أو صائتة (Voyelles)⁽⁴⁾. و بذلك وجدناه العالم العبقرى الذي وصف الأصوات العربية و صفا تشريحيًا دقيقًا، و توصل إلى نتائج جد رائعة في الصوتيات⁽⁵⁾.

كما درس الصوت في السلسلة الكلامية؛ لأن الأصوات في الكلمات لا تحتفظ بخصائصها التي تكون لها عندما تكون منفردة مستقلة؛ أي أن ما يعرض

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 106.

(2) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: 98، و فقه اللغة، عبده الراجحي: 133

(3) سر صناعة الإعراب: 9/1، تحقيق: حسن هندأوي، دار القلم دمشق، ط1، 1985م.

(4) ينظر المصدر نفسه: 4/1، 8، 9.

(5) ينظر أضواء على الدراسات المعاصرة، نايف خرما: 265، عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1979م.

للصّوت في بنية الكلمة من تغير يؤدي إلى الإعلال والإبدال والإدغام والإمالة والوقف والمماثلة⁽¹⁾.

كما تنبّه ابن جني للصّوت اللّغوي المميّز، أو ما يسمّى اليوم "بالفونيم" ممّا جعل الدّارسين المحدثين يعقدون في كتبهم الصّوتية أبواباً لمقارنة أعمالهم ومناهجهم، ونتائج دراساتهم المستندة إلى الآلات بأعماله الصّوتية ومنهجه في البحث⁽²⁾. ويعتبر حديثه عن الأصوات أعظم حديث عربيّ صوتيّ أفاد منه المحدثون، بل إنّه قال منذ ألف سنة ما لم يتوصّل إليه علماء الأصوات إلّا في عصرنا هذا⁽³⁾. وهو أوّل من استعمل مصطلح "الصّائت"، أو "المصوّت"⁽⁴⁾، وتطرّق لطبيعة الحركات الطّويلة، إلى غير ذلك من الأعمال الجيّدة التي بوّأته المقام الأوّل في هذا العلم حتى عدّ بحقّ رائد الدراسات الصوتية، عند العرب، وهو يعني ذلك إذ يقول: "وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفنّ هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع، ومن وجد قولاً قاله، والله يعين على الصّواب بقدرته"⁽⁵⁾.

ولا تقتصر جهود ابن جني الصّوتية على هذا الكتاب فحسب، وإنّما تعدّته إلى مصنّفاته الأخرى، وفي مقدّماتها "الخصائص" الذي ضمّنه مادّة صوتية غنية جاء بعضها منشوراً في تضاعيف الكتاب، مثل كلامه على حروف الهمس⁽⁶⁾. وكلامه على جرس الحرف وأثره في الدّلالة، إذ يقول: "إنّ كثيراً من هذه اللّغة وجدته

(1) ينظر أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال: 11، ونصوص في فقه اللغة العربية: 1/33 و34، السيد

يعقوب، دار النهضة العربية - بيروت 1970.

(2) ينظر علم وظائف الأصوات اللغوية: 166.

(3) ينظر أصوات اللغة العربية: 11.

(4) ينظر سر صناعة الإعراب: 1/18.

(5) المصدر نفسه: 1/56.

(6) الخصائص: 1/57، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت، ط2.

مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها⁽¹⁾.

وكلامه على الإشمام وهمزة بين بين والروم، الذي يقول فيه: "فأمّاروم الحركة فهي وإن كانت من هذا فإتّها هي كالإصابة بالسّاكن نحو الحركة، وهو لذلك ضرب من الضراعة وأخفى من الإشمام"⁽²⁾.

ويبدو أن تفوّق ابن جني في الأصوات قد استبدّ به إلى حدّ جعله يفرد رسالة لم تصلنا، وذكرتها كتب التّراجم، سمّاها: "رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدّات" وقد ذكر ياقوت الحموي أنّه كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم الطبري وأنّه في ستّ عشرة ورقة.⁽³⁾

ومن الذين اهتمّوا أيضاً بالدّرس الصّوتي البلاغيون من أمثال الرّماني (ت384هـ) الذي زودنا بمعلومات صوتيّة قيّمة⁽⁴⁾، في رسالة عنوانها "النّكت في إعجاز القرآن"، ضمّنها أحكاماً صوتية، مثل تلاؤم الأصوات في الكلمة⁽⁵⁾. إضافةً إلى الخفاجي (ت466هـ) في "سرّ الفصاحة"، حيث عقد فصلاً مفرداً للأصوات تكلم فيه على ماهيتها وإدراكها، وفصلاً مفرداً للحروف تكلم فيه على حدّها واختلافها ومخارجها وصفاتها⁽⁶⁾، كما تناول موضوع تأليف الحروف وتنافرهما، مناقشاً فيه رأي الرّماني في التّلاؤم، إذ يقول: "على أنّ اللفظة المفردة يظهر فيها التّلاؤم ظهوراً بيّناً بقلة عدد حروفها واعتبارها المخارج وإن كانت

(1) الخصائص: 65/1.

(2) المصدر نفسه: 144/2، 145.

(3) ينظر معجم الأدباء: 113/2. (*) هذا وقد كتب الكثيرون عن الجهود الصوتية لابن جني، مثل د. حسام النعيمي، في: "الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني".

(4) ينظر البحث اللغوي عند العرب: 94.

(5) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز: 98، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام - دار المعارف، مصر.

(6) سرّ الفصاحة: (6-24) و(53-54) و(60-61)، تحقيق: علي فوذة، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1932م.

متباعدة كان تأليفها متلائماً" (1).

2- الجهود الصوتية عند الأدباء والحكماء والفلاسفة :

أمّا الزّمرة الثانية زمرة الأدباء والحكماء والفلاسفة والأطباء فيتقدّمها الجاحظ (ت255هـ) من خلال كتابه "البيان والتبيين"، بحيث ذكر فيه اللّثغة في حديثه عن الحروف التي تدخلها العربية، فقال: "وهي أربعة أحرف القاف، والسين، واللام، والدال، فأما التي هي على الشين المعجمة، فذلك شيء لا يصوره الخط، لأنّه ليس من الحروف المعروفة وإنّما هو مخرج من المخارج... فاللّثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم، أبي يكثوم، وبثم الله إذا أرادوا بسم الله" (2). وكذلك تناول الجاحظ كذلك اللكنة التي تبدو في كلام الأعجمي إذا نطق اللغة العربية (3). وتناول أيضا نسج الكلمة العربية، وعدم اجتماع بعض الحروف مع بعض (4). "ومنهج الجاحظ في هذه التجربة الصوتية أحدث منهج متبع الآن، وهو أخذ عينة من المادّة اللغوية المدروسة ثم استخلاص النتائج منها والانتهاة بتعميم الحكم" (5). ولا نكاد نجد بعض هذا في كتب المتأخرين من الأدباء ما يمكن أن يتّسم بالأصالة في دراسة أصوات اللّغة، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي (ت 626 هـ) من رسم بدائي لأعضاء النطق، وبعض صفات الأصوات (6).

(1) ينظر الملحق بالنكت في إعجاز القرآن: 171.

(2) البيان والتبيين: 34/1، تحقيق: د. عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي - القاهرة، ط3.

(3) المصدر نفسه: 69/1.

(4) ينظر الجاحظ والدراسات اللغوية: 75، عطية سليمان أحمد، مكتبة زهراء الشرق، وينظر البحث اللغوي عند العرب: 97.

(5) البحث اللغوي عند العرب: 98.

(6) ينظر مفتاح العلوم: 13. ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1983م.

وهناك مجموعة أخرى كانت لهم مداخلات وهم الفلاسفة والحكماء والأطباء، فقد اعتنوا بالصوت ووصفه. عنايةً متميزةً يتقدمهم فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب الكندي (ت 260 هـ) في رسالة ألفها في الصوتيات: "استخراج المعنى" حيث تكلم على تردد أصوات العربية ودورها في الكلام معتمداً على إحصاء صنعه بنفسه وتقسيمها إلى مصوتة. وذكر قانوناً لغوياً عاماً يسري على كل اللغات، وهو كون المصوتات أكثر الحروف تردداً⁽¹⁾.

وللكندي رسالة أخرى لها علاقة بالدرس الصوتي، بل بتطبيق دقيق من تطبيقاتها، هو ما يعرف اليوم بأمراض الكلام TROUBLE DE LA PAROLE وهي رسالة اللثغة⁽²⁾.

فقد وصف فيها مخارج الأصوات وهيئات النطق وصفاً تشريحيًا فيزيائيًا على نحو يختلف عما عهدناه عند سيبويه، ثم حدّد حروف اللثغة وسمّى أعراضها وأنواعها وختم الكلام بعللها⁽³⁾.

ويعدّ أبو نصر محمد الفارابي (ت 339 هـ) واحداً ممن اعتنوا بهذه الدراسات، إذ انطوى كتابه "الموسيقى الكبير" على الكثير منها، ومن ذلك كلامه على حدوث الصوت والتنغيم⁽⁴⁾. إذ استطاع أن يزاوج بين دراسة الصوت اللغوي القائم على فكرة المتحرك والسّاكن كما هو عند علماء العربية، والدرس القائم إلى فكرة المقطع الصوتي. وتمكّن من خلال ذلك أن يقدم للقارئ دراسة صوتية نفيسة تتعلّق

(1) ينظر دراسة (علم الأصوات عند العرب)، محمد حسان الطيان: 287، نقلاً عن المعجم العربي دراسة إحصائية: 30/2.

(2) ينظر الأعلام للزركلي: 256/9.

(3) وللكندي رسائل أخرى تنحو هذا النحو لم تجد طريقها إلى النور، منها رسالة في الأصوات الخمسة. ينظر المنجد في اللغة والأعلام: 469، دار المشرق، بيروت.

(4) ينظر الأعلام: 242/7، ووفيات الأعيان: 76/2.

بالمقطع الصّوتي في العربية⁽¹⁾.

وقد حمل إلينا القرن الخامس الهجري رسالة عظيمة في الأصوات العربية للرئيس ابن سينا (ت 428 هـ)، وسمّاها: "أسباب حدوث الحروف" وعلاج فيها أصوات اللّغة على نحو فريد. وهو يتّصل بما يسمّى بعلم الأصوات النّطقي⁽²⁾ PHONETIQUE ARTICULATOIRE، وبدافعه الطّبي شرح الحنجرة وعرف دورها ودور الوترين الصّوتيين فقد جاء حديثه فيها حديث الطّبيب المشرّح، وحديث اللّغويّ، حيث عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها. وتميّز كلامه في ذلك لأنّه لم يتأثر كغيره بكتاب سيويوه، إذ أتى بمصطلحات جديدة، لم يشترك فيها أحد من علماء العربية⁽³⁾.

وقد قسم ابن سينا رسالته إلى ستّة فصول:

- أولها في سبب حدوث الحرف، حيث ردّ ذلك إلى القلع والقرع اللّذين يلزم عنهما تموج سريع عنيف في الهواء يحدث الصّوت. فالقرع مثل قرع صخرة أو خشبة يحدث معه أو بعده صوت، وأمّا القلع فمثل فصل أحد شقّي شيء مشقوق عن الشقّ الآخر⁽⁴⁾.

- ثانيهما في سبب حدوث الحروف⁽⁵⁾، ويقصد بالحروف الأصوات الانسانية، فيبين أنّ حال المتموج في نفسه تفعل الحدة والثقل وهما يمثلان شدّة الصّوت Pitch. ومن المعلوم في الصّوتيات الفزيائية أن الصّوت الحادّ أعلى تردداً من الصّوت الثّقيل، فالأوتار المشدودة بإحكام تزداد نسبة ترددها، والأجسام الغليظة تقلّ نسب

(1) ينظر أبحاث في أصوات العربية، حسام سعيد النعيمي: 86، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، 1998.

(2) ينظر أسباب حدوث الحروف: 16

(3) ينظر المدخل إلى علم اللّغة، رمضان عبد التواب: 18، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982.

(4) ينظر أسباب حدوث الحروف: 56-58.

(5) ينظر المرجع نفسه: 59-63.

ترددها⁽¹⁾. ثم ينتقل ابن سينا إلى تقسيم الحروف إلى مفردة ومركبة موضحاً طبيعة كل منها⁽¹⁾.

- وثالثها في تشريح الحنجرة واللسان⁽²⁾، وهنا في هذا الفصل تبدت عبقرية ابن سينا الطبيّة، فشرح الحنجرة مبيناً غضاريفها الثلاثة. ولكن بالرجوع إلى كلامه في كتابه القانون، يتبيّن أن الغضروف الذي يطلق عليه ابن سينا "عديم الاسم" هو ما يسمّيه المحدثون فوق اللسان Epiglottis⁽³⁾. ويستعمل مصطلح لسان الزمار لجزء آخر من أجزاء الحنجرة Glettidis وهو الخرجة التي تبيّن الأوتار الصوتية⁽³⁾، ويتبيّن كيفية تركيب الغضاريف وارتباط بعضها ببعض. كما أشار إلى ارتباط بعضها بأنواع من العظام، ثم شرح اللسان مبيناً عضلاته. وقد أفاض في تشريح الجهاز النطقي وبلغ بذلك درجة العبقرية⁽³⁾.

- ورابعها في الأسباب الجزئية التي تؤدي إلى حدوث حرف من حروف العربية مظهراً موقعه ودور أعضاء النطق في تكوينه⁽⁴⁾. فوصف العملية العضوية مع كل حرف وصفاً مفصلاً. وتميّز وصفه بمصطلحات انفراد بها. وقد رتب الحروف العربية بحسب المخارج، وشابه بذلك ترتيب الخليل في كتاب العين⁽⁵⁾. ويعتبر هذا الفصل بين القصيد من الرسالة، ولعلّ من أهمّ ما جاء فيه تفريق ابن سينا بين الواو والياء الصامتتين، والواو والياء المصوتتين، ثمّ تبيينه للمصوتات الطويلة والقصيرة، ومحاولته تحديد زمن إخراج كل منها⁽⁶⁾.

(1) ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 51، دار الصفاء، الأردن، ط1، 1998م.

(2) ينظر أسباب حدوث الحروف: 64-71.

(3) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 143.

(4) ينظر أسباب حدوث الحروف: 72-85.

(5) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 146.

(6) ينظر أسباب حدوث الحروف: 83-84.

-وخامسها الحروف التي يحدث كل منها بين حرفين والتي ليست في لغة العرب⁽¹⁾. حيث ذكر من هذه الحروف الأعجمية ما يشبه بعض حروف العربية مثل: P.V.G والزاي الظائية في مثل (يصدر)، واللام المطبقة في مثل الصلاة⁽²⁾.

-وسادسها في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية⁽³⁾. ويبدو من هذا الفصل أن ابن سينا كان ممن يربطون بين أصوات اللغة والأصوات الطبيعية الأخرى، محاولاً أن يتلمس وجود الشبه بينهما، فمثلاً يقول في حالة الشين أنها تسمع: "عن نشيش الرطوبات وعن نفوذ الرطوبات في خلل الأجسام اليابسة نفوذاً بقوة"⁽⁴⁾. ويقول على الطاء أنها "تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطق الرأحتان بل يحصر هنالك هواء له دوي، ويسمع عن القلع أيضاً مثله"⁽⁵⁾.

فحديث ابن سينا في هذا الكتاب حديث عالم من علماء الطبيعة عالج ظاهرة الأصوات وجهازها، وبحث في خواصها. وهذا راجع إلى ذكائه الحاد وخياله الخصب وكل ما ينتمي إلى الجانب النفسي.

(1) ينظر أسباب حدوث الحروف: 86-92.

(2) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 147-148.

(3) ينظر أسباب حدوث الحروف: 93-97.

(4) المصدر نفسه: 94 و95.

(5) المصدر نفسه: 94 و95.

3- الجهود الصوتية منذ القراء وعلماء التجويد والمفسرين :

لا يمكن للباحث فصل جهود هذه الفئة - من القراء والمفسرين والمؤلفين في إعجاز القرآن- في دراسة الصوت عن جهود اللغويين والنحاة؛ لأن علماء القراءة والتجويد والرسم والضبط، يدرسون أحكام الأصوات، وفنون التجويد، ابتغاء الدقة والسلامة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدّرس الصّوتي وأغنته⁽¹⁾. وقد استفاد هؤلاء العلماء من الدّراسات التّحوية ولاسيما كتاب سيويه، مثلما يؤكّد ذلك، برجستراسر قائلاً: "كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النّحو ثمّ استعاره أهل الأداء والمقرّئون، وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم"⁽²⁾. وفي حقيقة الأمر فإنّ هذه العلوم تمثّل الجانب التّطبيقي الوظيفي للمعلومة، وقد ظهرت في زمن مبكّر من تاريخ تراثنا العلمي. و يعود السّبب في ذلك إلى نزول القرآن الكريم وما ينبغي أن يظهر من حسن التّرتيل والتّلاوة، وأوجه الأداء المختلفة. واشتملت على الكثير من الظواهر الصّوتية، كإدغام التّماتلين والمتقلّرين وإظهارهما، ونبر الهمس وتسهيله وإبداله والإمالة وغيرها.

ويذكر صاحب النّشر أن أوّل كتاب في القراءات من صنعة أبي سعد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) الذي جعل القراء خمسة وعشرين قارئاً⁽³⁾. وأوّل كتاب وصل في هذا الفنّ كتاب السّبعة لابن مجاهد (324 هـ). ثمّ تواصلت بعده كتب القراءة، تقفوا أثره، وتنهل منه على اختلاف عدد القراء في كلّ منها⁽⁴⁾: مثل كتاب

(1) ينظر الأصوات ووظائفها، محمد منصف القماطي: 88، منشورات الفاتح، نقلاً عن دراسة (علم الأصوات عند

العرب) لمحمد حسن الطيان: 793.

(2) ينظر التطور النحوي، للمستشرق برجستراسر: 11، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982.

(3) ينظر النّشر في القراءات العشر، لابن الجزري: 34/1: تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلميّة، بيروت.

(4) ينظر المصدر نفسه: 35/1.

"التيسير في القراءات السبع" للإمام أبي عمرو الداني (ت 444 هـ). و"النشر في القراءات العشر" للإمام ابن الجزري (ت 833 هـ) وغيرها.

ومن أوائل من صنفوا في فن التجويد موسى بن عبد الله بن خاقان (ت 325 هـ)⁽¹⁾. ثم تبعه آخرون منهم الإمام الداني في رسالته "التحديد في الإتقان والتجويد"⁽²⁾، ورسالة أبي الحسن علي بن جعفر السعدي المقرئ (ت 421 هـ) المرسومة بـ "التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي"، ويتعلق موضوعها بنطق الأصوات العربية، والكشف عن الانحرافات، النطقية الخفية التي يمكن أن يقع فيها المتكلم لاسيما قارئ القرآن⁽³⁾. يقول في هذا الشأن: "واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقن من أفاض الأستاذين، المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه..."⁽⁴⁾.

ونجد بعده الإمام أبا محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ)، يتوسع كثيرا في علم التجويد، ويتعمق فيه من خلال مصنفه "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة" الذي زاد فيه على كل من تقدمه. وفي ذلك يقول: "وما علمت أن أحدا من المتقدمين قد سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ولا إلى جمع مثل ما جمعت منها من أفاض كتاب الله تعالى"⁽⁵⁾.

كذلك ترددت في كتب التجويد مصطلحات صوتية مثل الإثمام والإشباع، والاختلاس، والمد، والتفخيم والترقيق ونحوها⁽⁶⁾.

(1) كشف الظنون، حاجي خليفة: 1/354، دار الفكر - بيروت، 1982م.

(2) المصدر نفسه: 1/355.

(3) ينظر التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي: 2/240-287. تحقيق: غانم قدوري حمد، نشرت في مجلة المجمع

العراقي، 1985 - بغداد، المجلد 2/36.

(4) المصدر نفسه: 260.

(5) الرعاية: 42، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الكتب العلمية، دمشق، 1973م.

(6) ينظر البحث اللغوي عند العرب: 94.

وقد حوت كتب التفسير مادة صوتية لا بأس بها، من بينها: "التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، الذي تطرق فيه للأصوات وعلاقتها بعلم التشريح، في مبحث تحت عنوان: "ببحث الصوت": "... لا شك أن هذه الكلمات إنما تحصل من الأصوات والحروف، فعند ذلك يجب البحث عن حقيقة الصوت، وعن أسباب وجوده ولا شك أن حدوث الصوت في الجهر إنما كان بسبب خروج النفس من الصدر..."⁽¹⁾.

ولا يفوتنا في هذا الصدد، أن ننوه بمجهودات المؤلفين في إعجاز القرآن، فقد أدلوا بدلوهم، ويأتي على رأسهم أبو بكر الباقلاني (ت 403هـ) فقد ضمن كتابه المشهور "إعجاز القرآن" كثيرا من المباحث الصوتية، "بقصد تحليل آيات القرآن وبيان أوجه إعجازها"⁽²⁾. وأهم ما ذكره في هذا الخصوص يتعلق بفواتح السور، وسر اختيار حروف معينة لها⁽³⁾. وذكر أن نصف حروف الحلق وهو العين والحاء والهاء قد ورد في هذه الفواتح. كذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلق. كما يذكر أن نصف الحروف الشديدة (الهاء، والقاف، والكاف، والجيم، والتاء، والdal، والطاء، والباء) وهو الطاء والقاف والكاف والهمزة؛ مذكور في جملة تلك الحروف⁽⁴⁾.

ونستنتج مما سبق أن البحث الصوتي عند العرب ازدهر وتطور باعتماد قوة ملاحظتهم ودقتهم وتركيزهم.

(1) التفسير الكبير: 11/1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3.

(2) ينظر البحث اللغوي عند العرب: 95.

(3) ينظر إعجاز القرآن، للباقلاني: 44، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط5. (دت).

(4) ينظر المصدر نفسه: 45.

جهود العرب المحدثين :

من الحقائق المقررة أن الدرس الصوتي عند العرب من أصل الجوانب التي تناولوا فيها دراسة اللغة، ومن أقربها إلى المنهج العلمي وهذا ما اتضح من الوقوف على آرائهم وأعمالهم القيمة. فاللغويون القدامى استطاعوا بفضل فطنتهم ودقة ملاحظاتهم أن يحددوا طبيعة الأصوات.

ولم تتوقف عجلة البحث في هذا الحقل عند القدماء، بل تعدت إلى العرب المحدثين الذين تطورت دراستهم وتبلورت على يد جماعة ممن تلقوا المناهج العلمية من أوروبا، ثم جاءوا إلى أوطانهم، ليقدّموا ما تلقوه من أساتذتهم، في صور مختلفة، مع اعتمادهم، على جهود العلماء القدامى، لأن هذه الدراسات الحديثة لم تنشأ من العدم، بل كانت امتداداً لهذه الجهود السابقة متممة لها ومصححة لما اعوج فيها. ولا أحد يستطيع أن ينكر عليهم دقتهم في ملاحظة المجموعات، وتسجيلها بالأجهزة والآلات، وتوصلهم بعد ذلك إلى وصف مخارج الأصوات، وصفاً دقيقاً. ويأتي في مقدمة هؤلاء الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس الذي يعد بحق أول من حاول تطبيق مناهج علم اللغة الحديث في الوطن العربي؛ فقد خرج بجملته من الملاحظات النظرية، تدعمها الشواهد اللغوية⁽¹⁾. ولاسيما في كتابه المشهورين: "الأصوات اللغوية"⁽²⁾ و"في اللهجات العربية"⁽³⁾. فالأول كان فاتح الكتب الصوتية المتخصصة الحديثة، فهو متكامل، ألف باللغة العربية، وطبع عدة مرات. جمع فيه صاحبه بين آراء القدماء والمحدثين الغربيين، وتطرق إلى صفات الأصوات

(1) ينظر المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب: 08، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982م، وينظر علم وظائف الأصوات: 165.

(2) ينظر الأصوات اللغوية: 2-5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1971.

(3) ينظر في اللهجات العربية: 3-4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995.

ومخارجها، وإلى تحليل وشرح الأصوات الإنسانية، كما ذكر وظائفها في بنية الكلمة العربية. ويبدو أنه لا غنى للباحث في مجال الصوتيات عن هذا الكتاب الثمين.

ثم تبعه جيل من العلماء والباحثين، فقدموا لنا محاولات جادة، وبسطوا مناهج البحث الحديث، من أبرزهم الدكتور تمام حسان الذي صنف مجموعة من المؤلفات اللغوية القيمة، يتقدمها كتابه "مناهج البحث في اللغة"⁽¹⁾. ويضاف إلى هذا المصنف كتاباه الآخران: "العربية معناها ومبناها"⁽²⁾، و"الأصول: دراسة إبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي"⁽³⁾، وفيهما إشارات لعلم الأصوات. ونجد أيضا الدكتور كمال محمد بشر الذي أثرى المجال الصوتي بكتابه المهم (علم اللغة العام: الأصوات)⁽⁴⁾.

والدكتور رمضان عبد التواب، وكتابه (المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي)⁽⁵⁾.

ثم تتابعت الدراسة الحديثة في هذا الميدان، مثل كتابي الدكتور عبد الصابور شاهين (المنهج الصوتي للبنية العربية)⁽⁶⁾ و(القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث)⁽⁷⁾. وغيرها من المحاولات الجادة التي توصلت - بدون أي شك - إلى نتائج محمودة، لا زالت عمدة الباحث في علم الأصوات، منها ما خالفوا فيها القدماء، ومنها ما اتفقوا معهم وتأكدت نتائجهم.

(1) ينظر مناهج البحث: 2-4، دار الثقافة للطباعة - الدار البيضاء، المغرب، 1979.

(2) ينظر العربية معناها ومبناها: 2-6.

(3) ينظر الأصول: 5-11، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981م/1401هـ.

(4) ينظر علم اللغة العام - الأصوات: 100-117 و 28-60، دار المعارف، مصر، 1975م.

(5) ينظر المدخل إلى علم اللغة: 18 وما بعدها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982.

(6) ينظر المنهج الصوتي: 3-4.

(7) ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم الحديث: 13-36، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الفصل الأول

الدراسة الصوتية لآيات سورة

الكهف

المبحث الأول:

* الطبيعة الصوتية لأصوات العربية *

اللغة مجموعة من الأصوات، تأتلف في نسقٍ منتظمٍ لتعبّر عن الأفكار الإنسانية، وترمز إلى محسوسات الوجود ومجرداته الذي يعيش الفرد في وسطه. وتعدّ اللغة العربية من أثرى اللغات السامية في مستوياتها اللغوية المختلفة وأوفرها حظاً من حيث العناية بها، ولعلّ المستوى الصوتي هو الأشدّ بروزاً، والأكثر اهتماماً به لاتصاله بتلاوة القرآن وترتيبه. ولهذا حظي بعناية خاصّة من الباحثين قديماً وحديثاً، أفضت إلى الإمام بدراسة أصوات العربية في نواحيها الصوتية والتشكيلية، وأماطت عن اختلافات وفروق بين هذه الأصوات من حيث النطق، والزمن الذي يستغرقه إحداث كلّ صوت من أصواتها، وكشفت أيضاً عن اشتراك بعض أصواتها في صفات معيّنة وانفراد بعض منها بصفات خاصّة⁽¹⁾.

والباحث الأصواتي ينهج سبيل الدّراسة الصوتية، التي تقوم بتناول الصّوت بوصفه وحدة منتزعة من التّركيب، كأن ندرس أصوات السّورة الكرّيمية، من زاوية المخارج والصفات، وكيفية تشكيلها وتألفها في البناء.

تعريف الصوت اللغوي

إن الصوت اللغوي: هو العنصر الذي يدخل في تركيب الكلمة وبنائها (structure) وباختلاف تركيب الأصوات، تختلف الكلمات وتتنوع معانيها. وقد أجمع اللغويون على أن الأصوات تنقسم إلى قسمين رئيسيين: الصوامت (consonnes) والصوائت (voyelles)⁽²⁾. والصوت كما قال ابن جني: "مصدر صات

(1) ينظر التنوعات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 147، دار الصفاء، الأردن، ط1، 1997-1417هـ

(2) اختلف العلماء العرب في تحديد المصطلحين وتسميتهما، فهما عند إبراهيم أيس (أصوات ساكنة وأصوات علة) وعند محمود السعران (صوامت وصوائت)، وعند تمام حسان (أصوات صحيحة وأصوات علة)، أما القدامى فقد أخذوا على استعمال المصطلحين (صائت ومصوت)، وأسّتعيل مصطلح الصائت والطامت لسهولتهما.

الشيء يصوت صوتاً، فهو صائت، وصوتٌ تصويئاً فهو مصوتٌ⁽¹⁾. وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَأَ أَصْوَاتِ لَاصِتِ الْحَمِيرِ﴾⁽²⁾، ويقال: "صات يصوت صوتاً فهو صائت، معناه صائح"⁽³⁾.

أما اصطلاحاً فالصوت هو أثر سماعي يصدر طواعية أو اختياراً عن أعضاء النطق، له مخرج وصفات حامل لها. فالمخرج هو النقطة التي يتشكل عندها الصوت، أو بعبارة أدق فالصوت هو ذلك الذي نسمعه ونحسه، وهو بذلك عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، يؤدبه الجهاز النطقي حركة وتسمعه الأذن وترى العين بعض حركة الجهاز النطقي حين أدائه"⁽⁴⁾.

وفي كلام الجاحظ ما يشير إلى أن العرب قد وفقوا في بيان الفرق بينهما، إذ يقول: "الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولا تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا مثوراً إلا بظهور الصوت..."⁽⁵⁾.

أما ابن جني فيعرف الصوت قائلاً: "اعلم أن الصوت عرضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشففتين..."⁽⁶⁾. ففهم ابن جني للصوت، على ما يبدو، أنه ذبذبة الأوتار الصوتية، وإن لم يذكر صراحة⁽⁷⁾.

(1) سر الصناعة : 9/1

(2) سورة لقمان : 19

(3) لسان العرب مادة (صوت)

(4) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث : 83

(5) البيان والتبيين : 79/1

(6) سر الصناعة : 6/1

(7) ينظر المدخل إلى علم اللغة : 86

ومثل هذا الفهم للصّوت نجده عند الشيخ الرّئيس ابن سينا حين قال:

"الحرف هيئة للصّوت عارضة له يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تمييزاً في المسموع"⁽¹⁾. وبالإضافة إلى هذا نجده يستهلّ رسالته بالحديث عن مخارج الحروف والمقصود مخارج الأصوات، وفي هذا دلالة على أن الحرف يرادف عنده الصّوت.

ونجد من المحدثين، على غرار ما ذهب إليه السّلف، من جعل مصطلح الحرف هو ما "نسمعه ونحسه"⁽²⁾. أمّا الحرف فهو ذاك "الرّمز الكتابي الذي يتّخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معيّن أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى"⁽²⁾.

وهناك دارس آخر يرى أنّه "ليس للحروف حياة مستقلة التي هي الكلمة، باختلاف تركيب الحروف تختلف الكلمات"⁽³⁾، وقد فرّق تمام حسان بين الصّوت والحرف قائلاً: "ليست الحروف إذا تلك الصّور الكتابيّة التي نخطّها بالقلم، فهذه رموز كتابيّة إلى الحروف أقساماً وليست الحروف أقساماً يشتمل كلّ منها على عدد من الأصوات..."⁽⁴⁾

فمصطلح الحرف عندهم ليس بمقدوره تحمّل أعباء جديدة زيادةً على ما ينوء به من كثرة الاستعمال، فهو يراد به الصّوت الذي يتركّب منه اللفظ⁽⁵⁾. وعلى هذا الأساس جاء استعماله شاملاً لمظهري اللّغة المنطوقة والمكتوبة في الوقت ذاته لما

(1) أسباب حدوث الحروف : 60

(2) المدخل إلى علم اللّغة: 83، وينظر اللّغة والتواصل لعبد الجليل مرتاض: 144، دار همومة - الجزائر.

(3) فقه اللّغة، علي عبد الواحد وافي: 249، دط، ط6، 1968م-1988هـ

(4) اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، تمام حسان: 120، دار الثقافة-الدار البيضاء، 1980

(5) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: 107، وينظر علم اللّغة العام، توفيق محمد شاهين: 116، مكتبة وهبة-

القاهرة، 1980. وينظر في علم اللّغة العام، عبد الصابور شاهين: 115، مديرية المطبوعات - حلب، 1982.

لهذين المظهرين من تلازم واقتران⁽¹⁾.

وتصور الفونيم كما قدمناه تصور حديث جدا في المباحث اللغوية الصوتية، على أن للنحاة القدامى نصيبا في هذا حتى وإن كانوا لم يشيروا إليه بصريح العبارة في مباحثهم الصوتية. ونحن لا نشك لحظة واحدة في أن التنظير العلمي لنظرية الفونيم كان من صنع اللسانيين العرب، كما لا ننفي وجود تناول لهذا المبحث عند الأمم القديمة كالهنود واليونان والعرب.

يقول سوسير في هذا الشأن: "فإن الأبجدية الإغريقية جديدة بالإعجاب إذ يتمثل كل صوت بسيط بعلامة خطية واحدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كل علامة تقابل صوتا بسيطا هو دائما نفسه، وهذا اكتشاف عبقرى ورثه اللاتينيون"⁽²⁾.

إن دراسة أي لغة من اللغات تستوقف الدارس عند ملاحظة هامة قوامها وجود مجموعة من الأصوات التي، وإن اختلفت في المخرج أو الصفة، ينظر إليها من ناحية الكتاب والمعنى المعجمي على أنها صوت واحد مثل صوت الجيم العربية.⁽³⁾ وفي "كل لغة عدد محدود جدا من الأصوات المفردة المميزة، هذه الأصوات هي ما قصد من حروف الأبجدية أن تدل عليها ولكن الواقع أنها أكثر عددا من تلك الحروف"⁽⁴⁾.

وقد وضع تروبتسكوي^(*) للفونيم تعريفا مختصرا، يعتبر تلخيصا لعملية تحليلية

(1) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 235.

(2) محاضرات في الألسنية العامة، فرديان دي سوسير: 56.

(3) ينظر في التطور اللغوي، عبد الصابور شاهين: 186، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1985

(4) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما: 82.

(*) تروبتسكوي: ينقولاس سيرجيفيتش، لغوي مشهور، ولد في 6 أبريل 1890، من أصل روسي، كتب

بحوثا لغوية كثيرة توفي في 25 جويلية 1938. ينظر ترجمة وافية له في: "علم اللغة في القرن العشرين، جورج

مونان: 100-109، ترجمة: نجيب غزاوي، سلسلة الكتب العلمية-سوريا، 1982

قدّمها بين يدي التعريف فقال: "الفونيم أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس".⁽¹⁾ حيث رأى أن كل صوت مكوّن من مجموعة من العناصر هي مجموعها غير قابلة للتجزئة أو التحليل؛ يقول: "من الناحية الصوتية كلّ (باء) تتمثل في سلسلة من الحركات النطقية: أولاً، تقترب الشفتان، إحداهما من الأخرى... فالباء كلّها إذن تعتبر وحدة فونولوجية غير قابلة للتحليل من حيث الزّمن"⁽²⁾.

ونعرّج على الرّأي الثاني لتحليل الفونيم وهو رأي أصحاب الملامح التمييزية، وجدناهم يعرفون الفونيم بأنّه: "مجموعة من الملامح الصوتية المترامنة التي بواسطتها يتمييز صوت لغويّ عن بقية الأصوات بالإضافة إلى كونه وسيلة للتمييز بين معاني الكلمات"⁽³⁾.

فالفونيم عند هؤلاء تجمّع من الملامح التمييزية، التي يسمّيها العرب الصّفات مثل الجهر والانفجار والاحتكاك، ومن تمّ فتروبتسكوي قد مال إلى المفهوم الوظيفي وترك المفهوم النّفسي. وألح على الجانبين العضوي والسمعي في وصف الفونيم وتحديدّه⁽⁴⁾.

وبناءً على ما تقدّم يمكننا أن نقول في اطمئنان أن البحث اللغوي العربي قد مسّ معظم الجوانب التي تطرّق إليها البحث الصوتي الحديث لظاهرة الفونيم، مع الفارق في عمق المعالجة؛ لأنّ القدامى على الرّغم من جهودهم المعتررة، إلاّ أنّهم لم ينظروا لهذه النظرية بدقّة. فهم قد عرفوا الصّوت اللغوي بطريقة غير مباشرة من خلال تعرّضهم لمسائل أخرى في ثنايا أبواب عديدة .

(1) 37: les principes de phonologie، لتروبتسكوي الترجمة إلى الفرنسية: كانتيو وينظر "في علم اللغة

العام، عبد الصابور شاهين: 121.

(2) 37: les principes de phonologie.

(3) 22: que sais je: la phonologie، والتعريف لجاكسون بداية من 1932.

(4) ينظر مبادئ اللسانيات: 101.

الطبيعة الصوتية للصوامت:

عرفنا قبل هذا، أن اللغويين أجمعوا على أن الأصوات تنقسم إلى قسمين رئيسيين: الصوامت والصوائت، وكان المنطق في هذا التقسيم الطبيعي الصوتية لكل منها، ذلك أن الصفة المميزة للصوامت هي: "إما أن ينحبس معها الهواء انحباساً محكماً فلا يسمح له بالمرور لحظةً من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري، وإما أن يضيق مجراه فيحدث النفس نوعاً من الصفير أو الحفيف" (1).

وأما الصوائت "فيندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والقم في ممرٍ ليس فيه حوائلٍ تعترضه فيضيق مجراه" (2).

وتمتاز هذه الصوائت أيضاً عن الصوامت بخاصية الوضوح السمعي، وهو الفارق الأساسي بينهما (3).

وسنهتم في هذا الفصل بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها لما لها من علاقة بالبحث؛ لأن "الدراسة الصوتية مقدّمة لا بدّ منها لدراسة النظام الصوتي والتشكيلي والنظم اللغوية الأخرى" (4).

1- مخارج الصوامت:

يعود كثير من مظاهر التمايز في بعض الخواص الصوتية إلى اختلاف المخارج والأعضاء المتحرّكة في إحداثها، ومن هنا تعددت الأصوات لتعدّد المخارج. وقد تولّى علماء العربية من نحاة وقراء ومحدّثين وصف الصوامت العربيّة

(1) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس 26

(2) دروس في علم الأصوات العربية، جون كاتينو: 20، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، 1966م.

(3) ينظر علم اللغة العام: الأصوات: 138

(4) العربية معناها ومبناها: 66.

وصفا دقيقا. وقد اجتبتنا منه ذكرهم للمخارج والصفات، في هذا الفصل.

فالمخارج لغة جمع مخرج، وهو اسم لمكان خروج الشيء، أيا كان ذلك الشيء⁽¹⁾، واصطلاحا هو "المكان الذي يخرج منه الصوت ويبرز ويتميز عن غيره ويسمى موضع النطق أو المدرج أو الحيز"⁽²⁾ (Point d'articulation)، ويمكننا أن نحصر المخارج والصفات التي تستخدمها اللغة العربية الفصحى في التمييز بين أصواتها، وهذا الاستخدام إنما يعتبر من منهج التشكيل الصوتي لا من منهج الأصوات⁽³⁾.

ويجدر بنا أن نشير، ونحن بصدد الحديث عن مخارج الأصوات الصامتة، إلى طريقة القدامى وآرائهم. فالباحث في تلك الآراء يرى أنهم اختلفوا في تحديد عدد مخارجها، فعدها الخليل سبعة عشر مخرجا،⁽⁴⁾ في حين هي عند سيويوه ومن هذا حدوه من القراء والنحاة ستة عشر⁽⁵⁾، بينما عددها آخرون مثل القراء والمبرد أربعة عشر مخرجا⁽⁶⁾. وأوجز ابن الجزري هذه المعلومات نظما فقال⁽⁷⁾:

مخارج الحروف سبعة عشر على الذي يختاره من اختبر
وعدها علماء التجويد سبعة عشر، يقول ابن الجزري: "الصحيح المختار

(1) ينظر لسان العرب مادة (خرج)، لابن منظور، دار بيروت، دط، دت

(2) علم اللغة العام الأصوات: 89، وينظر أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري: 49، تحقيق:

محمد صلحة بلال، المكتبة المكية- السعودية، 1997م.

(3) ينظر مناهج البحث: 84

(4) ينظر العين: 1/ 57-51

(5) ينظر الكتاب: 4/ 405 والمفصل: 393 وشرحه: 10/ 127

(6) ينظر المقتضب: 1/ 192-194 ومصطلحات الدراسة الصوتية، أمينة ابن مالك: 260، رسالة دكتوراة،

جامعة الجزائر.

(7) ينظر الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، زكريا الشافعي: 30، تحقيق نسيب شناوي،

دمشق، دط، 1980.

عندنا وعند من تقدّمنا من المحقّقين كالخليل ابن أحمد، ومكي ابن أبي طالب،
والقاسم الهدلي وأبي الحسن وغيرهم سبعة عشر مخرّجاً، وهذا الذي يظهر من حيث
الاختيار. وهو الذي أثبتته ابن سينا في مؤلّف أفردّه في مخرّج الحروف
وصفاها ⁽¹⁾.

وقد اسقط سيبويه مخرّج الجوف الذي قال به الخليل، بالنسبة للألف والواو
والياء، وقد تخلص من ذلك بأن فرّقها على المخرّج ⁽²⁾، وقد وافقه على ذلك ابن
جني، الذي عدّ المخرّج ستّة عشر مخرّجاً ⁽³⁾.

ولن نسهب كثيراً في الحديث عن مخرّج الأصوات، لأنّه مجالٌ رحبٌ واسعٌ
يحتاج إلى كثير من الدقّة والبيان.

أمّا عدد أصوات العربيّة فعددها على أرجح الأقوال عند الخليل تسعة
وعشرون صوتاً، وذلك كما يبدو في قوله "في العربيّة تسعة وعشرون حرفاً منها
خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف هي الواو
والياء والألف اللينة والهمزة، ليس لها مدارج أو مخرّج، إنّما تخرج من الجوف ولا
تقع في مدرجة من مدارج اللسان أو الحلق أو اللّهاة، لذلك ليس لها ما تنسب إليه
إلا الجوف" ⁽⁴⁾.

ونستنتج من قول الخليل أنّه ميّز تمييزاً صريحاً بين الأصوات الصّامتة والصّائتة،
وكلّ صوت عنده منسوب إلى مدرجه وحيّزه الذي يبدأ منه، فالقاف والكاف
مثلاً صوتان لهويان لأنّ مبدأهما من اللّهاة، والعين والحاء والهاء والخاء والغين

(1) النشر: 198/1.

(2) ينظر العين: 57/1 والكتاب 433/4

(3) ينظر سر الصناعة: 46/1

(4) العين: 57/1

حلقية لأنّ مبدأها من الحلق. (1)

أمّا سيبويه فلا نجد عنده ذلك التقسيم، بل نجده يذكره عرضاً حين يعرف المهموس ضمن حروف المدّ واللّين. ويفهم من كلامه الذي تلا شرح المخارج تعداد الصّفات لا تقسيم الأصوات إلى صحاح وجوف، إذ يقول: "ومنها اللّينة وهي الواو والياء لأنّ مخرجهما يتّسع لهواء الصّوت أشدّ من اتّساع غيرهما". (2)

والأصوات العربيّة عنده - كما ذكرنا - ستّة عشر مخرجاً، تجري متسلسلة من الحلق إلى الشّفتين على النّحو التّالي: (3)

- 1- ثلاث مخارج للحلق: الأوّل أقصاه وهو الهمزة والهاء، والثاني أوسطه وهو للعين والحاء والثالث أدناه وهو للعين والحاء.
- 2- من أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف .
- 3- من أسفل من موضع القاف من اللّسان قليلاً، ومما يليه من الحنك الأعلى الكاف.
- 4- من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الحيم والشّين والياء .
- 5- من بين أوّل حافة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد.
- 6- من حافة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضّاحك والتّاب والرّباعية والثّنية مخرج اللّام.
- 7- من طرف اللّسان بينه وبين ما فوق الشّنايا مخرج النّون.
- 8- من المخرج السّابق غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلاً لانحرافه إلى اللّام مخرج الرّاء.

(1) ينظر العين: 58/1

(2) الكتاب: 435/4

(3) ينظر الكتاب: 433/4-434 والمتمتع في التصريف لابن عصفور الاشيلي: 268/2-670.

- 9- من بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والتاء والذال .
 10- مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد .
 11- مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والتاء والذال .
 12- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .
 13- مما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو .
 14- من الخياشيم مخرج النون الخفيفة .

وترتيب سيبويه للمخارج على النحو الذي رأيناه لا يختلف كثيراً، على النتائج التي توصل إليها المحدثون الذين اعتمدوا الآلات.⁽¹⁾

وليس فيما أورده ابن جني والزمخشري وابن يعيش أي اختلاف عما ذكره سيبويه آنفاً.⁽²⁾ فقد تابع باقي النحاة واللغويين سيبويه فيما قرره جملةً وتفصيلاً .
 أما التجارب الحديثة في علم الأصوات فقد دلت على أن العربية الفصحى استخدمت عشرة مخارج لإصدار أصواتها الصامتة، تتسلسل وفق الترتيب التنازلي، ابتداءً من الشفتين نزولاً إلى أقصى الحلق، وهي⁽³⁾:

***1 المخرج الشفوي: (LABIO)** وتمثل في الباء والميم والواو. حيزها مما بين

الشفتين ويكون بتقريب المسافة بينهما أو إقفالها.

***2 المخرج الشفوي-الأسناني: (LABIO-DENTALES)** وهو لصوت الفاء،

مخرجها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

***3 المخرج الأسناني: (DENTALES)** وهو لأصوات التاء والذال والظاء ويكون

(1) ينظر دروس في علم أصوات العربية : 32 والتطور النحوي: 13

(2) ينظر سر الصناعة : 48،47،46/1 والمفصل: 393 وشرحه : 124/10 والاصول في النحو: 399/3

والهمع : 228/2

(3) ينظر مناهج البحث: 84-85 ودراسة الصوت اللغوي: 269 و An introduction to the

.By AC. Gimson Edward Arnold .160:pronunciation of english

بأّصال طرف اللّسان بالأسنان العليا.

*4 المخرج الأسناني اللثوي: (DENT-ABEOLAIRES) وهو للأصوات التّالية:

الضّاد والدّال والطاء والتّاء والزّاي والصاد والسّين، وهو ما أتّصل طرف اللّسان فيه بالأسنان العليا، ومقدمة اللّسان باللثة، وهي أصول الثّنايا.

*5 المخرج اللثوي: (ALVEOLAIRES) ويكون بأّصال طرف اللّسان باللثة،

أثناء التّطق، وهو للأصوات اللّام والتّون والرّاء.

*6 المخرج الغاريبي: (PALATALES) ويكون بأّصال مقدّمة اللّسان بالغار، وهو

لأصوات الشّين والجيم والياء، وكانت تسمّى هذه الأصوات بالشّجرية، لأن "مبدأها من شجر الفم، أي مفرج الفم".⁽¹⁾ ويقال "اشتجر الرّجل إذا وضع يده تحت شجره على حنكه".⁽²⁾

*7 المخرج الطّبيبي: (VELAIRES) ويكون بأّصال مؤخّرة اللّسان بالطّبق، وهو

لأصوات الكاف والغين والحاء. ويلاحظ اختلاف كبير في مخرج صوتي الغين والحاء بين القدماء والمحدثين. لأنّهما في نظر الأوائل حلقيان، يخرجان من أدنى الحلق.⁽³⁾

*8 المخرج اللّهوي: (UVALAIRES) ويكون بأّصال مؤخّرة اللّسان باللّهاة وهو

لصوت القاف. ويخالف المحدثون القدماء في رتبة القاف، فهي عندهم تلي صوت الحاء، ويأتي بعدها صوت الكاف.⁽⁴⁾

*9 المخرج الحلقبي: (PHORYNGALES) ويكون بتضييق الحلق، وهو للصّوتين

(1) العين : 58/1 وينظر مقدمة تهذيب اللغة: 63/1 والمفصل: 395

(2) شرح المفصل: 124/10

(3) ينظر الكتاب: 433/4 وسر الصناعة: 47/1 والأصول في النحو: 400/3

(4) ينظر الكتاب: 433/4 وسر الصناعة: 47/1 والمقتضب: 192/1

*10 المخرج الحنجري: (GLOTTALES) ويكون نتيجة إقفال الوترين الصوتيين، أو تضييقهما، وهو لصوتي الهاء والهمزة.

وتما يلاحظه الدّارس لمخارج أصوات العربيّة في ضوء الدّراسات الحديثة، جمع العلماء المحدثين للأصوات النّطعية (*) الطّاء والدّال والتّاء، والأسليّة (*) الصّاد والسين والزّاي في مخرج واحد، ولم يعتدّ فرق بينهما، في حين أنّ القدماء أجمعوا على التّفريق بينهما منذ الخليل⁽¹⁾ حتّى آخر من ألف في التّجويد ممّن لحق بهم من المحدثين.⁽²⁾

كما أضافوا مخرج الضّاد ضمن المخرج السّابق⁽³⁾، ليس تخطئةً لسيبويه الذي جعل لها مخرجاً مستقلاً يلي مخرج الأصوات الشّجرية الجيم والشّين والياء، ويسبق مخرج الأصوات الذّلقية (*) اللّام والتّون والرّاء⁽⁴⁾.

ويلاحظ أيضاً نقل صوتي الغين والحاء من الحلق عند القدماء⁽⁵⁾، إلى مخرج سمّي بالطّبقي، وجعلهما مع الكاف على صعيدٍ واحدٍ.⁽⁶⁾ والتمييز بين المخرج الحلقي والمخرج الحنجري دون أيّ تعديل للأصوات الدّاخلة

(*) هذه المصطلحات أطلقها القدماء على مجموعة من الأصوات نسبة المخرج، فالأصوات النّطعية نسبة لنطع الغار الأعلى، والأسيلة نسبة لأسلة اللسان وهو رأسه المستدق، أما الذّلقية فنسبة لذلق اللسان بمعنى طرفه، ينظر اللسان مادة (نطع) و(أسل) و(ذلق) وينظر العين، 58/1 والتهذيب: 44

(1) ينظر العين: 58/1 والتهذيب: 44 وشرح الشافية: 250/3

(2) ينظر أحكام قراءة القرآن: 67 والنجوم الطوالع: 212

(3) ينظر في اللهجات العربية، إبراهيم السامرائي: 172، 173 والتطور النحوي: 17-19 والأصوات اللغوية:

62-48 والعربية الفصحى: 37 والمدخل إلى علم الأصوات لصالح الدين صالح حسنين: 98-102.

(4) ينظر الكتاب: 432/4

(5) ينظر العين: 58/1 والكتاب: 433/4 والمقتضب: 192/1

(6) ينظر مناهج البحث: 84 و85 والوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي: 163، دار الشرق بيروت.

ضمن هذا المخرج وذاك⁽¹⁾.

فالقدماء جعلوا للحلق كما رأينا ثلاثة مخارج متدرجة من أقصى الحلق ووسطه إلى أدناه من الفم، في حين أن المحدثين جعلوا المخرج الحلقى خاصا بالعين والحاء وحدهما، وجعلوا للهمزة والهاء مخرجا جديدا دعي بالمخرج (الحنجري، علما أن بعض القدماء عرفوا أن هذين الصوتين يصدران من الحنجرة.⁽²⁾) وليس بين ترتيب القدماء والترتيب الحديث اختلاف مهم، "بل إننا نجد عند سيويه ومن تبعه من اللغويين ومصنفي التجويد تدقيقا في المخارج مرت به التجارب الحديثة مرورا سريعا ولم تحفل بها."⁽³⁾ وينبغي التنبيه على أن الاختلاف الملحوظ بين القدماء والمحدثين، "لا ينبني عليه أي خطأ في شرح الظواهر الصوتية التركيبية وتعليلها."⁽⁴⁾

2- صفات الصوامت:

عرفنا في السابق مخارج الأصوات الصامتة، وهو شيء أساسي في التمييز بين الأصوات، لكننا نجد مجموعة من الأصوات التي تخرج من موضع واحد، وفي هذه الحالة يجب التمييز بين الأصوات التي اتحدت في المخرج، ولا بد من مقياس يوضح لنا الاختلاف بينها. وبعبارة أخرى فإن كل مجموعة من الأصوات مشتركة في مخرج واحد، تظل بالضرورة بحاجة إلى أساس آخر يفرق بين كل واحد منها، وهنا يأتي دور الصفات التي تتصف بها الأصوات، والتي تعتبر الأساس السمعي للفرق بينها.⁽⁵⁾

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 73

(2) ينظر رسالة أسباب حدوث الحروف: 114

(3) مبادئ اللسانيات: 68 و69

(4) ينظر المرجع نفسه: 69

(5) ينظر العربية معناها ومبناها: 67

وقد أشار إليها سيويه في قوله: "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والطاء ذالا".⁽¹⁾ وإلى هذا المعنى أيضا أشار أبو عبد الرحمان المازني^(*) (ت249هـ):
"إذا همست وجهرت وأطبقت وفتحت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد".⁽²⁾

ولهذا جرت عادة العلماء تقسيم الصوامت إلى أصناف ومجموعات لمعرفة طبيعتها وخواصها، ولتبسيط الدراسة وتسهيلها⁽³⁾.
وتختلف أسس التقسيم باختلاف وجهات النظر والقاعدة العامة هي تقسيم الصوامت إلى إعتبرات ثلاث:⁽⁴⁾

- (1) بحسب وضع الأوتار الصوتية من حيث ذبذبتها وعدمها.
- (2) بحسب مواضع النطق أو مخارج الأصوات.
- (3) بحسب حالة مرور الهواء والحوائل التي تعترضه عند النطق.

وتؤدي صفات الأصوات الصامتة المختلفة دورا بارزا في تعديل وجوه جملة أثناء عملية التزاوج والتشكيل الصوتي، فالصوامت، بصفاتها المختلفة، تخضع لتيارات التأثير الصوتية التي تهب عليها من الصوائت.⁽⁵⁾
وتتضح هذه الصفات كما يلي:

2-1- الصفات المزجوجة:

أ- الجهر والهمس: الجهر لغة مأً ظهر، وتقول جهرت القول، وجهرت به إذا

(1) الكتاب : 436/4

(2) أحكام قراءة القرآن : 79(*) المازني: أبو عثمان المازني البصري ، روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة وأبي زيد، وهو شيخ المراد، كان يقول : "من أراد أن يصنع كتابا في النحو بعد سيويه فليستح" ، ينظر بغية الوعاة: 463/1

(3) ينظر علم اللغة العام الأصوات : 87

(4) ينظر المرجع نفسه : 87 والوجيز : 161

(5) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل : 270.

أعلنته⁽¹⁾. أما اصطلاحاً فنجد سيبويه يعرف الصوت المجهور لأنه "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"⁽²⁾، ولم يخرج ابن جني عن هذا التعريف في كتابه (سر الصناعة) بل أعاد كلام سيبويه بحذافيره⁽³⁾.

وذهب آخرون إلى طرح تعريفات أخرى، فرأى ابن كسيان (ت 299 هـ) أن الصوت المجهور هو "ما لزم موضعه إلى قضاء حروفه، وحبس النفس أن يجري معه فصار مجهوراً، لأنه لم يخالطه شيء غيره"⁽⁴⁾ ويرى السكاكي "أن المجهور انحصار في مخرج الحرف"⁽⁵⁾.

وقد عد القدامى من الأصوات المجهورة تسعة عشر صوتاً، تميزت بوضوح في صوتها، فهي أصغى وأندى في السمع من نظائرها المهموسة، وهي: الألف والهمزة والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والذال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو.

وعرفوا المهموس بأنه حرف "أضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس"⁽⁷⁾، وحروفه هي: السين والكاف والثاء والتاء والفاء والحاء والهاء والشين والحاء والصاد، وجمعت في قولهم: سكت فحثة شخص. ويعرفها ابن دريد في قوله: "وسميت مهموسة لأنه اتسع لها المخرج، فخرجت كأنها متفشية، والمجهور لم

(1) ينظر اللسان مادة (جهر)

(2) الكتاب : 434/4 وشرح المفصل : 128/10

(3) ينظر سر الصناعة : 60/1 والمقتضب : 192/1 والأصول في النحو 399/3 والممتع في التصريف : 671/2

و672 والنشر 202/1

(4) اللسان مادة (جهر)

(5) مفتاح العلوم : 76، وينظر مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي : 303

(6) ينظر الكتاب : 434/4

(7) الكتاب : 434/4 وينظر سر الصناعة : 60/1 والمفصل : 394 وشرحه 129/10

يتسع مخرجها فلم تسمع لها صوتا. (1)

وقد أوضح علماء اللغة القدامى أن كلا من الجهر والهمس يمكن معرفته والحكم على الصوت به. عن طريق تكرار الصوت وتحريكه فإما أن ينطلق النفس، وإما أن ينحبس. يقول ابن جني: "وأنت تعتبر ذلك (أي الهمس) بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت، نحو: سسس، ككك، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك". (2)

أما المحدثون فيكادون يتفقون مع القدامى في هاتين الصفتين، فقد عرفوا الوترين الصوتيين وما لهما من علاقة بعملية الجهر والهمس (3). ولاحظوا "أنهما ينشآن من ذبذبة الوترين الصوتيين، وتأثرهما بالهواء الخارج من الرئتين وعدم تأثرهما وذبذبتهما". (4)

كما لاحظوا أيضا أن هذا التأثير مرتبط بفتحة المزمار في انقباضها وانبساطها، فإذا انقبضت هذه الفتحة ضاق مجرى الهواء واقترب الوتران الصوتيان، أحدهما من الآخر، فيؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز، وهذا يحدث مع الصوت المجهور. وإذا انبسطت فتحت المزمار اتسع مجرى الهواء وابتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر، بحيث لا يؤثر فيهما الهواء الخارج من الرئتين بالاهتزاز وهذا يحدث عندما يكون الصوت مهموسا. (5)

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف المجهور بأنه الصوت الذي يهتز معه الوتران

(1) جمهرة اللغة : 8/1

(2) سر الصناعة : 60/1

(3) ينظر أصوات اللغة العربية: 135

(4) ينظر المنهج الصوتي البنية العربية: 27

(5) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 20 و21.

الصوتيان ويتذبذبان.⁽¹⁾ والأصوات المجهورة في اللغة العربية كما ينطقها مجيدو القراءات اليوم هي: الهمزة والباء والجيم والذال والذال والراء والزاي والصاد والطاء والعين والغين واللام والميم والنون والواو والياء، وهي خمسة عشر صوتاً. والمهموس هو الصوت الذي ينفرج معه الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض أثناء مرور الهواء من الرئتين، بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه، ومن ثم لا يتذبذبان.⁽²⁾

والأصوات المهموسة كما ينطقها المختصون في اللغة العربية اليوم هي: السين والكاف والثاء والفاء والحاء والشين والخاء والصاد والقاف والطاء والعين والهاء. وقد أوجب العلماء طريقة تقليدية لتمييز المجهور عن المهموس، ومنها وضع الأصبع على تفاحة آدم، ثم النطق بالحرف، فإذا اهتز الوتران الصوتيان شعرنا بالاهتزاز، وهذا بالنسبة للأصوات المجهورة، وإذا لم يهتز لم نشعر بشيء عند النطق بالأصوات المهموسة.⁽³⁾

وقد أوضح بعضهم أنه يمكن "ذوق الحرف واعتبار صده بأن يأتي به ساكناً لا متحركاً، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، وبهذا يعرف مخرجه المحقق وصفته."⁽⁴⁾ أو بطريقة بسيطة وهي وضع الكف فوق الجبهة في أثناء النطق بالصوت فنجد رنيناً، ونحس به في الكف، وهذا الرنين ناشئ عن اهتزاز الوترين الصوتيين، مع الحرف المجهور ولا يحدث مع المهموس.⁽⁵⁾

(1) ينظر علم اللغة العام الأصوات : 87 واللغة لقنندريس: 51

(2) ينظر مبادئ في اللسانيات، حولة طالب الأبراهيمي: 58 ومبادئ اللسانيات: 82.

(3) ينظر الأصوات: 87

(4) ينظر سر الصناعة : 7/1 وفقه اللغة، علي عبد الواحد واني: 160 ودراسات في فقه اللغة : 278

(5) ينظر أصوات اللغة العربية: 137 وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مذكور : 117، دار الثقافة

للنشر - القاهرة 1987م

وما يمكن ملاحظته أن القدماء جعلوا ضمن الأصوات المجهورة ثلاثة أصوات مهموسة⁽¹⁾. هي كما يراها المحدثون، الهمزة والقاف والطاء.⁽²⁾ وقد ثارت حول هذه المسألة نقاشات متعددة لم يصل أي منها إلى يقين.⁽³⁾ حيث نجد الهمزة عند سيوييه وغيره من القدماء صوتا مجهورا.⁽⁴⁾ فابن جني يصرح بذلك قائلا: "اعلم أن الهمزة حرف مجهور"⁽⁵⁾. أما المحدثون فقالوا إنها مجهورة ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في وصفها، وذهب بعضهم إلى أنها مهموسة⁽⁶⁾. وذهب آخرون إلى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس.⁽⁷⁾

فالقائلون بالهمس ردوا ذلك إلى وظيفة الخنجرة المزدوجة، فذبذبة الأوتار الصوتية تنتج صفة الجهر، وعدم ذبذبتها تنتج صفة الهمس، ويدخل في عدم الذبذبة حالة الانحباس في الخنجرة وذلك في الهمزة⁽⁸⁾. ولاحظوا أيضا أنه "عندما يكون الانحباس في منطقة الخنجرة وهنا يكون الساكن الناتج من هذا الانحباس همزة، لا يمكن أن تظل الأوتار الصوتية على ذبذبتها لضرورة أن الانحباس في هذه الحالة يتم

(1) ينظر الكتاب 434/4 وسر الصناعة 60/1 والمتع في التصريف 672/2 والنشر 202/1.

(2) الاصوات اللغوية إبراهيم أنيس: 21 ومبادئ اللسانيات 82

(3) ينظر نقاشا لهذه المشكلة في الوجيز في فقه اللغة 200-218 وينظر المدخل إلى علم اللغة: 75-81

(4) ينظر الكتاب: 434/4

(5) سر الصناعة: 69/1

(6) ينظر مناهج البحث، تمام حسان: 97 وأصوات اللغة لعبد الرحمن ايوب: 183 والمدخل إلى علم اللغة

لرمضان عبد التواب: 56 وهؤلاء ربما تأثروا بهفنز R.M.Heffner القائل بأنه صوت مهموس دائما في كتابه

général phonetics ص 125 نقلا عن القراءات القرآنية: 24 وينظر الصوتيات، ما ليرج Malberg: 111

ترجمة: محمد حلمي هايل.

(7) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 91 والاصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 123 واللهجات

العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي: 144 وقد أخذ هؤلاء بتفسير دانيال جونز D. Djonss في كتابه:

138 : An outline of english phonetics

(8) ينظر القراءات القرآنية: 24 نقلا عن هفنز: 125

بانطباق الأوتار الصوتية انطباقا تاما وهو أمر يناقض التذبذب".⁽¹⁾ ومن أجل هذا أقرّوا بأن الهمزة صوت مهموس.

ويصر البعض على أنها صوت مهموس: "ويأتي حكمها بهمس هذا الصوت، من ناحية أن الأوتار الصوتية معه، تغلق تماما، فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر".⁽²⁾

وأما القائلون بأنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، فقد بنوا مذهبهم من أن للحنجرة ثلاث وظائف: انحباس الهواء وذلك في الهمزة وحدها، والانفتاح دون ذبذبة وذلك في المهموسات، أي انطلاق الهواء دون اهتزاز الأوتار، والانفتاح مع الذبذبة وذلك في المجهورات.⁽³⁾ وهي بالنسبة للأستاذ تمام حسان من المستحيل أن تكون مجهورة، إذ يقول: "وهو أمر مستحيل استحالة مادية، مادامت الأوتار الصوتية مقفلة في أثناء نطقه، ولكن هذا الصوت قد يأتي مسهلا، أي أن إقفال الأوتار الصوتية ربما لا يكون تاما حين النطق به ... وفي حالة التسهيل هذه يحدث الجهر، ولكن المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية - همزة - بل تضيق حنجري أشبه بأصوات العلة منه بهذا الصوت".⁽⁴⁾ والواضح أنه لا تعارض بين الرأيين، فكلاهما نقد ينفي عن الهمزة صفة الجهر⁽⁵⁾. ولكن قد تتبع بعض المحدثين، على نذرهم، القدماء في وصف الهمزة بالجهر.⁽⁶⁾

ومن الأصوات التي اختلفت في وصفها: القاف، على الرغم من اتفاقهم على

(1) أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 183

(2) المدخل إلى علم اللغة الأصوات: 56، وينظر الصوتيات: 111

(3) ينظر دانيال جونز An outline of english phonetics: 138 والقراءات القرآنية 24.

(4) مناهج البحث: 97

(5) ينظر القراءات القرآنية: 24

(6) ينظر دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: 281

مخرجها وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيها من الحنك الأعلى. (1) وصفها اللغويون
القدامى بالجهر، ولكن تبين للمحدثين أنها مهموسة. (2)

وقد وصف القدامى الطاء بأنها صوت مجهور، ورأى المحدثون أنها صوت
مهموس، وليس يعني ذلك أن أحد الفريقين تجاوز الصواب في رأيه بل كل منهما
مبني على أساس النطق الذي وصل إليه، ويتضح من وصف القدامى لها بالجهر أن
هذا الصوت كان نطقه شبيها بنطق الضاد المعروفة اليوم. (3)

وقد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا ذا شأن غير من طبيعتها
الصوتية. (4) ويقول كانتنوا في هذا الصدد: " فسرى فيما بعد أن القاف والطاء
ربما كانا في الأول حرفين مجهورين (SONORES) في قسم من أقسام العربية القديمة
على الأقل. أما الهمزة فمن الممكن أن يكون اتصالهما المتواتر بالألف قد جعلهم
يعتبرونها خطأ مجهورة" (5). ويرى بعضهم أنه ربما تطور القاف إلى الجيم من الأدلة
أن القاف كانت في الأصل القديم مجهورة (6). ويعللون أيضا بأن اللغويين القدامى
ربما وصفوا القاف الشبيهة بالكاف الفارسية أو الجيم القاهرية، فإذا صح ذلك
كان جعلهم لها مجهورة صحيحا. (7)

ومع أن عدد الأصوات المجهورة والمهموسة يكاد يساوي الآخر، فإن نسبة
ورود كل منهما في الكلام ليست كذلك، لأن الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية

(1) ينظر أصوات اللغة العربية: 153 والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 88

(2) ينظر علم اللغة، محمود السعران : 160، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية - حلب، 1415هـ/1994م

(3) ينظر أصوات اللغة العربية : 156 وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة : 118

(4) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 85

(5) دروس في أصوات العربية : 35

(6) ينظر التطور اللغوي، رمضان عبد التواب: 28، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط2، 1990

(7) ينظر الأصوات : 110

في كل كلام مجهزة في حين أن الأصوات المهموسة لا يكاد يزيد شيوعها في الكلام على عشرين أو خمسة وعشرون في المائة.⁽¹⁾ وسيطرح هذا الأمر حينما نقوم بإحصاء أصوات السورة معتمدين على جهاز الكمبيوتر .

ب- الشدة والرخاوة : الشدة لغة الصلابة وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض.⁽²⁾ والرخاوة لغة اللين⁽³⁾ . والشديد هو "الذي يمنع الصوت أن يجري فيه".⁽⁴⁾ وبمعنى آخر هو كمال انجباس جري الصوت عند النطق بالصوت لكمال قوة اعتماده على مخرجه .⁽⁵⁾ والرخاوة هو لين الصوت وجريانه عند التلفظ به، لضعفه وضعف الاعتماد عليه في مخرجه.⁽⁶⁾

فمعيار الصوت الشديد هو الإقفال المحكم في المخرج ثم الفتح المفاجئ والتسريح السريع للهواء، وهذا لا يحدث مع الصوت الرخو ، الذي يمر الهواء فيه دون عائق. وبين هتين الصفتين نجد صفة التوسط، وهو الذي بين الشدة والرخاوة ومعناه في اللغة الاعتدال.⁽⁷⁾ وفي الاصطلاح مترلة بين تمام الانحصار وتمام الجري.⁽⁸⁾ وللمحدثين في هذه الصفات مصطلحات جديدة، إلا أنها لا تخرج عما

(1) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 21

(2) ينظر اللسان مادة (شدد)

(3) ينظر المصدر نفسه مادة (رخى) ، والرخاوة يجوز فيها تثليث الراء، تأتي بالكسرة والضمة والفتحة،

والكسرة أشهر ، فيقال : الرخاوة ،الرخاوة، والرخاوة

(4) الكتاب 434/4 وسر الصناعة :61/1 والمفصل: 395 وشرحه : 129/10 والدقائق المحكمة: 39

(5) ينظر أحكام قراءة القرآن :86

(6) ينظر الكتاب: 434/4 وسر الصناعة :61/1 والمفصل : 395 وشرحه 129/10 والمقتضب:1/194 والمتع

في التصريف: 672/2

(7) ينظر تاج العروس : مادة (وسط)

(8) ينظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي: 161

ذكره القدماء فيما تتضمنه من تصور لصدور الأصوات متصفة بوضع نطقي خاص.⁽¹⁾ فقد لاحظوا أن مخرج الصوت يكون عند التقاء عضوين من أعضاء النطق يتصل أحدهما بالآخر اتصالاً محكماً في بعض الأحيان. وفي البعض الآخر اتصالاً غير محكماً فإذا التقيا التقيا محكماً فإن الهواء المندفع من الرئتين ينحبس عندهما لحظة من الزمن، ينفصلان بعدها انفصالاً فجائياً ينشأ عنه سماع صوت انفجاري هو ما اصطلاح القدماء على تسميته بالصوت الشديد.⁽²⁾

وإذا التقى عضو النطق التقاء غير محكم لم ينحبس الهواء المندفع من الرئتين، بل يكون بين العضوين فراغ يسمح للهواء بالمرور فيحدث نوع من الخفيف نتيجة احتكاك الهواء بعضوي النطق حينئذ.⁽³⁾ وقد يسمح التقاء العضوين للهواء بالمرور دون إحداث أي خفيف أو صفير نتيجة لاتساع مجرى الهواء، ويحدث ذلك مع بعض الأصوات.⁽⁴⁾

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذين المصطلحين (الشدة والرخاوة) عرفا لدى علماء العربية منذ أن أطلقها سيبويه حتى العصر الحديث، لكن هناك مصطلحان جديداً أطلقهما الفراء وهما: الأخرس للصوت الشديد والمصوت للصوت الرخو.⁽⁵⁾

وهكذا نرى أن تغير شكل المخرج عند حدوث الصوت ينتج لنا أربعة أنواع من الأصوات، وهي: شديد (انفجاري)، ورخو (احتكاكي)، ومتوسط (مائع)

(1) ينظر أصوات اللغة العربية: 142.

(2) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 24 و25

(3) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 164 و165

(4) ينظر المرجع نفسه: 165 والمنهج الصوتي للبنية العربية: 28

(5) ينظر ما ذكره الكوفيون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافي، 43 تحقيق: صبيح التميمي، دار شهاب للطباعة

والنشر - الجزائر

ومزدوج (مركب)، قسمت هذه الصفات بحسب درجة الانسداد.

● الأصوات الانفجارية: (OCCLUSIF) وفيه تنقبض أعضاء النطق، ويلتقي

بعضها ببعض في المخرج، في التحام تام لا يسمح للهواء بالنفوذ إلا بعد أن
ينفصل بعضهما عن بعض انفصالا مفاجئا. ⁽¹⁾ والأصوات العربية الانفجارية أو
الشديدة هي الباء، والتاء، والذال، والضاد، والطاء، والكاف، والقاف،
والهمزة. ⁽²⁾

● الأصوات الاحتكاكية: (CONSTRUCTIF) وفيه تتقارب أعضاء النطق في

المخرج تقاربا شديدا بحيث لا تترك للهواء سوى منفذ ضيق يمر منه محدثا
باحتكاكه بأعضاء النطق صوتا ضعيفا يشبه صوت الحفيف، وهذه الآلية في
النطق تدعى الاحتكاك ⁽³⁾. والأصوات المنبعثة بواسطتها هي: التاء، والحاء،
والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والعين، والغين،
والفاء، والهاء. ⁽⁴⁾

● الأصوات المائعة: (LIQUIDES) وهذه آلية نطقية أخرى يكون فيها الانسداد

الفموي تاما بحيث لا يسمح للهواء بالمرور، ولكن الهواء لا يتراكم خلف
المخرج لينفجر عند انفصال أعضاء النطق، بل يتخذ طريقه في الأنف، بعد أن
يكون حجاب الحنك الأعلى قد ارتخى وفتح له طريق الحفر الأنفية. والصوتان
العربيان اللذان يحدثان بهذه الطريقة هما صوتا: الميم والنون ⁽⁵⁾

(1) ينظر محاضرات في اللسانيات العامة: 62 وعلم اللغة بين التراث المعاصرة 118 وتسمى أيضا انسدادية أو

وقفية، ينظر ماريو باي، أسس علم اللغة: 82 والكلام إنتاجه وتحليله: 250

(2) ينظر الأصوات: 98

(3) الوجيز في فقه اللغة: 165 ومبادئ في اللسانيات 57 والكلام إنتاجه وتحليله: 249

(4) ينظر مناهج البحث: 67-103 والأصوات: 98

(5) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 166، ومبادئ في اللسانيات: 58 والتطور النحوي: 15

وأما صوتا اللام والراء فلا يحدث حجز كامل للهواء، وإنما يعترض طريق الهواء في جزء من الفم مع السماح له بالانسياب في حرية كاملة، في جزء آخر منه كما هو الشأن مع اللام، أو يحجز الهواء عدة مرات وبين كل مرة وأخرى يسمح له بالمرور السهل كما هو الشأن مع الراء⁽¹⁾.

• الصوت المركب: AFFRICATE : يختلط صوت انفجاري بنوع من

الحفيف، وهو صوت الجيم العربية،⁽²⁾ أي في مرحلتها الأولى والثانية تشبه آلية الانفجار تماما، حبس ثم إمساك والتحام، فيما يحدث في آلية الانفجار من انفصال مفاجئ لأعضاء النطق، بل يحدث هذا الانفصال بصورة تدريجية.⁽³⁾ أو هو كما يقول فندريس: "... ولكن هذا الحبس تتبعه حركة خفيفة من الفتح في مجال يجعل الانفجاري ينتهي بالاحتكاكي، وهو بذلك مشروع انفجار فاشل".⁽⁴⁾

وهناك أصوات تحولت من الشدة إلى الرخاوة، كما تحول بعضها من الرخاوة إلى الشدة، فالأصوات الشديدة عند القدماء هي: الباء، والتاء، والذال، والطاء، والجيم، والكاف، والهمزة،⁽⁵⁾ وقد جمعوها في قولهم: أجدت طبقك. والأصوات الرخوة عندهم هي: الفاء، والثاء، والذال، والظاء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والحاء، والغين، والحاء، والهاء.⁽⁶⁾

(1) ينظر علم اللغة بين التراث والمعاصرة: 120 وأضواء على الدراسات المعاصرة: 262 والمنهج الصوتي للبنية العربية: 27

(2) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 24

(3) ينظر الوجيز: 165 والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 145

(4) اللغة لفندريس: 56

(5) ينظر الكتاب: 4/434 والمقتضب: 1/196 والمفصل: 395 وشرحه: 10/129

(6) ينظر المصادر نفسها والدور اللوامع: 217

والأصوات المتوسطة بقية الأصوات العربية وهي : اللام، والميم، والنون، والراء،
والعين،⁽¹⁾ وجموعها في قولهم : لن عمر . وزاد بعضهم على هذه الأصوات ، الواو
والياء والألف ، وجموعها في قولهم : كم يروعنا ، أو لم يروعنا .⁽²⁾
ويمكن أن نستنتج من هذا أن صوت الجيم في نظر القدماء صوت شديد في
حين أنه صوت مركب بين الانفجار والاحتكاك؛⁽³⁾ لأن وصف الشدة لا ينطبق
على الجيم الفصيحة كما هي في نطق مجيدي القراءات القرآنية اليوم، يؤكد هذا ما
ذهب إليه ابن سينا الذي عدها صوتا مركبا بين صفتي الشدة والرخاوة.⁽⁴⁾ ويمكن
تخريج قول سيويه أنه عد الجيم شديدا وذلك نظرا إلى المرحلة الأولى من إخراج
إذ تلتقي فيه مقدمة اللسان بالغار التقاء محكما، وفي هذا تشبيه الجيم بباقي
الأصوات الشديدة، أما في المرحلة الثانية فتختلف الجيم عن غيرها من الشديدة،
لخروج الهواء متباطئا متراخيا محتكا لتشكل الجيم المعطشة .
وعد القدماء صوت الضاد رخو، في حين أنه انفجاري عند المحدثين،⁽⁵⁾
وظنوا صوت العين من الأصوات المتوسطة في حين لم يتضح للمحدثين أمره .⁽⁶⁾
فالضاد الحديثة ينطبق بها عند انطباق " اللسان على الحنك الأعلى متخذا شكلا
مقعرا كما يرجع إلى الوراة قليلا "،⁽⁷⁾ وهو صوت انفجاري لأن الهواء ينحبس عند
التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع

(1) ينظر الكتاب: 4/435 والنشر : 1/202 والدور اللوامع: 217

(2) ينظر سر الصناعة : 1/61 وشرح المفصل: 10/129

(3) ينظر الأصوات : 98

(4) ينظر أسباب حدوث الحروف: 75 و 188

(5) ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 145

(6) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 48 ومناهج البحث: 102. حيث أتضح لمؤلفه تمام حسان بصورة

الأشعة أنها صوت رخو، وتابعه في ذلك غيره

(7) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 48

الصوت الانفجاري .⁽¹⁾

ولعل السر في اعتقاد القدامى أن صوت العين متوسط هو "ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا قورنت بالغين. وضعف حفيفها بقربها من الميم والنون واللام ويجعلها من الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين".⁽²⁾

ج-الإطباق والانفتاح : والإطباق هو أن يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعد على هيئة مغلقة بينما يكون طرفه ملتحما مع جزء آخر من الفم، مشكلا مخرجا من المخارج الصوتية المختلفة.⁽³⁾ وقال فيه سيويه: "الحروف المطبقة وهي التي إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حذى الحنك الأعلى، فإذا وضعت لسانك، فالصوت محصور فيما بين اللسان في الحنك إلى موضع الحروف وهي، الصاد، والضاد، والطاء، والظاء".⁽⁴⁾ وعرفه ابن جني بقوله: "أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا".⁽⁵⁾ فهذه الكيفية الخاصة للسان أثناء عملية النطق، تعطي الصوت المنطوق تابعا خاصا من الفخامة.⁽⁶⁾

(1) ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 48

(2) ينظر المرجع نفسه: 89

(3) ينظر الوجيز في فقه اللغة : 168

(4) الكتاب: 4/436 وينظر العربية، يوهان فك: 111، ترجمت رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي -

القاهرة، 1400/1980هـ.

(5) سر الصناعة: 1/61، وهذا ما ذهب إليه القدامى من أمثال الرضي في شرح الشافية: 3/262 والزجاجي

في الحمل في النحو: 413 وابن السراج في الأصول في النحو: 3/403

(6) ينظر الوجيز: 168

والانفتاح من فتح نقيض الإغلاق،⁽¹⁾ وسميت الحروف منفتحة، لأنك " لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى⁽²⁾؛ أي يفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى، بحيث يسمح بجران الهواء دون عائق عند النطق بها⁽³⁾ وهي كل الأصوات ما عدا الأصوات المطبقة.⁽⁴⁾

د- الاستعلاء والاستفال : والاستعلاء خروج الصوت من أعلى الفم ، وذلك لعلو اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى.⁽⁵⁾ وعرفه ابن جني بقوله: " أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها."⁽⁶⁾

إذا فحروف الاستعلاء سبعة، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والحاء، والقاف.⁽⁷⁾ أما الاستفال لغة فهو من سفل، السفل والسفل والغين والسفل بالضم نقيض العلو. قال ابن سيده (ت 458هـ) الأسفل نقيض الأعلى⁽⁸⁾، أما اصطلاحاً فيقال الصوت المستفل أو المنخفض، وهو ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع⁽⁹⁾. فيكون عمله في مستوى قاع الفم وأصوات الاستفال كما يراها علماء الدراسات الصوتية القدماء والمحدثون⁽¹⁰⁾، هي: الهمزة، والباء، والتاء،

(1) ينظر اللسان مادة (فتح)

(2) الكتاب: 434/4 وينظر الأصول في النحو: 404/3.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لـ: د. عبد القادر عبد الجليل: 273.

(4) ينظر الكتاب: 436/4.

(5) ينظر دراسات في فقه اللغة: 282.

(6) سر الصناعة: 62/1.

(7) ينظر محاضرات في فقه اللغة: 69 وأصوات اللغة العربية: 145.

(8) ينظر اللسان مادة (سفل).

(9) ينظر شرح الشافية: 262/3.

(10) ينظر سر الصناعة: 62/1 وشرح المفصل: 129/10 ودراسات في فقه اللغة: 282.

والثاء، والجيم، والحاء، والذال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والعين،
والقاف، والكاف، واللام، والنون، والهاء، والواو، والألف، والياء.

هـ- الذلاقة والإصمات: الذلاقة في اللغة هي حدة اللسان وبلاغته وذرايته⁽¹⁾،

"والذلق طرفه المستدق"⁽²⁾، وفي الاصطلاح تعني خفة الصوت وسهولة النطق به⁽³⁾.

وهي صفة يشترك فيها مجموعة من الأصوات، جمعها قولهم: "فذ من لب".

وسميت هذه الحروف "ذلقا، لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان

والشفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقة... وثلاثة شفوية..."⁽⁴⁾

ومما هو معلوم أن هذه الأصوات لا يكاد يخلو منها بناء رباعي أو خماسي في

العربية، لخفتها وسهولتها، ومتى وجدت كلمة معرأة من أحد هذه الأصوات أدركت

أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب.⁽⁵⁾ وتعليل وجود هذه القاعدة

في العربية الفصحى راجع لخفة هذه الأصوات وسهولة جريانها أثناء النطق⁽⁶⁾.

والإصمات معناه في اللغة: المنع، لأنه من صمت، إذا منع نفسه من

الكلام⁽⁷⁾. وفي الاصطلاح منع انفراد هذه الحروف أصولا في كلمة تزيد عن ثلاثة

أحرف بأن كانت أربعة أو خمسة.⁽⁸⁾ وسميت مصممة لأنها أصممت، أي منعت أن

تختص ببناء كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها⁽⁹⁾. وعلة ذلك أن هذه الحروف

(1) ينظر مقاييس اللغة مادة (ذلق).

(2) الجمهرة: 7/1.

(3) ينظر فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي: 168 وفقه اللغة المقارن لإبراهيم السامرائي: 134.

(4) العين: 51/1.

(5) ينظر المصدر نفسه: 52/1.

(6) ينظر شرح الشافية: 262/3.

(7) ينظر اللسان مادة (صمت).

(8) ينظر أحكام قراءة القرآن: 96.

(9) ينظر الجمهرة: 7/1.

صعبة على اللسان، وهي الأحرف الهجائية الباقية ما عدا الستة المذلقة⁽¹⁾.

إذن هذه هي الصفات التي تتسم بها الصوامت العربية، بحسب التقابل بمعنى

لكل ضد، وهي خمسة صفات، وضدها كذلك.⁽²⁾ ونعرض الآن للصفات الفرادية التي لا ضد لها.

2-2 الصفات الأحادية:

أ-الصفير: وهي صفة لثلاثة أصوات، وهي: الزاي، والسين، والصاد. وسميت

صفيرية، لأنها " تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان، فينحصر الصوت هناك إذا

سكنت كصفير الطائر"⁽³⁾. ويلاحظ أن هذه الأصوات الثلاثة هي نفسها الأسلية

نسبة إلى مخرجها من أسلة اللسان، والصفير نسبة للصفة⁽⁴⁾. وتميز هذه الأصوات

"بالحدة وشدة الوضوح السمعي واحتكاكيتها، وإن لم تبلغ مبلغ الصوائت"⁽⁵⁾.

ب-التفشي: صفة للشين، تشير إلى كثرة انتشار الهواء بين اللسان والحنك، لأن

منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالسين، ولذلك لا

يسمع لخروج الهواء حين النطق بالشين ذلك الصفير الملحوظ حين النطق بالسين.⁽⁶⁾

ولولا التفشي "لصارت الشين سينا كما يحدث لدى بعض ذوي العيوب النطقية،

ولاسيما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممن حولهم من الكبار"⁽⁷⁾.

ج-الاستطالة: وهي "امتداد الصوت بالضاد من أول حافة اللسان إلى

(1) ينظر دراسات في فقه اللغة: 284.

(2) ينظر أحكام قراءات القرآن: 82.

(3) دراسات في فقه اللغة: 282-283.

(4) ينظر فقه اللغة، لعلي عبد الواحد وافي: 160.

(5) أسس علم اللغة، لماريو باي: 85-القااهرة، 1983.

(6) ينظر مبادئ اللسانيات: 88.

(7) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 275.

آخرها"،⁽¹⁾ أي أن يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر، وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة التي تخرج مما بين جانب اللسان وبين ما يليه من الأضراس، وهذا المخرج القديم للضاد كان يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام.⁽²⁾

د- التكرار: صفة تطلق على صوت الراء في اللغة، وذلك أنك إذا "وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير، ولذلك أحتسب في الإمالة بحرفين".⁽³⁾ أما السيوطي فيقيد القول في هذه الصفة اللازمة لصوت الراء قائلاً: "وسمي الراء المكرر، لأنها تتكرر على اللسان عند النطق بها، لأن طرف اللسان يرتعد بها، فكأنك نطقت بأكثر من حرف واحد".⁽⁴⁾

وقد عد سيبويه الراء صوتاً مكرراً من الأصوات الشديدة⁽⁵⁾، لأنه ربما كان "يستشعر في صفة التكرير نوعاً من القوة المضافة إلى بنية هذا الصوت".⁽⁶⁾

فالنحاة العرب قد أجمعوا على وصف الراء بحرف تكرر أو مكرر.⁽⁷⁾ أما اللسانيون المحدثون من العرب والأجانب العاملين في ميدان اللغة العربية فإنهم ينقسمون إلى مجموعتين: المجموعة الأولى وهي أقل المجموعتين عدداً تصفه بالراء المستقلة.⁽⁸⁾ وأما المجموعة الثانية فإنها تصفه بالراء المكرر.⁽⁹⁾

(1) دراسات في فقه اللغة: 283.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 275.

(3) سر الصناعة: 63/1.

(4) همع الهوامع: 230/2.

(5) ينظر الكتاب: 435/4.

(6) الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 277.

(7) ينظر الكتاب: 435/4 وسر الصناعة: 63/1 والمفصل: 396 وشرحه: 130/10 والهمع: 230/2 والنشر: 204/1.

(8) ينظر أصوات اللغة: 66. والمستلة مصطلح ذكره محمود السعران في علم اللغة: 171.

(9) ينظر المناهج: 104 والأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: 67 ودروس في علم الأصوات: 38 والوجيز: 191

وأسس علم اللغة: 86. وينظر هذه المسألة بالتفصيل في دراسة الدكتور إدوار يوحنا تحت عنوان: "الراء في

العربية دراسة صوتية" نشرت في مجلة اللسان العربي: 80 و81.

هـ - الانحراف LATERALE: (الجانبى) والانحراف لغة من حرف، نقول انحرفت عن الشيء، وحرفته أنا عنه إذا عدلت به عنه.⁽¹⁾ والانحراف صفة تميز بها صوت اللام عن باقي الأصوات.⁽²⁾ يقول عنه سيبويه بأنه: "حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت. ولم يعترض على الصوت كاستعراض الحروف الشديدة وهو اللام، وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك."⁽³⁾

وسمي كذلك لانحرافه عن مخرجه إلى مخرج غيره، وعن صفته إلى صفة غيره، وبذلك شارك أكثر الأصوات مخرجها.⁽⁴⁾ ويعبر عن الانحراف في الدرس الحديث بالجانبى.⁽⁵⁾ وهناك أيضا من وصف صوت الراء بالانحراف، لأن اللسان ينحرف عند النطق بها.⁽⁶⁾

و- القلقلة: ومعناها في اللغة التحرك والاضطراب، يقال قلقل الشيء، وقلقلة وقلقالا فتقلقل، أي حركه فتحرك.⁽⁷⁾ وإنما سمي كل حرف من الحروف السابقة متقلقلا، لأنك "لا تستطيع أن تقف إلا مع الصوت لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتا، كأنهم الذين يرمون الحركة."⁽⁸⁾ وبعبارة أخرى فإن الصوت المتقلقل هو ذاك الصوت الذي يصحبه ضغط اللسان في مخرجه في الوقف مع شدة

(1) ينظر مقاييس اللغة مادة (حرف).

(2) ينظر دروس في علم الأصوات: 38.

(3) الكتاب: 435/4.

(4) ينظر همع الهوامع: 230/2.

(5) ينظر مبادئ اللسانيات: 87.

(6) ينظر دراسات في فقه اللغة: 283.

(7) ينظر اللسان مادة (قلقل).

(8) الكتاب: 174/4 وينظر شرح المفصل: 128/10.

الصوت المتصعد من الصدر، ويكون هذا الضغط مانعا لخروجه، فيحتاج إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يتسنى سماعه⁽¹⁾. والأصوات المتقلقلة خمسة، جمعت في قولهم: "قطب جد"^(*)، وهي: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والdal. كما اتفق عليه معظم اللغويين القدامى والمحدثين.⁽²⁾

وتنطبق هذه الصفة على "الحروف التي لها صوت شديد الوقع، لأنها جمعت بين الجهر والشدة، أي أنها تتمثل في خمسة أحرف شديدة ومجھورة"⁽³⁾، فهذه الأصوات تحتاج لبروزها وإظهارها، والشدة على مخرجها بإضافة صوت مختلف إلى الصوت المقلقل، حيث يوقف عليه.⁽⁴⁾

وعن سبب وصف هذه الأصوات الخمسة بذلك يقول ابن الجزري معللا هذه التسمية: "وسميت هذه الحروف بذلك، لأنها إذا سكنت ضعفت فاشتبهت بغيرها، فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه النبرة، حال سكوتهم أبين منه في حركتهم، وهو في الوقف أمكن. وأصل هذه الحروف القاف، لأنه لا يقدر أن يؤتى به ساكنا إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه"⁽⁵⁾.

ويذهب إلى إسهام آخر مضيفا صوت الهمزة، بناء على شدتها، إلى أصوات القلقلة لكنه يصرح بأن جمهور اللغويين نأوا عن ذلك لما يعثرها من التخفيف في حالة السكون.⁽⁶⁾

(1) ينظر شرح الشافية: 263/3.

(*) القطب ما عليه مدار الأمر.

(2) ينظر المفتضب: 196/1 وسر الصناعة: 63/1 ودروس في علم الأصوات: 37 والأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 277.

(3) ينظر دروس في علم الأصوات العربية: 37 والأصوات: 116.

(4) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 277.

(5) النشر: 203/1.

(6) ينظر المصدر نفسه: 203/1.

ز- الإشراب: لغة خلط لون بلون، كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر. وقال بعض النحويين من المشربة حروف يخرج معها عند الوقوف عليها نحو النفخ، إلا أنها لم تضغط ضغط المحقورة، وهي: الزاي، والطاء، والذال، والضاد.⁽¹⁾

والمشربة نوعان المتقلقة، وأصواتها: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والذال. والمنفوخة وأصواتها: الطاء، والزاي، والذال، والصاد. وقد عبر عنها سيبويه بقوله: "اعلم أن من الحروف، حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقة".⁽²⁾

ويكون الجهد المبذول أقل من سابقتها لأنها لم تضغط، ضغط المتقلقة لافتقارها إلى الشدة، ونتيجة لرخاوتها لا تتبع بصويت وإنما بنفخ.⁽³⁾

وبناء على ما تقدم، نتبين أن الفرق بين الأصوات المشربة المتقلقة، والمشربة المنفوخة يكمن في الجهد، لأن إخراج أحد هذه الأصوات على طبيعتها وهو ساكن يتطلب اتباعه صوتا، وهذا ما يحدث مع صوت الجيم مثلا كي يحافظ على جهره، وحتى لا يتحول إلى نظيره المهموس الشين، فيدعم بصويت يزيد في تأكيد جهره، ولكن بمجرد إدراجنا إياه في سياق معين ووصله بما بعده، فإنه يفقد هذا الصوت، لأن الإدراج يستهلك ويقتل الصوت المصاحب للصوت المتقلقل جيما كان أو غيره من المتقلقة.⁽⁴⁾

وقد لاحظ القراء أيضا مدى سرعة تأثر هذه الأصوات في حالة سكوتها، إذ تتحول إلى نظائرها المهموسة، فمثلا الطاء إذا فقدت جهرها تحولت إلى ثاء والزاي إلى سين، وعلى هذا الأساس آثروا الإشراب إما قلقة أو نفخا، وذلك للحيلولة

(1) ينظر اللسان مادة (شرب).

(2) الكتاب: 174/4 وينظر شرح المفصل: 128/10.

(3) ينظر المصادر نفسها والصفحات نفسها.

(4) ينظر الكتاب: 175/4.

دون انقلابها إلى نظائرها المهموسة. ويبدو هذا جليا في قول ابن الجزري: "حروف القلقة خمسة يجمعها لفظ قطب جد بتخفيف ... سميت حروفا بذلك، لأنها حين سكونها تتقلقل..."⁽¹⁾

ع- المهتوتة: صفة تطلق على الهاء لما فيها من الضعف والخفاء، فنحتاج إلى النطق الموضح لها وهو الهت. *⁽²⁾ ويجعل ابن الجزري الهاء من الحروف الخفية ومعها حروف المد، لأنها تخفى في اللفظ إذا تدرجت بعد حرف قبلها والخفاء الهاء قويت بالصلة، وقويت حروف المد بالمد عند الهمزة.⁽³⁾

ط- الغنة: وهي "حروف صوت الحرف من الخيشوم"⁽⁴⁾ وحروفه الميم والنون، لأنه قد يعتمد لهما في الفم، والخياشيم فتصير فيهما غنة.⁽⁵⁾

وتنتشر صفات صوتية أخرى في كتب اللغويين، كالحرف الحي، وهو الصوت الذي يقبل الصوائت الثلاثة القصيرة، والميت الذي لا يقبلها. قال المازني: "الهمزة حرف حي متحرك والألف ساكنة..."⁽⁶⁾ وقال سيبويه: "وإنما يمنعك أن تجعل السواكن بين وبين أنها ميتة."⁽⁷⁾

وهذه الصفات منها القوي والضعيف، فصفات القوة، هي: الجهر والشدة

(1) النشر: 203/1، وينظر الدقائق المحكمة: 42.

(2) ينظر أصوات اللغة العربية: 146. (* ويجعل ابن يعيش والأسترباذي المهتوت التاء. ينظر شرح المفصل:

131/10 وشرح الشافية: 264/3 والممتع في التصريف: 676/2.

(3) ينظر النشر: 204/1.

(4) ينظر أصوات اللغة العربية: 147.

(5) ينظر المصدر نفسه: 147.

(6) المنصف لابن جني: 83/2.

(7) الكتاب: 544/3.

والاستعلاء والإطباق والإصمات والصفير والقلقلة والانحراف والتكزير والغنة.
وصفات الضعف هي الهمس، والرخاوة والاستفال والانفتاح والذلاقة والخفاء.

الطبيعة الصوتية للصوائت:

أولاً - مخارجها وصفاتها:

وتمثل الأصوات الصائتة (VOYLLS) القسم الثاني من الفونيمات التركيبية أو الأصوات اللغوية التي تشكل بينة اللغة العربية. وقد سميت بأسماء مختلفة، وكلها تصب في مجرى واحد، وهي: الأصوات اللينة والأصوات الطليقة وحروف المد، والمصوتات وحروف العلة والأصوات الصائتة، والحركات والأصوات المتحركة.⁽¹⁾

وتتمثل هذه الأصوات في: الألف والواو والياء المديتان، والفتحة والضممة والكسرة. ومع أنه عنصر رئيسي في اللغات، وهي الأكثر شيوعاً، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية إذ لم يتفطنوا بأنها تدخل في بناء الكلمات.⁽²⁾

وتنقسم الصوائت إلى الطويلة والقصيرة، فالطويلة سماها القدامى حروف المد،⁽³⁾ وهي الألف والواو والياء إذا سكنت مع مجانسة الحركة السابقة لها مثل: وجيل، سود، نور، باع، قال، والألف حرف مد دائماً، لأنها لا تقع إلا بعد فتحة، وهي الحركة المجانسة لها وإلا غيرت إلى حرف آخر والواو إن سبقت بضممة والياء إن سبقت بكسرة.⁽⁴⁾

(1) الأصوات اللينة عند إبراهيم أنيس، وحروف المد عند ابن جني، الطليقة عند الأنطاكي، وحروف العلة عند تمام حسان، والأصوات الصائتة عند محمود السعران والحركات عند رمضان عبد التواب.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 37 والتطور النحوي: 53.

(3) ينظر سر الصناعة: 17/1 و18. والمقتضب: 196/1.

(4) ينظر أصوات اللغة العربية: 92.

وقد وصف ابن جني الأصوات الثلاثة باتساع المخارج⁽¹⁾، مما يؤكد أنها تنطلق مع الهواء دون عائق في أية منطقة من مناطق النطق، سواء في الحلق أو الفم أو الشفتين، وإلى هذا أشار قبله - الخليل - حيث جعلها تخرج من الجوف وسماها حروفا هوائية.⁽²⁾

والأصوات الصائتة هي الأصوات التي يحدث في تكوينها، "أن يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فيضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الشديدة"⁽³⁾. ويعرفها دنيال جونر بأنها أصوات يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يعترضه حائل⁽⁴⁾.

وقد استطاع ابن جني تبيين الحروف الثلاثة من حيث كيفية النطق بها وموقعها في الحلق واللسان والشفتين، فقال: "إن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء، والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث أحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جني اللسان ... وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين..."⁽⁵⁾

وعد القدامى الحركات أبعاض حروف المد، فكما أن هذه الحروف هي ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، يقول ابن جني: "اعلم أن الحركات أبعاض

(1) ينظر سر الصناعة: 8/1.

(2) ينظر العين: 64/1، 65.

(3) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 26، وينظر مبادئ اللسانيات: 58 وأضواء على الدراسات المعاصرة: 261.

(4) ينظر: D. Jones. An outline of english phonetics: 97 ومدخل إلى علم اللغة: 91.

(5) سر الصناعة: 8/1 و9.

حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن الحروف ثلاثة، الحركات ثلاث وهي الفتحة والضمة والكسرة...⁽¹⁾

1-المخرج: تتحد أنواع الحركات، بحركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك، أو حركة مؤخره اللسان نحو سقف الحنك كذلك⁽²⁾. فإن كان اللسان مستويا في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، وتركت الهواء ينطلق من الرئتين، وتهتز الأوتار الصوتية وهو ما رها. تنتج عن ذلك صوت الفتحة⁽³⁾. فإذا تركت مقدمة اللسان تصعد نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء، دون أن يحدث في مروره بهذا الموضع أي نوع من الاحتكاك والحفيف، وجعلت الأوتار الصوتية تهتز مع ذلك، نتج صوت الكسرة الخالصة⁽⁴⁾. ولو صعدت مقدمة اللسان أكثر من ذلك، نحو وسط الحنك بحيث يحدث احتكاك للهواء المار بهذا الموضع، نتج عن ذلك صوت الياء⁽⁵⁾.

أما إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث الهواء المار بهذه النقطة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإن الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة⁽⁶⁾. في طبيعة البنية التكوينية للحركات نسجل الملاحظات التالية:

الفتحة: حركة متسعة، وصائت وسطية قصير، يكون اللسان معها مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه، حيث يبقى الفم مفتوحا بشكل متسع

(1) سر الصناعة: 17/1 و18.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 205 و الكلام إنتاجه وتحليله: 73.

(3) ينظر المدخل إلى علم اللغة: 93.

(4) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 31.

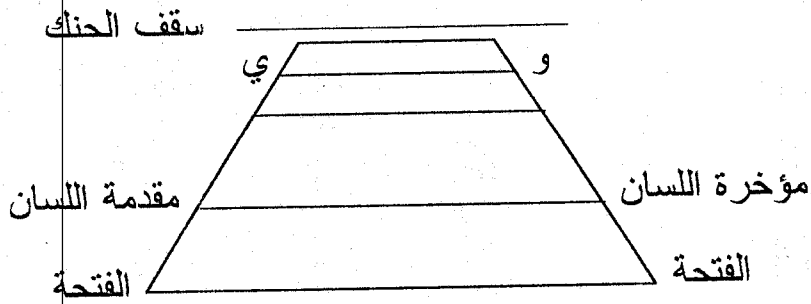
(5) ينظر المرجع نفسه: 31.

(6) ينظر مدخل إلى علم اللغة: 93.

وحجرات الرنين فيه كبيرة. وتكون الشفتان معها مسطحتين منفرجتين⁽¹⁾.

الكسرة: حركة ضيقة، وصائت أمامي يكون اللسان معها أقل ارتفاعا من حركة الفتحة، ومعها يرتفع مقدم اللسان اتجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن، مع انفراج الشفتين.⁽²⁾

الضمة: حركة خلفية ضيقة، تتكون حين يصبح اللسان أثناء تحقيقها أقرب ما يمكن من الحنك اللين والهاء وحجرة الرنين الفمية، مع وضع اللسان ضيقة جدا. أما الشفتان فتكونان مفتوحتين فتحا خفيفا ومتقدمين نحو الأمام بشكل مدور⁽³⁾. وفيما يلي تخطيط يبين وضع اللسان مع الحركات المختلفة⁽⁴⁾:



ومن تم فقد أطلق علماء الأصوات على صوت الفتحة اسم صوت العلة المتسع، ويطلقون على صوتي الفتحة والكسرة، اسم أصوات العلة الضيقة. وهذا التقسيم له أهميته فيما يصيب هذه الأصوات كلها من تطور أو تغيير، إذ أنه من الملاحظ أن يصيب الضمة يجري مثله في الغالب مع صوت الكسرة، لأن كلا منها من أصوات العلة الضيقة⁽⁵⁾.

(1) ينظر دراسات في فقه اللغة: 184.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 210 والألسنية العربية لريمون الطحان: 40.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 210.

(4) ينظر مدخل إلى علم اللغة: 94 والكلام إنتاجه وتحليله: 248. An introduction to the

214: pronunciation of english

(5) ينظر المدخل إلى علم اللغة: 94.

والفرق بين الحركات الطويلة والقصيرة، فرق في الكمية لا في الكيفية، بمعنى أن وضع اللسان كليهما واحد، ولكن الزمن يطول ويقصر في كل صوت، فقد سجل المحدثون على جهاز SPECTROGRPH أن الفترة الزمنية لإنتاج الحركات القصيرة تساوي 300 دورة / ثا بينما تصل إلى 600 د/ثا مع الحركات الطويلة⁽¹⁾. يقول كانتينو في هذا الصدد: "يطلق اسم حركات طويلة، على الحركات التي يمتد فيها إخراج النفس امتدادا، يصير معه مدى النطق بها متساويا لمدى النطق بحركتين بسيطتين وقد يتعدى ذلك"⁽²⁾.

ولقد كانت هذه العلاقة بين الطويلة والقصيرة من الصوائت، معروفة عند بعض القدماء⁽³⁾، يظهر ذلك في قول الخوارزمي: "الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واوا ناقصة، وكذلك الضم وأخواته. والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألفا ناقصة، وإن شئت قلت: الواو الممدودة اللينة ضمة مشبعة، والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة والألف الممدودة فتحة مشبعة..."⁽⁴⁾ ولم يعن اللغويون العرب القدماء بالصوائت، ولم يعرفوا طبيعتها، لأنهم تأثروا بالخط، "فأروا أنه في بعض الأحيان لا يكتب شيء البتة بين الحروف الصامتة، نحو: فعل، وأحيانا يكتب بينهما حرف من حروف المد، نحو: فلعل، ولم يعرفوا أن الحالتين سيان"⁽⁵⁾.

2-الصفات: عرفنا أن الصوائت هي الأصوات التي تخرج دون أن يعترضها حاجز يسد مجرى النطق أو يضيقه، لذلك اعتمد نطقها على اهتزاز الوترين الصوتيين

(1) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 198.

(2) دروس في علم أصوات العربية: 145.

(3) ينظر سر الصناعة: 17/1.

(4) مفاتيح العلوم للخوارزمي: 33.

(5) التطور النحوي: 53 وينظر أضواء على الدراسات المعاصرة: 265 وفصول في فقه اللغة: 399 والألسنية

العربية، لرعمون الطحان: 37.

الذي يولد صفة الجهر، فالصوائت كلها مجهورة⁽¹⁾.

كما أن الصوائت تمتاز عن الصوامت بوضوحها السمعي، وكثرة دوراتها في الكلام، واعتمادها على طرق تشكيلية متعددة تعوض افتقارها إلى مخارج دقيقة ثابتة كما هو الحال في الأصوات الصامتة⁽²⁾. ويبدو أن الميزة الأخيرة جعلت الصوائت من أصعب الأصوات نطقاً على المتكلم الذي يتعلم اللغة الإنكليزية على حين أن تعلمه الصوامت لا يشهد مثل هذه الصعوبة لسهولة وصف الصوامت واشتراك اللغات في كثير منها⁽³⁾.

ولهذا "اضطر العلماء المحدثون إلى استنباط مقاييس عامة للأصوات الصائتة، بما تقاس أصوات اللين في كل لغة وتنسب إليها وقد قبسوا هذه المقاييس من عدد من اللغات المشهورة لتكون صادقة على أي لغة من اللغات المعروفة"⁽⁴⁾.

وتتسم الصوائت بالخصائص التالية:⁽⁵⁾

1/ هي أضعف وأقل ثباتاً واستقراراً في الكلمات العربية، فالفعل (قال) مثلاً أصله (قول)، ومضارعه: يقول، وفعل الأمر منه: قل، فحرف العلة، الواو، نجده يتقلب تارة إلى ألف وتارة يسكن بعد تحريكه، وتارة أخرى يحذف⁽⁶⁾.

2/ إن لها أثراً على تنويع الأصل الواحد، والمادة الواحدة، فمادة (علم) مثلاً تتكون من الحروف الصامتة: (ع، ل، م)، فإذا أضفنا الألف في (عالم) والياء في (علم) لم يتغير أصل المعنى، وتلك هي وظيفتها المعنوية.

3/ وللصوائت القصيرة وظيفة أخرى إذ أنها تستعمل في أواخر الكلمة للدلالة على

(1) ينظر الأصوات: 74 ودروس في علم الأصوات العربية: 143 ومبادئ في اللسانيات: 57.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 30.

(3) ينظر المرجع نفسه: 29-30.

(4) ينظر المرجع نفسه: 31.

(5) ينظر الجامع في الدروس العربية: 9.

(6) ينظر المرجع نفسه: 10.

وظيفتها في تركيب الجملة⁽¹⁾.

4/ وللصوائت جميعا، وظيفة موسيقية لأن هذه الحروف تفسح المجال لتنوع النغمة الموسيقية للكلمة الواحدة، أو الجملة الواحدة، وتقاربها من هذه الناحية بقية أصوات الزيادة المجموعة في قولهم: من سألته⁽¹⁾.

المبحث الثاني:

* البناء الصوتي للكلمات في السورة *

قواعد تأليف الأصوات في العربية:

إن اللغة العربية بكلماتها واستعمالاتها المختلفة قائمة على أصول ومبادئ. وكل لفظة منها أخذت سمتا معينا حسب قواعد خاصة.

وهذه الأبنية اللغوية لها فلسفتها الخاصة التي لا تتوافر لأي لغة من لغات العالم، فهي تستجيب للاستفهام، وتجييب السائل عنه، فكل أصل لغوي، معلل بعلة، ولم يبن اعتبارا أو بدون هدف⁽²⁾.

وكلام العرب مبني على مبدأ الاستخفاف والاستثقال، فما خف على الحس كثر دورانها على الألسنة، وما ثقل أهمل استعماله أو قل⁽³⁾. فالإنسان العربي بطبعه يسعى دوما إلى اختزال النطق عن طريق التيسير والتسهيل، وإلى اقتصاد الجهد المبذول، وكل ذلك يحقق نوعا من التوافق والانسجام في الكلام.

وقد خاض في هذا الميدان علماء العربية وعلى رأسهم أصحاب المعاجم التي صدرت بمقدمات حوت قواعد البناء في العربية⁽⁴⁾.

وسأوضح دعائم هذا المبدأ من خلال القواعد التي وضعها العلماء القدامى

(1) ينظر الجامع في الدروس العربية: 10.

(2) ينظر أصوات اللغة العربية 165.

(3) ينظر الخصائص: 1/24 و 57 و 67.

(4) ينظر مقدمة العين: 1/47 ومقدمة الجمهرة: 1/6 ومقدمة التهذيب: 1/44 ورسائل إخوان الصفاء وخلان

الوفاء: 1/194، 195، دار بيروت للطباعة - بيروت، 1983م/1403هـ.

والمحدثون لما يتألف من الأصوات وما يختلف، وطرق بنائها في العربية (structure)، مع إعطاء أمثلة ونماذج من آيات سورة الكهف.

والعلماء الأجلاء ذموا التنافر ومدحوا التلاؤم، الذي هو تعديل الحروف في التأليف⁽¹⁾، وجعلوا التلاؤم قسمين، فإذا انضاف التنافر يكون تأليف الكلام على

ثلاثة أوجه، متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا، وهو القرآن الكريم⁽²⁾.

ومن فوائد التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في النطق، وتقبل النفس لمعناه لما يرد عليه من حسن الصورة، فإذا أضيف إلى التلاؤم حسن البيان صار في أعلى الطبقات، وظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع بصيرا بجواهر الكلام⁽³⁾.

كما تنقسم الأصوات العربية إلى ثقيل وخفيف، وكل منهما على درجة متفاوتة ثقلا وخفة. والأصوات التي تكون البناء إما أن تتقارب في مخارجها الصوتية أو تتصاعد، وأعضاء النطق التي تؤدي ذلك تقوم بجهد عضلي للإبانة والإفصاح عنه، وتتفاوت بذلك الألفاظ حسنا وقبحا، تبعا لموقعها، واستخدامها الاستخدام الأمثل، من حيث اللفظ والمعنى، أو من حيث المعنى والمبنى.

وقد ذكر القدامى من طرق تألف الأصوات في البناء العربي فاستحبوا اجتماع بعضها في كلمة واحدة. واستقبحوا اجتماع البعض الآخر، خوفا من الثقل والتنافر، وهذا الأخير هو ما يعتري الكلمة المفردة، من ثقل يتعسر معه النطق بها، مما يقتضي جهدا عضليا زائدا يتعب اللسان⁽⁴⁾. وسنورد بعض الأنبيسة الصوتية للعربية مع التمثيل من السورة بالشرح والتحليل.

(1) ينظر المزهر: 185/1 والمغرب للجواليقي: 51، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب.

(2) ينظر النكت في إعجاز القرآن: 95.

(3) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني: 270، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، ط5 (د،ت).

(4) ينظر التنافر الصوتي والظواهر السياقية لعبد الواحد حسن الشيخ: 08. مكتبة ومطبعة الإشعاع-1999.

*1 أوضح الخليل أن اتحاد مخارج الأصوات أو تقاربها، قد يؤدي إلى إهمال بعض الكلمات، فذكر في باب العين والحاء أنه لا تألف منهما كلمة واحدة مستعملة لتقارب مخرجيهما⁽¹⁾. وإلى هذا أيضا أشار ابن دريد حيث نبه الباحث في معجمه على أهمية الحروف، لمعرفة الأبنية، وما يتألف منها، وما لا يتألف، وسر كل

منهما، وأوضح أن قرب المخارج يمنع من تأليف بعض الكلمات، لتثقلها على اللسان، إذ قال: "اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الدلافة كلفته حرسا واحدا وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألقت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء... نحو قولهم أم والله، هم والله..."⁽²⁾، فالقاف والكاف لا تأتلف منهما كلمة واحدة، إذ قال: "فلذلك لم تأتلف الكاف والقاف في كلمة واحدة إلا بجواجز، ليس في كلامهم لقفك، ولا كق، وذلك حالها مع الجيم، ليس في كلامهم لجك ولا كج"⁽³⁾.

وإذا عدنا لقول الخليل وجدناه يتحدث عن تنافر الأصوات الذي يحدث إذا تركز الكلام من مخارج بعيدة أو قريبة. لأن الكلام إذا قربت أصواته قربا شديدا، كان ذلك بمنزلة مشي المقيد. فالعين والحاء لا يجتمعان في بناء عربي، لأن العين صوت حلقي، احتكاكي (رخو) مجهور مرقق، والحاء صوت حلقي احتكاكي "مهموس مرقق". فلهذا القرب الشديد بين الصوتين العين والحاء، لا تأتلف منهما الكلمة العربية، وبالفعل هنا ما لحظناه في آيات سورة الكهف، لم ترد كلمة تجمع بين الحاء والعين: الحمد، عهد، عوجا...

(1) ينظر العين: 60/1.

(2) الجمهرة: 9/1 والمزهر في علوم اللغة للسيوطي: 191/1-192.

(3) الجمهرة: 6/1 وينظر سر الصناعة: 814/2 و815 وفقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي: 231، دار النهضة العربية - بيروت، 1979.

أما عدم ائتلاف القاف والكاف، فراجع إلى أن صوت القاف لهوي انفجاري مهموس مستعل، يتشكل هنا الصوت "حين يرتفع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة."⁽¹⁾ والقاف عند القدامى يخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحلق الأعلى.⁽²⁾ أما الكاف فصوت طبقي انفجاري مهموس مرقق

مستفل. إذ يتشكل من انبعاث الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يسلك طريقه إلى الحلق والتجويف الفموي إلى نقطة اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى⁽³⁾. ومخرجه عند القدماء: "من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى"⁽⁴⁾.

ولتقارب مخرجي القاف والكاف، لم تأتلفا في كلمة واحدة، لعسر النطق بهما، وعليه لم نجد في سورة الكهف كلمات تجمع هذين الصوتين. ولم يأتلف صوت الجيم مع الصوتين السابقين القاف والكاف في بناء عربي "ليس في كلامهم، فك ولا كق وكذلك حالهما مع الجيم ليس في كلامهم: جك، كج، إلا أنها قد دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عقدة اللسان"⁽⁵⁾، فالجيم صوت غاري مركب مجهور مرقق، يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين إلى أن يصل إلى نقطة المخرج، وهي التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى⁽⁶⁾. وهكذا نستنتج أن صوت الجيم قريب من القاف والكاف ولهذا صعب اجتماعهما. ويجوز العلماء اجتماع الكاف والقاف بصوت الشين لتفشييه، ويضرب

(1) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 179.

(2) ينظر الكتاب: 433/4 وسر الصناعة: 277/2 والنشر: 199/1.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 85.

(4) الكتاب: 433/4، وينظر المقتضب: 192/1 وسر الصناعة: 279/2.

(5) الحمهرة: 6/1، وينظر المعرب: 59 وأثر الدخيل على العربية الفصحى لمسعود بوبو: 85.

(6) ينظر دراسات في فقه اللغة: 279.

مثال، بالشك في الأمر، من مادة شك والقش (قشش)⁽¹⁾.

فالشين صوت غاري احتكاكي مهموس مرقق، متفش. يتكون حين يلتقي طرف اللسان بمؤخر اللثة ومقدم الحنك الأعلى⁽²⁾، بينما يكون كل الجزء الأساسي من جسم اللسان مرفوعا نحو الحنك الأعلى في نفس الوقت، ويكون الفراغ بين مقدم

اللسان ومؤخر اللثة ضيقا، ولكنه أوسع من الفراغ الكائن في نطق السين⁽³⁾.
والتفشي ناتج عن كثرة انتشار الهواء بين اللسان والحنك⁽⁴⁾. وقد اختلفت الشين مع
الكاف والقاف في ألفاظ السورة الكريمة في مثل: شرك، بشرك، شركائي . . .
وهي مشتقات مادة (ش رك) ومشفقين من مادة (ش ف ق) لكن اختلفت مع
بعضها بواسطة صوت الراء والفاء.

وقد تناول هذه الفكرة المنسوبة إلى الخليل خلق كثير، كابن دريد وابن جني
والرمامي وابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني وابن الأثير وبهاء الدين السبكي
والسيوطي، وخلاصة ما توصل إليه هؤلاء هو نفي أن يكون تباعد المخارج سببا
في عدم التلاؤم، لأن الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن. وإذا تقارب
الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولا سيما حروف الحلق، وقد اختلفوا في
توظيف هذه المسألة في الفصاحة ورتبها، فعلى حين عد بعضهم كالخفاجي تباعد
مخارج الحروف شرطا من شروط الفصاحة، ذهب آخرون إلى إخراج المسألة أصلا
من بحث الفصاحة لأن الكلام الذي يسلم من استكراه الحروف وتنافرها هو أكثر
ما يجري لدى الناس في كلامهم ومحاوراتهم. أما الاستكراه والتنافر فيعرض في أشياء
قد تكون من تكلف الشعراء أو من اصطناع التحارير الذين ربما أدخلوا في الكلام

(1) ينظر الجمهرة: 7/1.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 178.

(3) ينظر علم اللغة لمحمود السعران: 176.

(4) ينظر مبادئ اللسانيات: 88.

العربي ما ليس منه إرادة التعنت واللبس.⁽¹⁾

وتجدر الإشارة إلى أن ابن جني عني بهذه المسألة في كتابه " سر صناعة

الإعراب " فقد ذكرها في مواضع متعددة وبألفاظ مختلفة كالتركب والمجاورة؛⁽²⁾

والتأليف والاجتماع،⁽³⁾ والمزج والتألف والتأليف أيضا⁽⁴⁾. وانتهى ابن جني إلى أن تأليف الحروف على ثلاثة أضرب، وهي:⁽⁵⁾

1- تأليف المتباعدة مخرجا وهو الأحسن . ولاحظ هنا أن أقل الحروف تآلفا بلا فاصل حروف الحلق وحروف أقصى اللسان (القاف والكاف والجيم).

2- تضعيف الحرف نفسه تخفيفا لما فيه من ثقل، وهو يلي الضرب الأول. نحو "مأجج" و"سكك" و"مجج" و"فرس" و"أمق".⁽⁶⁾

3- تأليف المتجاورة، وهو دون الاثنين الأولين، وهو إما يرفض وإما يقل استعماله.

وذهب ابن جني وابن فارس (تـ395هـ) إلى توظيف هذا الدرس الصوتي في معرفة المهمل والمستعمل من كلام العرب، وكان الخليل هو الذي فرق بين هذين النوعين من الكلام في معجمه "كتاب العين". فالمهمل كما يقول ابن جني وابن فارس هو ما رفض استعماله لتقارب حروفه، نحو: سص ووصص. وما لم تقله العرب وإن لم يكن متنافرا - وما جاء خاليا من حروف الذلاقة إذا كان حتما سيئا.⁽⁷⁾

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 123-124.

(2) ينظر سر الصناعة: 5/1.

(3) ينظر المصدر نفسه: 65/1.

(4) ينظر المصدر نفسه: 811/2-812، 816.

(5) ينظر المصدر نفسه: 816/2.

(6) مأجج: اسم مكان، وسكك جمع سكة، ومجج لفظ ورمي، وأمق: صفة للفرس الطويل، ينظر اللسان.

(7) ينظر المزهري: 240/1.

وبالفعل لم تجد في السورة كلمات اختلفت من أصوات قريبة المخرج ، لثقلها على اللسان، فقد تميزت لغة السورة بالتلاؤم بين أصواتها، على مستوى اللفظة المفردة. فلم نجد في قراءتها انتقالا بين أصوات شديدة التقارب في المخرج بحيث يؤدي تنافرهما يعوق تذوق التلاوة و جمال الانسجام الموسيقي بين الأصوات (1).

و يشبه ابن سنان الأصوات المتباعدة بالألوان ، إذ يقول: "أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة " (2).

2/ البناء الثاني في العربية يمنع اجتماع ثلاثة أصوات من جنس واحد، أي من مخرج واحد ، خدمة للتلاؤم الصوتي، و طلبا للخفة، والتمكن من النطق وأصعب هذه الأصوات حروف الحلق. وإن اجتمع اثنان منها في كلمة عربية يبدأ بالأقوى من الصوتين، ويؤخر الألين والأضعف (3). أو إذا اجتمع منها في كلمة اثنان وجب أن يكون بينهما فاصل (4). من مثل: أصحاب - أشهدتهم فقد فصل بين الهمزة والحاء بالصاد في المثال الأول وبالشين في الثاني وقد تجمع هذه الأصوات في مواضع ثلاثة: (5)

الأول: أن نبدأ بالهمزة، فيجاورها من بعدها واحد من ثلاثة أحرف حلقيه، وهي: الهاء، والحاء، فالهاء نحو: «أهلكناهم» (6)، والحاء نحو: «أحدنا» (7)، وقد

(1) ينظر (من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم): 75 دراسة لمحمد السيد سلمان العبد، مجلة العربية للعلوم الإنسانية

(2) سر الفصاحة: 54.

(3) ينظر الجمهرة: 9/1 سر الصناعة: 814/2 والمزهر: 192/1.

(4) ينظر المزهر: 192/1.

(5) ينظر سر الصناعة: 812/2.

(6) سورة الكهف: من الآية 59.

(7) سورة الكهف: من الآية 19.

ذكرت كثيرا في السورة. والخاء نحو: «الأخسرين»⁽¹⁾.

الثاني: ائتلاف الهاء مع العين ، ولا تكون العين إلا مقدمة، ولم نعثر على مثال في السورة . والعين مجهور احتكاكي مرقق، والهاء مهموس احتكاكي مرقق، وبجهر العين كان الأقوى.

الثالث: ائتلاف العين مع الخاء، ولا تكون الخاء إلا مقدمة، نحو «لعلك باخع نفسك»⁽²⁾. فإذا اجتمع صوتان من مخرج واحد " وجب أن يبدأوا بالأقوى ، ويؤخروا الأضعف، كما قالوا : وِرل ، وتَد ، فبدؤوا بالتاء مع الدال وبالراء مع اللام فذق التاء والدال فإنك تجد التاء تنقطع بجرس قوي ، وتجد الدال تنقطع بجرس لين، وكذلك الراء تنقطع بجرس قوي، وكذلك اللام تنقطع بغنة، وبذلك أيضا نرى أن اعتياض اللام على الألسن أقل من اعتياض الراء ، وذلك للين اللام."⁽³⁾

إذا اجتمع في كلمتي: (ورل) و(وتد) صوتان من مخرج واحد، ففي الأول ائتلافا صوت الراء ينتج من "التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا".⁽⁴⁾

واللام ينتج من اتصال "طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء و مروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه"⁽⁵⁾، وهكذا نستنتج أنهما متقاربان مخرجا، لكن الراء أقوى من جانب الصفات، لأنه صوت مكرر، حيث يطرق اللسان حافة الحنك طرقا لنا يسيرا مرتين أو ثلاثا⁽⁶⁾. ولذلك وجب تقديمه

(1) سورة الكهف: 103.

(2) سورة الكهف: 06.

(3) ينظر الجمهرة: 9/1 والمزهر: 192/1 وفقه اللغة لعبده الراجحي: 231.

(4) ينظر الراء في العربية: دراسة صوتية، 80، لإدوار يوحنا مجلة اللسان العربي ج1، المجلد 17.

(5) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 65.

(6) ينظر الراء في العربية دراسة صوتية: 80.

وبالفعل لم تجد في السورة كلمات اختلفت من أصوات قريبة المخرج ، لثقلها على اللسان، فقد تميزت لغة السورة بالتلاؤم بين أصواتها، على مستوى اللفظة المفردة. فلم نجد في قراءتها انتقالا بين أصوات شديدة التقارب في المخرج بحيث يؤدي تنافرها يعوق تذوق التلاوة و جمال الانسجام الموسيقي بين الأصوات⁽¹⁾.
و يشبه ابن سنان الأصوات المتباعدة بالألوان ، إذ يقول: "أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة"⁽²⁾.

2/ البناء الثاني في العربية يمنع اجتماع ثلاثة أصوات من جنس واحد، أي من مخرج واحد ، خدمة للتلاؤم الصوتي، وطلباً للخفة، والتمكن من النطق وأصعب هذه الأصوات حروف الحلق. وإن اجتمع اثنان منها في كلمة عربية يبدأ بالأقوى من الصوتين، ويؤخر الألين والأضعف⁽³⁾. أو إذا اجتمع منها في كلمة اثنان وجب أن يكون بينهما فاصل⁽⁴⁾. من مثل: أصحاب - أشهدتهم فقد فصل بين الهمزة والحاء بالصاد في المثال الأول وبالشين في الثاني وقد تجمع هذه الأصوات في مواضع ثلاثة:⁽⁵⁾

الأول: أن نبدأ بالهمزة، فيجاورها من بعدها واحد من ثلاثة أحرف حلقيّة، وهي: الهاء، والحاء، والحاء، فالهاء نحو: «أهلكناهم»⁽⁶⁾، والحاء نحو: «أحداء»⁽⁷⁾، وقد

(1) ينظر (من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم): 75 دراسة لمحمد السيد سلمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.

(2) سر الفصاحة: 54.

(3) ينظر الجمهرة: 9/1 سر الصناعة: 814/2 والمزهر: 192/1.

(4) ينظر المزهر: 192/1.

(5) ينظر سر الصناعة: 812/2.

(6) سورة الكهف: من الآية 59.

(7) سورة الكهف: من الآية 19.

ذكرت كثيرا في السورة. والحاء نحو: «الأخسرين»⁽¹⁾.

الثاني: ائتلاف الهاء مع العين، ولا تكون العين إلا مقدمة، ولم نعثر على مثال في السورة. والعين مجهور احتكاكي مرقق، والهاء مهموس احتكاكي مرقق، وبجهر العين كان الأقوى.

الثالث: ائتلاف العين مع الخاء، ولا تكون الخاء إلا مقدمة، نحو «لعلك باخع نفسك»⁽²⁾.

فإذا اجتمع صوتان من مخرج واحد "وجب أن يبدأوا بالأقوى، ويؤخروا الأضعف، كما قالوا: ورل، وتد، فبدؤوا بالتاء مع الدال وبالراء مع اللام فذق التاء والدال فإنك تجد التاء تنقطع بحرس قوي، وتجد الدال تنقطع بحرس لين، وكذلك الراء تنقطع بحرس قوي، وكذلك اللام تنقطع بغنة، وبذلك أيضا نرى أن اعتياص اللام على الألسن أقل من اعتياص الراء، وذلك للين اللام."⁽³⁾

إذا اجتمع في كلمتي: (ورل) و(وتد) صوتان من مخرج واحد، ففي الأول ائتلافا صوت الراء ينتج من "التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثيا العليا."⁽⁴⁾

واللام ينتج من اتصال "طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء و مروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه"⁽⁵⁾، وهكذا نستنتج انهما متقاربان مخرجا، لكن الراء أقوى من جانب الصفات، لأنه صوت مكرر، حيث يطرق اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا⁽⁶⁾. ولذلك وجب تقديمه

(1) سورة الكهف: 103.

(2) سورة الكهف: 06.

(3) ينظر الجمهرة: 9/1 والمزهر: 192/1 وفقه اللغة لعبده الراجحي: 231.

(4) ينظر الراء في العربية: دراسة صوتية، 80، لإدوار يوحنا مجلة اللسان العربي ج 1، المجلد 17.

(5) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 65.

(6) ينظر الراء في العربية دراسة صوتية: 80.

على اللام.

وإذا اجتمع صوت التاء مع الدال في كلمة (وتد)، وهما من مخرج واحد، فالتاء تخرج بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا،⁽¹⁾ والدال يخرج أيضا بنفس الطريقة أي بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا⁽²⁾ وهو صوت شديد مجهور، والتاء صوت شديد مهموس، ولا فرق بينهما سوى أن التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور.

3 / اتسمت اللغة العربية بقوة تأليفها، وخفة طبعها في اختيار تركيب الكلمات من حروف متباعدة، ونفورها من تقارب الحروف، والتأليف في البناء على ثلاثة أضرب: "أحدهما: تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب في كلام العرب، والثاني: الحروف المتقاربة لضعف الحرف نفسه، وهو يلي الأول في الحسن، والثالث: الحروف المتقاربة، فإما رفض، وإما قل استعماله، وإنما كان أقل من المتماثلين، وإن كان فيهما ما في المتقارين".⁽³⁾

تلك هي أضرب التأليف في نظر ابن جني وغيره.⁽⁴⁾ إذ رأى أن الأصوات كلما تباعدت في التأليف كان أفضل بخلاف التقارب، فإن التقارب في رأيه يؤدي إلى القبح، بل رأى أنه بسبب التقارب أهملت بعض الكلمات.⁽⁵⁾

وقد حدد ابن منظور أيضا العلاقات التي تقع بين الحروف في التركيب العربي، باعتبار القرب والبعد ورأى أن لها سرا في النطق يكشفه من يتمعنه وهو "ما يتقارب بعضه من بعض، ويتباعد بعضه من بعض، ويتركب بعضه مع بعض، ولا

(1) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 62.

(2) ينظر المرجع نفسه: 48.

(3) سر الصناعة: 816/2.

(4) ينظر الجمهرة: 9/1 وسر الفصاحة: 48.

(5) ينظر الخصائص: 50/1.

يتركب بعضه مع بعض.⁽¹⁾"

4/ الحروف التي تحسن في التركيب الصوتي وقد حددها العلماء، وهي القاف والعين، حيث رأوا أنهما لا يدخلان في كلام إلا حسنتاه، لأنهما أطلقا الحروف، فالعين أنصع الحروف جرسا وألذها سماعا، وأما القاف فأمتن الحروف وأنصحها جرسا.⁽²⁾ فالعين صوت حلقي احتكاكي (رخو) مجهور مرقق، والقاف صوت لهوي انفجاري (شديد) مهموس شبه مفخم أي مستعل، وهذان الصوتان إذا أدخلتا في بناء عربي استحسن ذلك التركيب، من مثل ما جاء في السورة: عند، يجعل، عوجا، علم، عملا، قيما، قالوا، الرقيم..

5/ الأصوات التي يمتنع مجيئها في التركيب هي الضاد والكاف، لكن إذا تقدمت الضاد اتلفت وإذا تأخرت لا تتركب في أصل العربية.⁽³⁾ مثل: الضحك.

6/ ومن الأصوات التي لا تتركب بعضها مع بعض سواء تقدمت أو تأخرت، وهي السين والناء والزاي والطاء والصاد، وذلك لتقارب مخارج هذه الأصوات تقريبا يؤدي إلى الثقل والتعاضل في النطق.⁽⁴⁾

7/ الأصوات التي يجب وقوعها في بناء الكلمة العربية وقد حددها بأنها الحروف الذلقية، وهي ستة، الفاء والباء، والميم واللام، والراء، والنون وحروفها أخف الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء.⁽⁵⁾

يقول الخليل في هذا الصدد "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرأة من حروف الذلاقة ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد، أو

(1) لسان العرب: 8/1.

(2) ينظر العين: 53/1 والتهذيب: 45/1 واللسان: 8/1.

(3) ينظر التهذيب: 46/1.

(4) ينظر التنافر الصوتي والظواهر السياقية: 26.

(5) التهذيب: 50/1.

اثان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب.⁽¹⁾ ولسهولة هذه الأصوات في النطق كثرت في أبنية الكلام. وسنكشف ذلك في القسم التطبيقي إنشاء الله.

فالأصوات الستة المذلقة وهي: اللام والراء والميم والنون والفاء والباء، تشترك في صفة صوتية متميزة. فاللام، والراء والنون، تشترك في قرب مخارجها ونسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، فهي جميعا أصوات مائعة.⁽²⁾ والأصوات الفاء والميم والباء، أصوات شفوية، لا يشترك اللسان في إخراجها ولذلك كانت سهلة⁽³⁾، وعليه اجتمعت هذه الصفات، لبيان الكلام العربي من ائتلاف هذه الأصوات مع غيرها.

8/ أكثر الأصوات استعمالا عند العرب هي: الواو، والياء، والهمزة. وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الطاء ثم الدال، ثم الثاء، ثم السين، ثم الفاء، ثم الحاء، ثم العين، ثم النون، فاللام، فالراء، فالباء، ثم الميم.⁽⁴⁾ وسنبرهن على هذا الكلام تطبيقا بإحصاء أصوات السورة، لكن أين صوت الضلاد من هذا كله، وهو أثقل نطقا من الباء وغيرها؟.

9/ يستحسن في تأليف الكلام، أن تتباعد المخارج، لأنها إذا تقاربت استثقلت على اللسان، وكلفته جرسا واحدا. وأحسن أضرب التأليف في العربية تأليف الحروف المتباعدة.

وقد أثمر درس الأصوات التشكيلي وفق المخارج رتبا متدرجة، هي من قبيل الكلام الجاري استعماله مع تفاوت في استحسانه وفصاحته كما يرى السبكي.

(1) العين: 52/1 وينظر المعرب: 60.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 64.

(3) ينظر العين: 52/1.

(4) ينظر الجمهرة: 12/1 والمزهر: 195/1.

فهذا الأخير يأخذ البناء الثلاثي، وهو أكثر أبنية الكلام العربي، مثالا على ما استنتجه من رتب تجري على هذا النحو: (1)

- 1 الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، نحو: (ع د ب)
- 2 الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط، نحو: (ع م د)
- 3 من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى، نحو: (ع م هـ)
- 4 من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو: (ع ل هـ)
- 5 من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو: (م ل ع)
- 6 من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو: (ب ع د)
- 7 من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو: (ف ع م)
- 8 من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى، نحو: (ف د م)
- 9 من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو: (د ع م)
- 10 من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، نحو: (د م ع)
- 11 من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو (ن ع ل)
- 12 من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط، نحو (ن م ل)

ويرى السبكي أن أحسن هذه التراكيب المخرجة هو الأول ثم العاشر ثم الثاني. وأن التاسع والخامس سيان في الاستعمال وإن كان القياس، كما يقول، يقتضي أن يكون التاسع أرجحهما. وأن أقل الجميع استعمالا هو السادس. (2)

وقواعد تألف الأصوات العربية هذه، وضعت لمعرفة الدخيل من الصريح، وهذه عيارات وجدناها متناثرة في مقدمات المعاجم، ولمنع الالتباس في الكلمة العربية و الدخيل. ولهذا ظهر في العصر الحديث نفر من الباحثين المحدثين الذين

(1) ينظر المزهري: 197/2 والمناهج: 136. وقد وقع بعض الخطأ في الأمثلة التي نقلها السيوطي الذي اسغره

د. تمام حسان.

(2) ينظر المزهري: 197/1-198.

غليظ الديباج، فارسي معرب أصله (استفراه). ونقل من العجمية إلى العربية".⁽¹⁾
ولعله جعله اسما دخيلا لأن إحدى قواعد البناء العربي تنص على أن الباء والسين
والتاء لا تأتلف⁽²⁾

10 ومن النسخ التي تأبها العربية في بناء الكلمات، ولا تأبها في الكلمات
الأعجمية المعربة، فإن وجدت هذا النسيج دل على عجمية الكلمة الموجودة فيها
ما يلي:

1* اجتماع الجيم مع الصاد، مثل صولجان، ضجة⁽³⁾

2* تقدم النون على الراء، مثل: نرجس، نورج⁽⁴⁾

3* تقدم الدال على الزاي، مهندز⁽⁵⁾، ولهذا قلبت الزاي سينا، وصارت مهندس.

4* اجتماع السين مع الدال مثل ساذج⁽⁶⁾

5* اجتماع السين مع الزاي، مثل: سوزان*⁽⁷⁾

6* العربية تأبى وجود الشين في الكلمات الدخيلة، ولذلك أبدلت الشين بالسين في
مثل إسماعيل، وإسرائيل، وأصلهما: اشماعيل، وإسرائيل، وذلك لقرب السين من
الشين في الهمس⁽⁸⁾.

لكن المسألة لم تتوقف عند تلك الملحوظات التي أوردتها المتقدمون وجمعها
بعد ذلك الجواليقي وبعض المحدثين، إذ طرقها المحدثون طرقا علميا مبتكرا. وقد

(1) المعرب: 63.

(2) ينظر المصدر نفسه: 60.

(3) ينظر المعرب: 59. والوجيز في فقه اللغة: 223.

(4) ينظر المصدر نفسه: 59.

(5) ينظر المصدر نفسه: 59.

(6) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 223. (*) وسوزان: اسم زهر معروف والعرب تنطقه سوسان.

(7) ينظر دلالة الألفاظ: 72-73 لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - ط2.

(8) ينظر المعرب: 55 ولغة القرآن الكريم: 184.

انتهى هؤلاء إلى تقسيم ما يقارن بعضه بعضا من الحروف إلى الأقسام التالية:

1/ ما لا يقارن بعضه بعضا لا بتقديم ولا بتأخير.

2/ ما يقارن بتقديم.

3/ ما يقارن بتأخير.

4/ ما يكرر من الحروف في أوائل الكلمات.

وأهم ما توصل إليه هؤلاء هو حصر الثنائيات التي لا تأتلف من الحروف في العربية على سبيل الإحصاء لا الانتقاء ، ثم جاءت الدراسات الحاسوبية فكشفت عن الثنائيات الشائعة في الكلام العربي والثنائيات الممنوعة فيه من خلال دراسة الجذور المعجمية.⁽¹⁾

ويشار في هذا الصدد إلى أن التطلع إلى معرفة آراء القدامى في الشيع والائتلاف و الدلاقة ، مما يشكل أساس عروبة الكلام ، معرفة علمية دقيقة ، هو الذي سوغ إجراء تلك الدراسات الحديثة التي أثبتت بما لا يدع مجالا للشك صواب هذه الآراء التي أنتجتها عبقرية العلماء العرب على الرغم من قلة الوسائل وحادثة الدرس ، ويؤكد هذا كله أصالة علوم اللغة عند العرب ولا سيما علم الأصوات الذي أثار نضجه المبكر على يد الخليل مزاعم تفترض وجود اقتباس واسع من حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية.⁽²⁾

هذه هي معظم القواعد التي وضعها اللغويون ، لبناء سليم ، سهل في النطق ، وسلس على اللسان، وقد طابقت الكلمات الواردة بطبيعة الحال، في السورة كل هذه القواعد

(1) ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: 131.

(2) ينظر المصدر نفسه: 132.

الدراسة الإحصائية لأصوات السورة:

عرف العرب الأصوات اللغوية منذ القدم ، وهذا ما أوضحناه سابقا ، وأيدهم في بعض النظريات الدرس الصوتي الحديث كما عرفوا الصفات والطبيعة الصوتية لكل صوت منها.

والكلام مبني على السهولة والخفة، وبهذا نلاحظ على الأبنية اللغوية العريضة اختيارها لأصوات معينة، وتركها لأصوات أخرى.

وقد تفضل حركات على أخرى هروبا من ثقل البناء ، وهو الأمر الذي وضحناه في عمل تطبيقي قمنا به، يتمثل في عملية إحصائية لأصوات بعض آيات السورة (نصفها) بقسميها، أي الأصوات الصامتة والصائتة وقد تحصلنا على النتائج التالية:

* الأصوات الصامتة

الجدول رقم : 01

النسبة المئوية	عدد التواتر	الصوت	النسبة المئوية	عدد التواتر	الصوت
0.62	18	ض	7.22	228	أ
0.69	20	ط	4.97	143	ب
0.48	14	ظ	5.42	156	ت
3.47	100	ع	1.07	31	ث
0.48	14	غ	1.25	36	ج
2.85	82	ف	1.77	51	ح
2.71	78	ق	0.73	21	خ
2.92	84	ك	3.23	93	د
13.45	373	ل	1.25	36	ذ
8.69	250	م	5.49	158	ر
10.08	290	ن	0.48	14	ز
5.07	146	و	2.15	62	س
6.25	180	هـ	1.04	30	ش
4.52	130	ي	0.83	24	ص

الجدول يوضح لنا الصوامت الأكثر استعمالاً وشيوعاً في السورة النموذج،
ويبين مدى انتشارها في كلمات السورة. وفي الجدول الآتي سنبين خصائص
استعمالها من الجهر والهمس، الشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق.

(*) ينظر الفهرس الفني: 236.

1* الجهر والمهمس :

الجدول رقم : 02

الأصوات المهموسة ونسبها		المجهورة ونسبها	
2.15	س	7.92	أ
2.92	ك	4.97	ب
5.42	ت	1.25	ج
2.85	ف	3.23	د
1.77	ح	1.25	ذ
1.07	ث	5.49	ر
6.25	هـ	0.48	ز
1.04	ش	0.62	ض
0.73	خ	0.48	ظ
0.83	ص	0.48	غ
2.71	ق	13.45	ل
0.69	ط	8.69	م
3.47	ع	10.08	ن
		5.07	و
		4.52	ي

النسبة المئوية للمجهورات إجمالاً : 67.98

النسبة المئوية للمهموسات إجمالاً : 31.97

*2 الشدة والرخاوة

يعني الأصوات الانفجارية والاحتكاكية

الجدول رقم : 3

نسبة الجيم المركب 1.25	الأصوات المائعة ونسبها		الأصوات الرخوة ونسبها		الأصوات الشديدة ونسبها	
		ل	13.45	س	2.15	ب
	ر	5.49	ز	0.48	ت	5,42
	م	8.69	ص	0.83	د	3,23
	ن	5.07	ش	1.04	ط	0,69
			ذ	1.25	ض	0,62
			ث	1.07	ك	2,92
			ع	0.48	ق	2,71
			ف	2.85	أ	7,92
			هـ	6.25		
			ح	1.77		
			خ	0.73		
			ع	3.47		
			غ	0.48		

• النسبة الإجمالية للأصوات الشديدة: 43.19%

• النسبة الإجمالية للأصوات الرخوة: 22.85%

• النسبة الإجمالية للأصوات المائعة: 32.71%

*3 الاستفقال و الاستعلاء

الجدول رقم -04

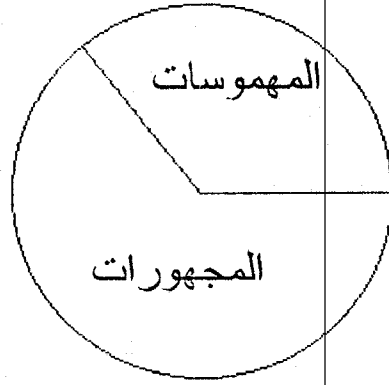
الاستعلاء ونسبته		الاستفقال ونسبته	
0.69	ط	7.92	أ
0.48	ظ	4.97	ب
0.83	ص	5.42	ت
0.62	ض	1.07	ث
2.71	ق	1.25	ج
0.73	خ	1.77	ح
0.48	غ	3.23	د
		1.25	ذ
		5.49	ر
		0.48	ز
		2.15	س
		1.04	ش
		3.47	ع
		2.85	فا
		2.92	ك
		13.45	ل
		8.69	م
		10.08	ن
		6.25	ها
		5.07	و
		4.52	ي

*الانفتاح و الإطباق

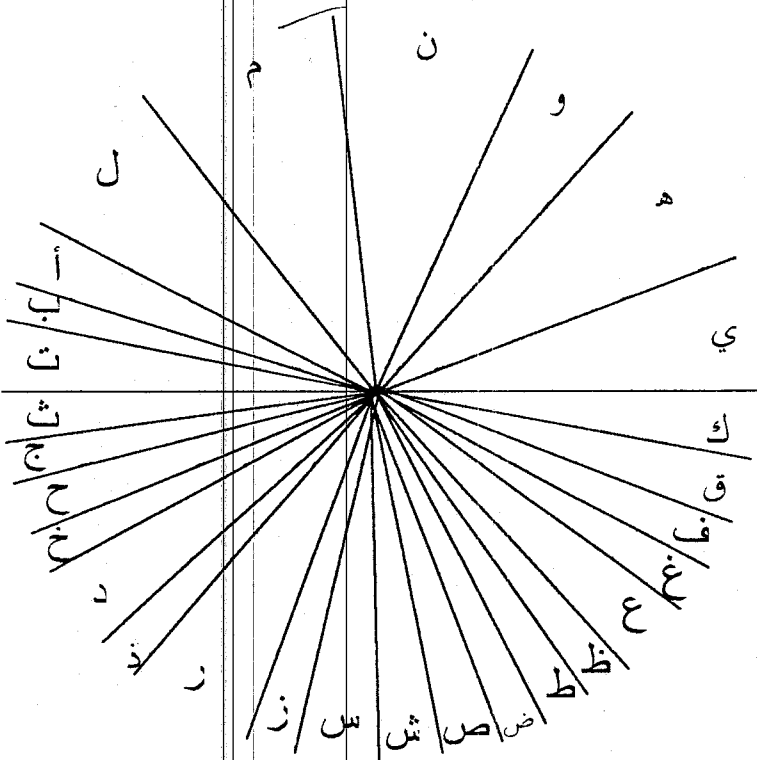
الجدول رقم -05-

الإطباق ونسبته		الانفتاح ونسبته	
0.69	ط	7.92	أ
0.48	ظ	4.97	ب
0.83	ص	5.42	ت
0.62	ض	1.07	ث
		1.25	ج
		1.77	ح
		3.23	د
		0.73	خ
		1.25	ذ
		5.49	ر
		0.48	ز
		2.15	س
		1.04	ش
		3.47	ع
		0.48	غ
		2.85	فا
		2.71	ق
		2.92	ك
		13.45	ل
		8.69	م
		10.08	ن
		6.25	ها
		5.07	و
		4.52	ي

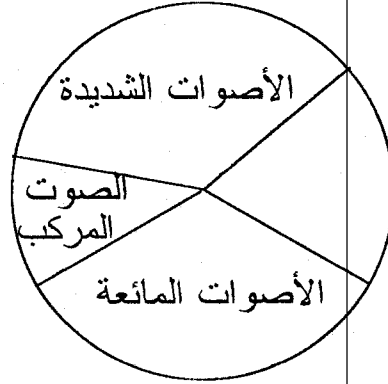
ولكي تتضح الصورة طبقنا هذه النسب على الدوائر النسبية التالية



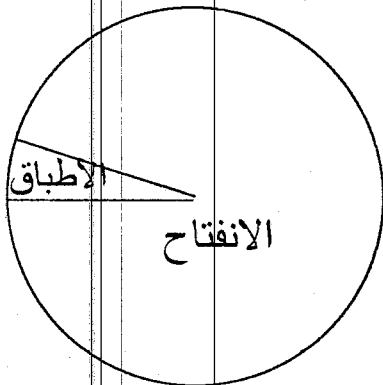
الشكل رقم 01
المجهورات والمهموسات



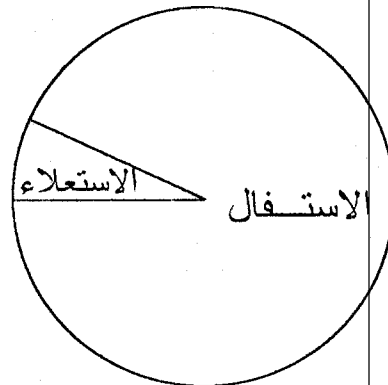
الشكل 02
الصوامت ونسبة تردادها في السورة



الشكل رقم 03
الأصوات الشديدة والرخوة والمائعة



الشكل رقم 05
الانفتاح والاطباق



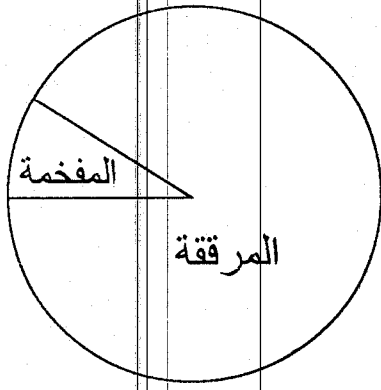
الشكل رقم 04
الاستفحال والاستعلاء

5* المفخمة و المرققة : الجدول رقم -06-

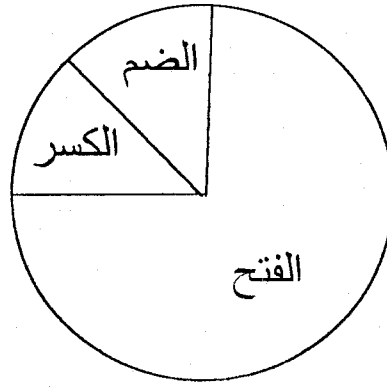
	المفخم		المرقق	
	ص	ض	ط	ظ
نسبة اللام المفخمة 2.58%	0.83	0.62	7.92	4.97
نسبة اللام المرققة 97.40%	0.43	0.69	5.42	1.07
نسبة الراء المفخمة 43.03%	0.73	0.48	1.25	1.77
نسبة الراء المرققة 56.96%	2.71		3.23	
النسبة المئوية الإجمالية للأصوات المرققة 93.46			1.25	
النسبة المئوية الإجمالية للأصوات المفخمة 6.54			0.48	
			2.15	
			1.04	
			3.47	
			2.85	
			2.92	
			8.69	
			10.08	
			5.07	
			6.25	
			4.52	

2-الصوائت ونسبها : الجدول رقم -07-

النسبة المئوية	عدد الاستعمال	نوع الحركة
75.39	1786	الفتحة
13.92	330	الكسرة
10.67	253	الضمة

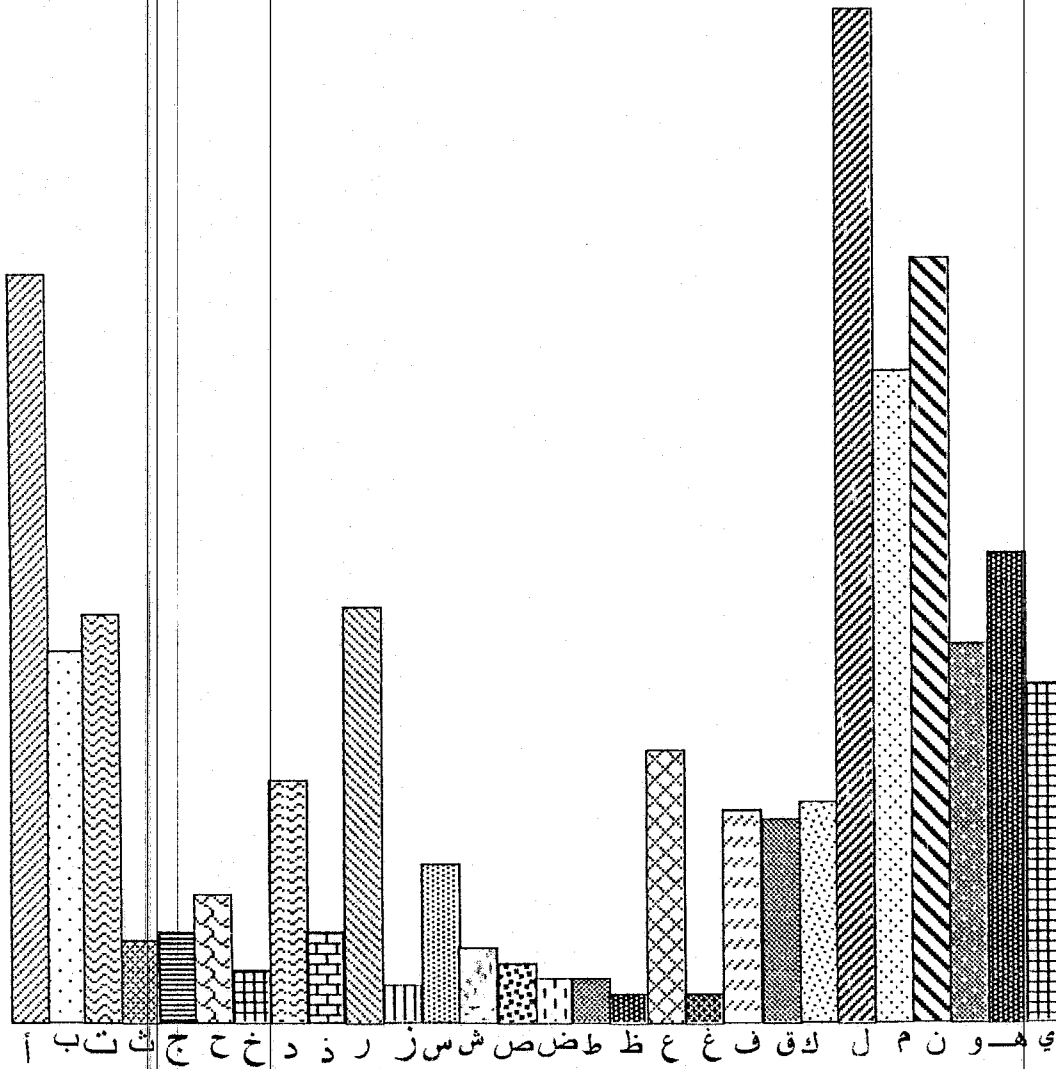


الشكل رقم 06
المفخمة والمرفقة



الشكل رقم 07
الصوائت: الفتح، الكسر والضم

وفي ما يلي الأعمدة النسبية لنبيين أكثر النسب المئوية للصوامت:



هذه هي النتائج التي توصلنا إليها، بعد العملية الإحصائية لأصوات آيات سورة الكهف، المعتمدة بجهاز الكمبيوتر. وما نلاحظه هو ارتفاع نسبة الصفات القوية، مقارنة بنسبة الصفات الضعيفة.

فالصوامت المجهورة كانت أكثر شيوعاً في السورة الكريمة، إذ قدرت النسبة المئوية ب: 67.98% مقارنة بالصوامت المهموسة التي بلغت نسبتها 31.97% وقد تخيل لنا عند عد المجهورات والمهموسات أن نسبتها متعادلة، ولكن الحقيقة غير ذلك، وهذا ما أثبتته الإحصاء، فالكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل السورة مجهزة، "ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت، والجهر من الهمس. فالحنجرة هي أداة الصوت الأساسية وما يتكون في غيرها من أصوات إنسانية لا يكون كلاماً مسموعاً واضحاً ذا درجات موسيقية منسجمة يمكن ضبطها وقياسها".⁽¹⁾

أما عن الأصوات الشديدة والرخوة، فكانت الكثرة الغالبة للشديدة بنسبة 43.19% لأنها تدل غالباً على الأحداث الشديدة وترتبط بها.⁽²⁾ ونجد مثال ذلك في قوله تعالى: «وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة»⁽³⁾. فتكرار الأصوات الانفجارية تساعد على نسج الدلالة في السورة مع المعاني وتولد موسيقى قوية وعنيفة. أما الصوامت الرخوة فقد استخدمت استخداماً رائعاً، فهي بصفاتها الصوتية الخاصة تصور معاني تصويراً حسياً، وتضفي عليه جرساً موسيقياً موحياً مؤثراً، بالرغم من نسبة ورودها الضعيفة: 22.85% ذلك أن هذه الأصوات تتمثلز بتطبيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في

(1) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 21.

(2) ينظر من صور الإعجاز الصوتي ففي القرآن الكريم: 79.

(3) سورة الكهف: 48.

خروجه احتكاكا مسموعا و نوعا من الحفيف.⁽¹⁾

أما الصوت المزجي أو المركب: الجيم فقد كرر ستا وثلاثين مرة ارتبط كثيرا بمعنى الرجم والوجود، وارتبط بموسيقى عذبة موحية مؤثرة.

وقد قلت نسبة الأصوات المطبقة، فقد بلغت 2.65% وهي نسبة قليلة جدا مقارنة مع الأصوات المفتحة 97.35% وما ينطبق عليها ينطبق أيضا على الأصوات المستعلية والمستفلة، فقد بلغت الأولى 6.52% والثانية 93.36%.

وإذا حللنا هذه الظاهرة، أي قلة استعمال هذا النوع من الأصوات، وجدنا أن اللسان مع أصوات الإطباق يرتفع إلى الحنك الأعلى متخذا شكلا مقعرا.⁽²⁾ والعرب تكره هذا الانتقال أي ارتفاعه لينخفض مرة أخرى، وتسمى هذه الظاهرة بالتحليق pharyngalisation.

وأصوات الاستعلاء نفسها هي: أصوات الإطباق، مضافا إليها القاف والخاء والغين. وهي نفسها أصوات التفخيم، ويتم الاستعلاء بتصعد مؤخر اللسان إلى الطبق، بغير إطباق أي باستعلاء فقط ويكون مع الخاء والغين و القاف.⁽³⁾

ويلاحظ على هذه النتائج كثرة ورود الأصوات المذقة: الراء واللام والميم، والنون والفاء، والباء، وطابقت هذه النتيجة ما نص عليه القدماء مثل الخليل وغيره. فقد ذهب الخليل إلى فكرة عجيبة حقا هي أن البناء الرباعي والخماسي لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها⁽⁴⁾.

فإذا ورد شيء من الرباعي أو من الخماسي خال من حروف الذلاقة فهو مبتدع ليس من كلام العرب. جاء في معجم العين: "أصوات الذلاقة تتكون من ستة أصوات هي: الراء، واللام، والنون، الفاء، الباء، الميم، فإن وردت في كلمة رباعية

(1) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 30.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 152.

(3) ينظر مبادئ اللسانيات أحمد محمد قدور: 85.

(4) ينظر العين: 52/1.

أو خماسية معرفة من حروف الذلق، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة.⁽¹⁾ وما تتصف به هذه الأصوات هي الخفة والسلاسة على اللسان، وهذا ما أكده ابن جني والرضي الاسترابادي، فقد عللا سعة انتشارها بسهولة جريانها أثناء النطق.⁽²⁾ فاللام مثلا بلغت نسبتها في السورة 13.45 %، وهي أعلى النسب، إذ تردد 387 مرة، ويفسر لنا شيوع اللام في العربية ظاهرة إدغامها في معظم الأصوات الصامتة حين تكون أداة تعريف⁽³⁾. ثم النون 290 مرة، وبعدها الميم 250 مرة والراء 150 مرة، وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأصوات سميت في الدراسات الحديثة بأشباه الصوائت. وقد أوضح البحث الصوتي أن هذا النوع كثير الشيوخ، وذلك بعد استقرار بعض معاجم اللغة العربية والقرآن الكريم.

أما فيما يتعلق بالمعاجم فقد تبين أن الراء وردت بأعلى نسبة، ثم النون، ثم الميم واللام. أما فيما يتعلق بالقرآن فقد تبين أن اللام وردت 33022 مرة، والنون 26525 مرة. ثم الميم والراء.⁽⁴⁾ وهذه النتائج طابقت فعلا النتائج التي توصلنا إليها، بعد استقرارنا لبعض آيات السورة الكريمة. والعلة في ذلك كما توصل إليها علم الأصوات الحديث، أن مجرى النفس مع هذه الأصوات لا تعترضه بعض الحوائل، وهي صفة من صفات الصوامت.⁽⁵⁾

ولا يكاد يسمع لهذه الأصوات أي نوع من الحفيف.⁽⁶⁾ وتعد أيضا من أكثر الصوامت وضوحا في السمع، وهي بذلك كثيرة الشيوخ سهلة من حيث النطق.⁽¹⁾

(1) العين: 52/1.

(2) ينظر سر الصناعة: 64/1 وشرح الشافية: 257/3.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 244.

(4) ينظر البيئة اللغوية لردة البويصري: 59.

(5) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 27.

(6) ينظر نفسه: 27.

(7) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 27.

وإذا علمنا أن هذه السمات هي صفات أشباه الصوائت التمسنا لوجودها في
السورة تعليلاً، ذلك أنها أدت دورها ونجحت بصفاتها المتميزة كالسهولة،
والوضوح السمعي، والتأثير في التبليغ فقد أنتج لنا هذا النسيج الصوتي الإيقاع
الموسيقي، وأدركنا سر الصوت اللغوي، ودوره في البناء القرآني .

ويرجع استعمال دوران النون والميم في السورة لطول المدة الزمنية التي
يستغرقها كل منهما في النطق.⁽¹⁾ وهما أيضاً الصوتان الأنفيان في العربية يتمتعان
بصفة الغنة، أضفت عليهما ميزة موسيقية ، التي تنشأ عن ضغط الهواء الخارج من
الرئتين بالفم عند النطق بأحدهما ، فيخرج الهواء من الأنف بسهولة ويسر.⁽²⁾

أما عن الصوتين الآخرين، الباء والفاء، فقد حظيا أيضاً بنصيب وافر، إذ بلغ
تواتر الصوت الأول (الباء): مائة وثلاثة وأربعين مرة، وبلغ دوران الثاني (الفاء):
82 مرة، ويعود ذلك لحفتها أمام التيار الهوائي الخارج من الرئتين، إذ يجبس فترة
من الزمن.⁽³⁾ أما صوت الفاء فينتج حين تتصل الشفة السفلى بأطراف الثنايا العليا،
فتندفع كمية من الهواء الخارج من الرئتين⁽⁴⁾. فهما صوتان شفويان لا دخل للسلك
في إخراجهما، جعل منهما من أصوات الدلاقة.

أما استقرارنا للأصوات الصائتة فقد أسفر عن النتائج الآتية: فقد بلغت نسبة
الفتحة 75.39% ونسبة الكسرة 13.92% ، أما نسبة الضمة فبلغت 10.67%.
ويتبين أن الفتحة بنوعيتها (الحركة الطويلة والقصيرة)، أسهل الصوائت نطقاً،
حيث يحرك الإنسان لسانه إلى الأسفل قدر المستطاع، ويسحبه إلى الخلف قدر
الإمكان، ويسقط شفثيه عن غير تدوير.⁽⁵⁾ وتتميز بأنها صائت أمامي (من الحركات

(1) ينظر من صور الإعجاز الصوتي: 92.

(2) ينظر المصدر نفسه: 92.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 156.

(4) ينظر المصدر نفسه: 158.

(5) ينظر مبادئ اللسانيات: 89.

الأمامية). منفتح غير مستدير، فموي، وينطبق هذا الوصف على الفتحة المرققة في العربية الفصحى.⁽¹⁾ وتتفرع منها الألف أو ما يسمى بالفتحة الطويلة، ولا تختلف عنها إلا في الطول، ولها وصفان، أحدهما أساسي هو الفتحة الطويلة المرققة التي توصف بأنها صوت أمامي، والآخر فرعي وهو الفتحة الطويلة المفخمة التي توصف بأنها صوت خلفي فيه استدارة وانفتاح.⁽²⁾

وهو مسبوق بأصوات الاستعلاء. وقد حازت الفتحة لتمييزها بهذه الصفات بحصة كبيرة في البناء الصوتي للسورة، واتسمت بكثرة سيرورتها فيها.

وأما الكسرة فتعد صائتا أماميا⁽³⁾ منغلقا. ليس فيه استدارة الفم، يفتح هذا الصائت بارتفاع مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى حتى يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه دون أن يرتطم بالحنك.⁽⁴⁾

ولهذه الصفات جعلت منها حركة سهلة نوعا ما، بما أنها من الحركات الأمامية، ولذلك كثر دوراتها.

أما الضمة، فلم تتواتر كثيرا في السورة، فقد كانت نسبتها ضعيفة مقارنة مع الحركات الأمامية. وهذا راجع إلى أن الضمة صائت خلفي ومنغلق ومستدير.⁽⁵⁾ وينتج بارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك⁽⁶⁾، وهذه الحركة تعد نوعا ما صعبة الإخراج ولذلك صمت البناء عن استعمالها كثيرا، كما أنها من أثقل الحركات.⁽⁸⁾

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 94.

(2) ينظر نفسه: 95.

(3) ينظر نفسه: 94.

(4) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 229.

(5) ينظر مبادئ اللسانيات: 94.

(6) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 230.

(7) ينظر فقه اللغة في الكتب العربية: 231.

الفصل الثاني

البناء المقطعي لآيات السورة
والظواهر فوق التركيبية

المبحث الأول

البناء المقطعي آيات

سورة الكهف

إذا كانت الأصوات هي العناصر البسيطة التي تتكوّن منها الكلمة العربية، فإن بين الصّوت المفرد، والكلمة المركّبة من عدّة أصوات، مرحلة وسيطة هي مرحلة المقطع.

والمقطع في أبسط صورهِ مزيج من صامت وصائت، فهو يعدّ أصغر وحدة تركيبية، يتفق مع طريقة اللّغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التّفسي، فكلّ ضغطة على الحجاب الحاجز على هواء الرّئتين⁽¹⁾. ولعلنا نتذكّر بهذا التّقسيم الطّريقة التي ابتدأنا بها تعلّم القراءة في المرحلة الأولى من التّعليم المدرسي، إذا كانت في الواقع قراءة مقطعية على نحو طبيعي تسهّل تعلّم اللّغة.

ومن هذا المنطلق سنلجأ إلى استعمال الرّمز (ص) للدّلالة على الصّوت الصّامت، والرّمز (ح) للدّلالة على الأصوات الصّائتة (الحركات). وحقيقة المقاطع تختلف من نظرة إلى أخرى، بحيث يمكن أن نجمع هذه النّظرات الجزئية في التّعريف التّالي: فالمقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبية، أو أشكال وكميات معينة⁽²⁾. ويمكن القول بأن المقاطع عبارة عن أنساق منظمّة من الرّموز لأنساق منظمّة من الصّوامت والحركات.

ويبدو أنّ العروضيين العرب بنوا مقاييسهم بناءً على أنّ المقاطع عبارة عن خفقات صدرية أو وحدات إيقاعية أو شيئاً له هذه الطّبيعة الموسيقية، ووصفوا النّظام الإيقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحين (حركة وسكون) ودلّوا على الحركة بعارضة (-)، وعلى السّكون بدائرة (o)، واعترفوا بثلاث إمكانيات إيقاعية كما يأتي:

(1) ينظر الدّراسات العملية في علم وظائف الأعضاء العام، لـ د. صبحي عمران شلش: 30، مؤسسة المجلس

الأعلى العربي للعلوم والتكنولوجيا - ط2 - الجزائر، 1992.

(2) ينظر مناهج البحث: 138.

(-) : وتدل على ما يساوي (ص ح)

(0-) : وتدل على ما يساوي (ص ح ص) أو (ص ح ح)

(00-) : وتدل على ما يساوي (ص ح ح ص) أو (ص ح ص ص)⁽¹⁾

معالجة المقطع عند العرب القدماء

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ قلة الدّراسات اللّغوية العربيّة، من بحث المقطع بحثاً مقصوداً ومقعداً. وهذا ما جعل أكثر الباحثين المحدثين من عرب ومستشرقين يذهبون إلى أنّ العرب القدماء لم يعرفوا المقطع بالمفهوم الحديث. أمّا ما ورد منه في بحوث الأصوات فهو بمعنى المخرج⁽²⁾. فقد استملهم القول بأنّ اللّغويين القدامى لم يهتمّوا بالأمر التي تتّصل بالأصوات مباشرة، وكان تصوّرهم لبعض الموضوعات في مجال الصّوتيات ضيقاً نوعاً ما، إن لم نقل أنّها أهملت تماماً. ومن هذه المواضيع دراسته المقاطع الصّوتية حيث لم يتعرّضوا لتعريفها وأشكالها⁽³⁾، على الرّغم من أنّ ابن جني كان يطلق اسم المقطع على المخرج⁽⁴⁾. كما يظهر في قوله: "... وما يعترضه من الضّغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصّوت في مخارج الحروف من المقاطع..."⁽⁵⁾

ويدلّ هذا القول أنّهم لم يخصّصوا بحثاً مستقلاًّ حول المقطع كما نعرفه الآن، لكن ذلك لا يعني إنكار وجود درسٍ من نوعٍ آخرٍ في آثارٍ أخرى لديهم ولا سيما الفلاسفة والأطباء وعلماء الكلام.

(1) ينظر مناهج البحث: 139.

(2) ينظر مبادئ اللّسانيات: 115.

(3) التنوعات اللغوية: 76.

(4) ينظر المصدر نفسه: 76.

(5) سرّ الصّناعة: 9/1.

وهنا نكتشف غفلة الذين ذهبوا إلى نفي وجود دراسة للمقطع على أي نحو من الأنحاء، كقول كمال بشر: "لقد اقتصر هؤلاء القوم - علماء العربية - على دراسة الأصوات المفردة، وبعض الظواهر العامة التي تنتج عن اتصال هذه الأصوات بعضها ببعض في الكلمة المعينة، وذلك كظاهرة الإدغام... ولكنهم لم يسلموا من قريب أو بعيد تلك الظواهر الأخرى التي تتصف بها الكلمة... ومثال هذه الظواهر النبر ونظام توزيعه والتنغيم أو موسيقى الكلام... إلى غير ذلك من أقطاب التطريز الصوتي." (1) ويشير هذا الباحث إشارة واضحة إلى أن العرب القدامى لم يعرفوا هذه التنوعات الصوتية مثل النبر الذي يعتبر أحد خصائص المقطع. لكن اللغويين تنبهوا إلى ظاهرتي النبر والتنغيم.

بيد أن الباحث إذا توسع في معطيات الدرس المقطعي من دون الالتفات إلى المصطلح فإنه لا بد من أن يقف عند نظام العروض العربي القائم على مبدأ الحركة والسكون يجد تطابقاً بين هذا النظام، ونظام المقطع في الدرس الحديث، فالدرس اللغوي القديم وهو يدرس العروض العربي، لم يعرض إلا لتقطيع الشعر إلى التفعيلات التي تتألف من الأسباب* والأوتاد* لكن ذلك يمت بقرب الصلة إلى نظام المقاطع. (2) وتعتبر هذه الدراسة من المباحث المجددة في ميدان الدرس اللساني. وتصادف الباحث في التراث العربي كثير من المواضيع التي بذلت فيها جهود معرفية مهمة من غير أن ينتظمها نسق علمي مستقل أو تضبطها دلالات اصطلاحية واضحة، ولعل أبرز تناول له صلة مباشرة بهذه الدراسة هو ما توصل

(1) دراسات في علم اللغة لكمال بشر: 25، دار المعارف - مصر، ط2، 1971.

(* الأسباب: تقسم إلى قسمين، سبب خفيف مكون من حرف محرك وساكن (0/) وسبب ثقيل مكون من حرف محرك وساكنين (00/).

(* الأوتاد: تنقسم إلى قسمين، وتد مجموع يتكون من حرفين محركين وساكنين، وتند مفروق مكون من صوت محرك بين ساكنين.

(2) ينظر التنوعات اللغوية: 73 والأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 213.

إليه الفارابي (ت 339هـ) من خلال مؤلفاته القيّمة.

يعدّ هذا الفيلسوف من علماء اللّغة العربية ، أوّل من وجد عنده لفظة مقطع بمعناها الحديث، فقد قال وهو يشرح كلام أرسطو في كتاب "العبارة": "... وقوله: فأما المقطع الواحد من مقاطع الاسم فليس بدالّ لكنّه حينئذٍ صوتٌ فقط، يريد بالمقطع : مجموع حرفٍ مصوّتٍ وحرفٍ غير مصوّت ، فإنّه من أخذ شيء منه جزءاً لاسم مفرد لم يكن دالّاً على جزء المعنى الذي دلّ الاسم على جملة لكنّه يكون حينئذٍ كحرفٍ واحد فلذلك يجعله صوتاً فقط..."⁽¹⁾

وقد ذكر في كتابه (الموسيقى الكبير) كلاماً مفصّلاً عن الصّوت اللّغوي الإنساني الدالّ، والمقطع الصّوتي بما يظهر قدرته على الإفادة من فكرة المقطع في دراسة أوزان الشّعْر، وحسن تصرّفه بالمصطلح وإطلاقه تسمية المقطع القصير على ما يقابل الصّامت المتبوع بصائت قصير (ص ح)، والمقطع الطّويل على ما يقابل الصّامت المتبوع بصائت طويل (ص ح ح) ، حيث عرّفه على ضوء تتابعات من الأصوات، فقال: "كلّ حرفٍ غير مصوّت ، أتبع بمصوّت قصيرٍ قرن به ، فإنّه يسمّى المقطع القصير، والعرب يسمّونه الحرف المتحرّك من قبل أنّهم يسمّون المصوّتات القصيرة حركات وكلّ حرفٍ لم يتبع بصوت أصلاً وهو يمكن أن يقرون له، فإنّهم يسمّونه الحرف الساكن ، وكلّ حرفٍ غير مصوّت قرن به مصوّت طويل، فإنّا نسمّيه المقطع الطّويل".⁽²⁾

فقد ذكر الفارابي نوعين من أنواع المقاطع في العربية هما: المقطع القصير وهكذا سمّاها، والمقطع الطّويل المفتوح، وأغفل ذكر المقطع الطّويل المغلق، وسائر

(1) ينظر أبحاث في أصوات العربية: 87

(2) ينظر التنوعات اللّغوية: 76

المقاطع العربية الأخرى، ويبدو أنه قد وجّه العناية إلى العلاقة بين الصّائت والصّامت في بناء المقطع القصير أو الطّويل، وانحصر في هذه الثنائية، ولما وجد السبب الخفيف يشكّل، نعمة لا تختلف عن نعمة المقطع الطّويل ربط بينهما بقوله: "وكلّ مقطعٍ طویلٍ فإنّ قوّته قوّة السبب الخفيف..."⁽¹⁾ ولهذا أدرك العلاقة الثابتة بين المقطع الطّويل والسبب الخفيف ونصّ على ذلك بقوله: "وكلّ حرفٍ متحرّكٍ أتبع بحرفٍ ساكنٍ، فإنّ العرب يسمّونه السبب الخفيف..."⁽²⁾

وبناءً على ذلك يتقرّر أنّ الفارابي أوّل من عرفه بمعناه الاصطلاحي، ولا شكّ أنّ حداثة المصطلح تؤدّي إلى تساهل الواضع في استعمال اللفظ، بمعناه اللغوي إلى جانب استعمال المعنى الاصطلاحي، وهذا ما وجدناه عنده، فنحن نقراً له في مواضع ممّا كتب، كلاماً في ذكر المقطع بالمعنى الاصطلاحي، كما ورد في النصوص المذكورة آنفاً، ونقرأ له أيضاً كلاماً يستعمل فيه اللفظة على إرادة المعنى اللغوي لا الاصطلاحي فمن ذلك مثلاً: والألحان المسموعة من الآلات منها ما صيغت ليحاكي بها ما يمكن محاكاته من الألحان الكاملة، أو لتجعل تكثيرات لها افتتاحات ومقاطع واستراحات إليها في خلال المحاكاة...⁽³⁾

فالمقاطع الواردة في هذا النصّ جمع مقطوع ولا يراد به المعنى الاصطلاحي له، لأنّ الكلام ليس بسبيله، بل الكلام على مواضع التصرف بالألحان المسموعة، فالمقطع هنا إذن يراد به موضع القطع أو الوقف؛ وبهذا لم يخرج في هذا التعريف على تسمية العروضيين، وخرج من مصطلحه الجديد وكأنّه نسي فكرة المقطعية، وصار يتكلّم على الأسباب والأوتاد.

ومن خلال الكتاب الثمين قدّم لنا الفارابي دراسة صوتية نفيسة وأراء قيّمة

(1) أبحاث في أصوات العربية: 104، نقلاً عن الموسيقى الكبير: 1075.

(2) المرجع نفسه: 103.

(3) المرجع نفسه: 103، نقلاً عن الموسيقى الكبير: 68-69.

في دراسة المقطع الصّوتي بنوعيه في العربية، دراسة تنطبق مع ما توصل إليه العلم اللّساني الحديث، توصل إليها في فترة مبكرة في القرن الرّابع الهجري، وقد حذا حذوه كلّ من ابن سينا (ت 428هـ) وابن رشد (ت 595هـ)، فابن سينا ألمّ بأنواع المقاطع الرّئيسية والتي تعادل عندنا الآن المقطع الأوّل (ص ح) والثاني (ص ص ح) والرّابع (ص ح ح ص)، أمّا ابن رشد فإنّه يعبر تعبيراً صريحاً عن مفهوم المقطع مستعملاً المصطلح نفسه. بمعنى اجتماع صامت وصائت كما يستعمل كلمة السلابي المعرب من كلمة (sullabé اليونانية) والدّالة على الضّم والجمع⁽¹⁾.

وليس بعد الذي عرفه هؤلاء شكّ في أنّ مفهوم المقطع كان معروفاً منذ القرن الرّابع الهجري عند هذه الطّائفة من الفلاسفة الأطباء وعلماء الكلام، أمّا أسباب إغراض اللّغويين عن الإفادة من هذه المعرفة، فليس من السّهل إدراكها.⁽²⁾

مفهوم المقطع

لا ريب أنّ الجهاز الصّوتي صالح لإنتاج العديد من الوحدات الصّوتية التي ينضمّ بعضها إلى بعض لتؤلّف الكلمات ثمّ الجمل، وهذا التّأليف قائم على الفتح والغلق الكليّ أو الجزئيّ الذي يجري داخل هذا الجهاز في تتابع مستمرّ في أثناء العمليّة الكلامية، وهذا قائم على أساس النّطق المقسّم للكلمة والكلام إلى إيقاعات صوتيّة تجعل للكلام أجزاء يعرف كل منها بالمقطع (syllabe).⁽³⁾

وما يلاحظ من البحث أنّ اللّغويين المحدثين اختلفوا في تعريف المقطع ولعلّ السّبب في ذلك يعود إلى تعدّد المذاهب، وتباعد وجهات النّظر، ففي أوّل الأمر ثار جدل وخلاف حادّ بين اللّغويين حول أهميّة المقطع وماهيّته في التّحليل اللّغوي،

(1) ينظر مبادئ اللّسانيات: 116

(2) ينظر المرجع نفسه: 116.

(3) ينظر أصوات اللغة العربية: 199.

وانقسم العلماء إلى مؤيد ومعارض له، ومن رواد الفريق الأول "سويت sweet" الذي صرح بعدم أهمية المقطع، وكذلك روسلي rousselet بينما قال: "إن الكلمة والمقطع كليهما لا يوجدان إلا في الكلام المقطع".⁽¹⁾

ونقل كذلك عن سيربتور قوله: "إن الكلام لا يحتوي على قوالب من الأصوات كما تمثلها الحروف. أو أي مجموعات أكبر كالمقطع".⁽²⁾ لكن سرعان ما خففت بعض الدراسات التجريبية من غلو هؤلاء المهاجمين حيث أزال الت بعض اللبس الذي أحاط بالمقطع وذلك بتقديم الوسائل العلمية بعد أن أثبت أن الصدر لا يواصل ضغطاً ثابتاً خلال العملية التنفسية، وأن عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع.⁽³⁾

وإذا كانت الأصوات المعروفة هي العناصر البسيطة والصغرى التي تتكوّن منها الكلمة فإنه بين الصوت المفرد والكلمة المركبة من عدة أصوات مرحلة وسيطة هي مرحلة المقطع⁽⁴⁾. وهو "أصغر وحدة صوتية يمكن النطق بها ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة".⁽⁵⁾

لكن تعريفه بشكل عام اتجه فيه اتجاهين رئيسيين، الاتجاه الفونيتكي، والاتجاه التشكيلي الفونولوجي. ولأن وجهتي في عملي هذا لا تسمح بتتبع كل الآراء والاتجاهات، فإننا سنتوقف عند أكثر تعريفات المقطع شيوعاً وتحديداً، وهو الذي يرى أن المقطع "تتابع من الأصوات الكلامية له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية، تقع بين حدّين أدنيين من الإسماع".⁽⁶⁾

(1) ينظر دراسات الصوت اللغوي: 237.

(2) ينظر المرجع نفسه: 237.

(3) ينظر التنوعات اللغوية: 73.

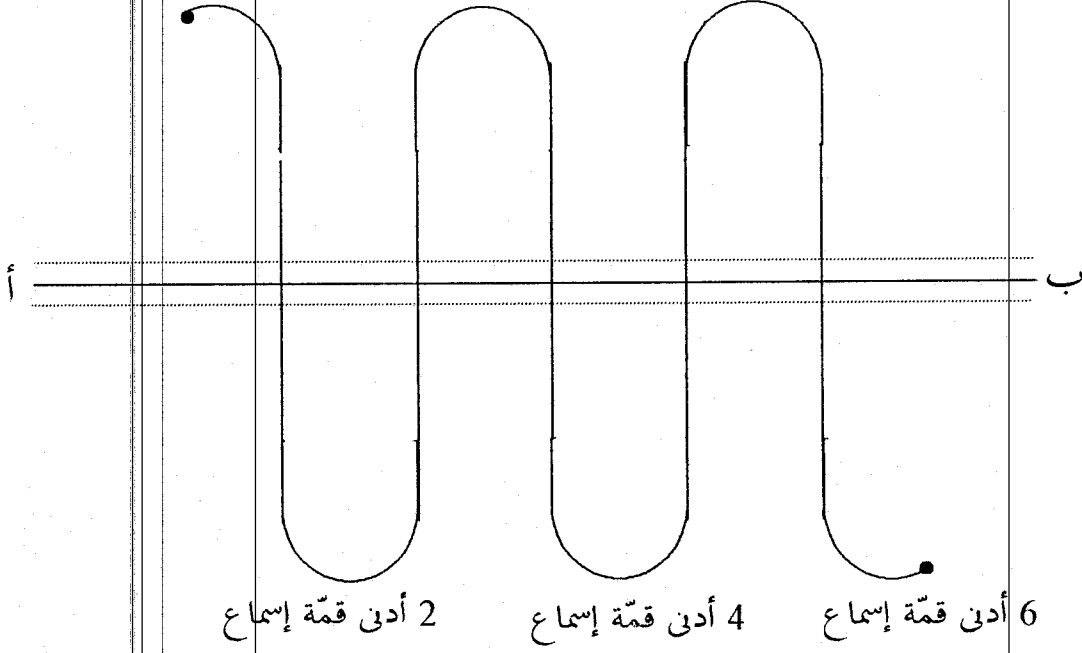
(4) ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية: 38.

(5) أصوات اللغة العربية: 199، وينظر القراءات القرآنية: 25.

(6) دراسة الصوت اللغوي: 241 وينظر 459: Dictionnaire de linguistique la rousse 94 duboi et les autres.

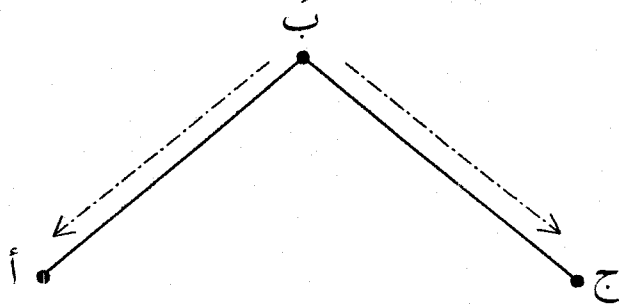
على نسبة الوضوح السّمي، ومعنى هذا أنّنا نعطي لقمّة المقطع الصّوت الأكثر إسماعاً أو تصوّياً. ونلحق الأصوات الأقلّ إسماعاً بالمركز التّابع⁽¹⁾. والشكل الآتي يمثّل المقطع في ضوء ما عرف من تعريفات:⁽²⁾

5 أعلى قمّة إسماع 3 أعلى قمّة إسماع 1 أعلى قمّة إسماع



حيث يمثّل الخطّ (أب) الوسط الذي ينتقل بواسطته الكلام. وتمثّل الأرقام 1-3-5 أعلى قمم الإسماع. وتمثّل الأرقام 2-4-6 أدنى قمم الإسماع.

ويتألف المقطع اللّغوي من أقسام ثلاثة، كما هو موضّح في الشكل الآتي⁽³⁾:



(1) ينظر دراسة الصوت اللّغوي: 248 و Dictionnaire de linguistique: 459.

(2) ينظر التنوعات اللّغوية: 77.

(3) ينظر الأصوات اللّغوية لعبد القادر عبد الجليل: 217.

ويعرفه كانتينو قائلاً: "إنَّ الفترة الفاصلة بين عمليّتين من عمليّات غلق جهاز التّصويت سواءً أكان الغلق كاملاً أو جزئياً هي التي تمثّل المقطع".⁽¹⁾ أي الانتقال من وحدة لأخرى بوقفه صغيرة ، ويعرّف المقطع بالنّظر إلى كونه وحدة في كلّ لغة على حدة، ويعرّف المقطع تشكيلاً فونولوجياً بأنّه وحدة أو مجموعة تحوي على صوت صائتٍ واحدٍ أو مع صوامت أقلّها واحد يضمّها نظام معيّن.⁽²⁾ وهذا ما يتبيّن لنا أنّ للمقطع جزءان أساسيان أحدهما يعرف بالقمّة والآخر بالقاعدة أو الهامش فقد لوحظ بالتّجربة القائمة على تسجيل الذبذبات الصّوتية الجمل أن أثر هذه الذبذبات يبدو في شكل خطّ متموّج يتكوّن من قمم ووديان.⁽³⁾ وعرفّه دوسوسير "بأنّه الوحدة الأساسية التي يؤدّي الفونيم وظيفته داخلها".⁽⁴⁾ ويلاحظ أنّ هذا التعريف وغيره، يستند إلى أنّ الصّوت الصّائت يمثّل قمّة في المقطع، وبالفعل فإنّ الصّوائت أكثر الأصوات من حيث الوضوح السّمعي⁽⁵⁾، وهذا ما برهنت عليه التجارب الحديثة، وقد استنتجت في الفصل الأوّل أن أشباه الصّوائت (اللام، النّون، والرّاء، والميم) تلي الأصوات الصّائتة في درجة وضوحها السّمعي، وترد لذلك قمّة في المقطع على نحو ما يرد ، الصّائت عادةً. ولهذا عدّت أصواتاً مقطعية (sonantes)، أمّا سائر الصّوائت فلا تقع قمماً بل هوامش في المقطع.⁽⁶⁾

والأصوات هي التي تحتلّ مركز القمّة، وغير المقطعية هي التي تحتلّ مركز الحاشية أو الهامش في المقطع بحيث أنّ كثيراً من اللّغويين يؤسّسون نظرية المقطع

(1) دروس في علم أصوات العربية: 241، وينظر التطور اللّغوي: 94.

(2) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 254.

(3) الأصوات اللّغوية لإبراهيم أنيس: 161.

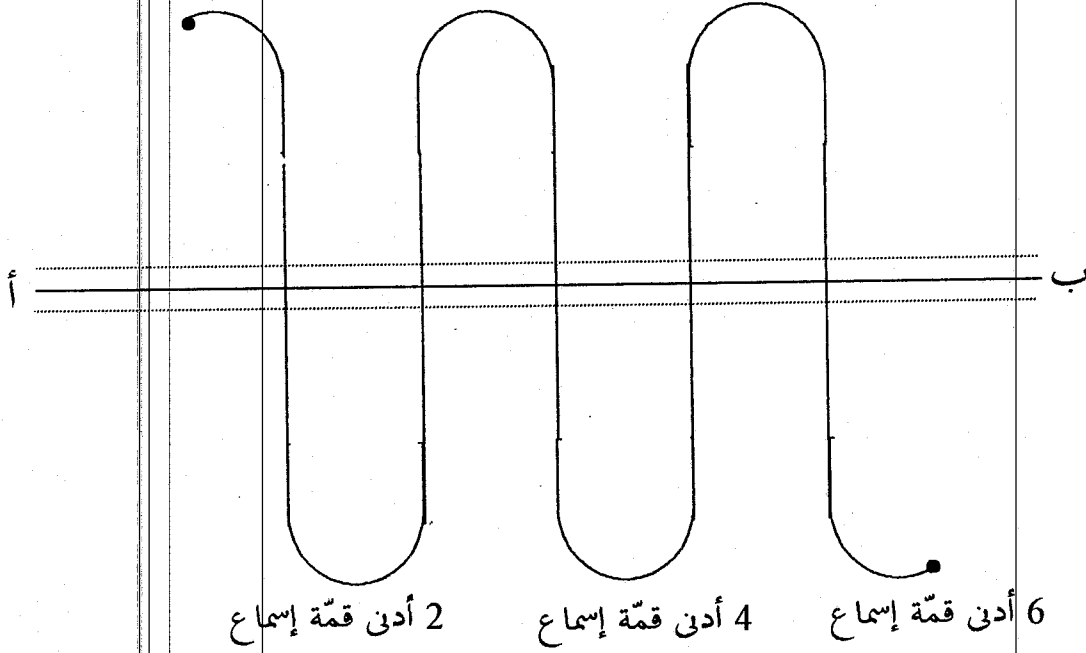
(4) محاضرات في الألسنية العامة: 78 والأصوات اللّغوية لعبد القادر عبد الجليل: 217 و Les principes de phonologie: 198.

(5) ينظر 197: Les principes de phonologie.

(6) ينظر الأصوات لإبراهيم أنيس: 162 واللغة لفندريس: 53-54.

على نسبة الوضوح السّمي، ومعنى هذا أنّنا نعطي لقمة المقطع الصّوت الأكثر
إسماعاً أو تصوّياً. ونلحق الأصوات الأقلّ إسماعاً بالمركز التّابع⁽¹⁾.
والشكل الآتي يمثّل المقطع في ضوء ما عرف من تعريفات:⁽²⁾

5 أعلى قمة إسماع 3 أعلى قمة إسماع 1 أعلى قمة إسماع

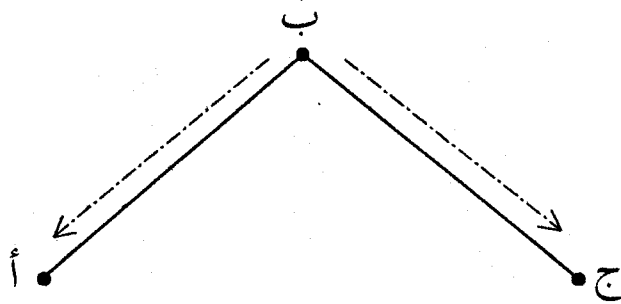


حيث يمثّل الخطّ (أب) الوسط الذي ينتقل بواسطته الكلام.

وتمثّل الأرقام 1-3-5 أعلى قمم الإسماع.

وتمثّل الأرقام 2-4-6 أدنى قمم الإسماع.

ويتألف المقطع اللّغوي من أقسام ثلاثة، كما هو موضّح في الشّكل الآتي⁽³⁾:



(1) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 248 و Dictionnaire de linguistique: 459.

(2) ينظر التنوعات اللغوية: 77.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 217.

يمثل الخطّ (أب) التوتّر المتصاعد ، وتمثل النّقطة الإرتكازية (ب) في أعلى الاتّجاه
قمّة إسماع أو نقطة الذروة في التوتّر بينما يمثل الخطّ (ب ج) التوتّر المتناقص أو
التنازلي، وبهذا تكون حدوده:

(أ) الهامش الأوّل، استهلال ابتدائي، و(ب) القمّة أو نواة المقطع و(ج) الهامش الثاني
أو ذيل المقطع.

وأشهر النظريات لتفسير الصّوت المقطعي، نظريتان، النظرية الأولى وهي
نظرية عالم الأصوات الأمريكي stetson ، وتسمّى باسم نظرية الانقباض الصّدري ،
بحيث لاحظ وجود علاقة بين تقسيم المقاطع وبين أداء العضلات ، فانقباضها
واسترخاؤها التي ينتج الجهد أو الطّاقة اللازمة لتكوين قمم البروز التي يستعملها
ويستقبلها على أنّها مقاطع.⁽¹⁾

والنّظرية الثانية ، وهي نظرية جسبرسن jespersen ، وهذه النّظرية قائمة على
الأساس الصّوتي ونقوم على أساس تحديد معنى الإسماع، إذ أنّ سماع الصّوت يعتمد
على عمودٍ من الهواء المتذبذب، وكلّما كان هذا العمود أكبر من غيره كان إسماعه
أكبر من العمود الأصغر، ولهذا لا يتّفق صوتان كلاميّان في نفس درجة الإسماع،
فمن الممكن أن تنظّم هذه الدّرجات المختلفة من الإسماع في سلسلة أقلّها إسماعًا
الأصوات المهموسة، وأكثرها إسماعًا الحركات، وميّز جسبرسن بين ثمان درجاتٍ
للإسماع هي كالآتي: ⁽²⁾

1- الأصوات المهموسة الانفجارية أو الاحتكاكية (الشديدة أو الرّخوة) ، نحو:
الكاف والتّاء ، والطّاء ...

2- الأصوات المجهورية الانفجارية : الباء والرّاء ... (الشديدة)

(1) ينظر المدخل إلى علم الأصوات لصلاح حسنين: 44 ودراسة الصّوت اللّغوي: 244.

(2) ينظر دراسة الصّوت اللّغوي: 244 وأصوات اللّغة العربية: 200-2001.

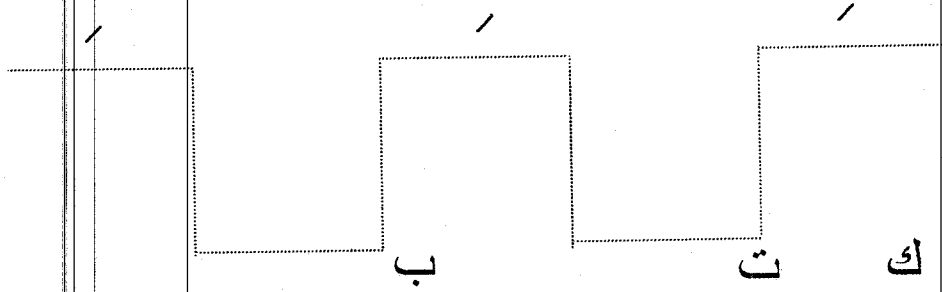
3- الأصوات المجهورة الاحتكاكية (الرّخوة).

4- الأصوات المتوسّطة أو المائعة: اللّام والميم والتّون.

5- الرّاء.

6- الحركات أو الأصوات المغلقة والمتوسّطة والمفتوحة (الفتحة-الضمّة-الكسرة).

مثال: كَتَبَ



والحركات الواسعة، أصوات مقطعية صمّاء لأنها أعلى الأصوات وضوحاً أمّا ما عداها فقد تسمّى مقطعيّة حيناً ، وغير مقطعيّة حيناً آخر فإذا صاحبت ما هو أعلى منها وضوحاً فهي أصوات غير مقطعيّة، وإذا صاحبت ما هو أقلّ منها وضوحاً سمّيت مقطعيّة، فاعتبارها على الحالين أمر نسبي⁽¹⁾. وبذلك قسّمت الأصوات من ناحية المقطعي وعدمها إلى ثلاثة أنواع...

1- نوع لا يقع إلّا جوهراً أو قمّة في المقطع ، ولذا فهو مقطعي دائماً ، ولا يدخل في هذا النوع إلّا العلل الواسعة التي لا يعلوها صوت في قوّة الإسماع (وهي الحركات القصيرة)

2- نوع لا يقع إلّا هامشاً في المقطع، غير مقطعي دائماً ، ويشمل ذلك الأصوات الأقلّ إسماعاً.

3- نوع صالح للحالتين بحسب درجة إسماع مصاحبته، وهو النوع الوسط بين النوعين السّابقين والأكثر من ناحية العدد ، وليس الأكثر من نسبة الوقوع⁽¹⁾.

(1) ينظر دراسة الصّوت اللّغوي: 249-250.

لكن العربية تقصر موقع القمة على الصوائت وحدها ، كما تقتصر مواقع الهوامش على الصوائت جميعها ، لذلك تتبين المقاطع بالنظر إلى الصوائت، إذ لا بد من وجود الصائت لتكوين المقطع.⁽¹⁾ أي أنه لا يوجد مقطع عربي حال من صوت صائت أو حركة ، وسنوضح هذا عند الحديث عن أنواع المقاطع العربية في التشكيل الصوتي،⁽²⁾ وبالنظر إلى تنتهي به المقاطع من الأصوات الصائتة. ويعرفه عبد الرحمان أيوب باعتبار المقطع وحدة نطقية ، وأن تكون هذه الأخيرة ماديا مقسمة بتقسيم المقاطع في العبارة ، ويرى أنه من الواضح دائما لعلماء الأصوات أنها تتداخل في نطقها، وهذا التداخل يعني أنه من وجهة النظر الأدائية لا يمكن اعتبار الصوت ممثلا لعلمية مستقلة عن العملية اللازمة للصوت السابق أو اللاحق له.⁽³⁾

أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية:

من المعلوم أن الأصوات الصائتة (الحركات) لا تقع في بداية المقطع الصوتي العربي في اللغة العربية، وذلك على عكس الأصوات الصامتة التي تبدأ بها المقاطع ويمكن أن تنتهي بها أيضا. وإذا نظرنا إلى أنواع المقاطع في العربية، سنجد خمس أشكال هي:

أولا: صامت + صائت قصير (ص ح) أو * (cv) . ومن هذا المقطع القصير وحده يمكن أن نجد كلمات لغوية ذات معنى أو بالأحرى ذات وظيفة ، ومن ذلك الحروف الجر كالباء والكاف واللام والواو . وكلها تؤدي وظيفة ذات أهمية في

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 110.

(2) ينظر هذه المسألة بالتفصيل في مبادئ علم الأصوات العام لديفيدا بروكرومي: 115، ترجمة: محمد فتيح، كلية دار العلوم - القاهرة، ط1، 1988.

(3) ينظر الكلام إنتاجه وتحليله: 196.

(* (c) تشير إلى الصامت (consonne) و (v) تشير إلى الصائت (voyelle)، وحين يتكرر (ح أو v) فإن ذلك يدل على الصوت الصائت الطويل.

تكوين الجملة العربية أو في تأليف الكلام العربي⁽¹⁾.

ثانياً : يتكوّن من صوتٍ صامت + صائتٍ طويل (ص ح ح) (cvv) ، مثل المقطع الأوّل من كلمة داخل، خارج ، فارس.⁽²⁾

ثالثاً : يتكوّن من صوت صامت + صائت + صامت، ومثاله: من، بل (ص ح ص) (CVC).

رابعاً: يتكوّن من صامت+صائتٍ طويل+صامت، ومثاله المقطع الأخير من كلمة تستعين (cvvc)، الضّالّين (ص ح ح ص)، حالة الوقف⁽³⁾.

خامساً : صامت + صائت + صامت + صامت (ص ح ص ص)، مثل المقطع الأخير من كلمة المستقرّ عند الوقف عليها (ص ح ص ص cvvc)⁽⁴⁾.

هذه هي أنواع المقاطع التي يمكن أن يتكوّن منها نسيج الكلمات والأنواع الثلاثة الأولى هي الشائعة، وهي التي تكوّن الكثرة الغالبة من الكلام، وتلّقي في أوّل الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، أمّا التّوعان الأخيران فقليلاً الشّيع، ولا يكونان إلاّ في أواخر الكلمات وحين الوقف.⁽⁵⁾ وسنلاحظ هذه النتائج عند دراسة النّسيج المقطعي للسّورة.

ولقد أضاف تمام حسان إلى هذه المقاطع لوّناً آخر سادساً يتكوّن من (ح ص)، أي صائت + صامت. بمعنى أنّه أضاف نوعاً سمّاه بالمقطع التشكيلي^(*)، ومثّل له بهمزة الوصل أو بأداة التعريف ويرى أنّ هذا المقطع تشكيلي فونولوجي غير أصواتي ولأنّ الأصوات لا تعترف بأنّ تبتدئ المجموعة الكلامية بصائت، ولهذا تعتمد إلى

(1) ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية: 38.

(2) ينظر التطور اللغوي: 95 وظاهرة التنوين لعوض المرسي جهاوي: 32، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1، 1982.

(3) ينظر الألسنية العربية لريمون الطحان: 70.

(4) ينظر المرجع نفسه: 70.

(5) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 165.

(*) وهو مقطع له وظيفة تشكيلية داخل السّياق الصوتي (الفونولوجي).

همزة تنشئها قبل هذه الحركة، وتتخذها جسراً للنطق بها، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع⁽¹⁾.

غير أن الحجّة التي ساقها إلى اعتبار همزة الوصل أو أداة التعريف مقطّعا، يتكوّن من حركة يعقبها صوت صامت هي حجّة واهية ، لأنّه إذا كان نظام اللّغة يقتضي فيه سكون فاء الفعل واطراح همزة الوصل، فالأولى ألاّ يعتدّ بكسرة هذه الهمزة لأنّها تابعة لها، ولأنّ النّظام المقطعي للغة العربية يأبي أن تتكوّن من (ص ص ح) كالمقطع الأوّل في (دخّل) ومن هنا توسّلت العربية بهمزة الوصل المكسورة ليصبح لدينا مقطعان هما (ص ح ص) وهو (أد) (ص ح ص) و(خُل) (ص ح ص) ثمّ تأتي بقيّة المقاطع بعد ذلك ، لأنّ النّظام العربي التشكيلي لا يقتضي وجود مقطع متكون من (ح ص) وقد تخلّصت العربية من هذا اللون المقطعي ، لأن الذّوق العربي يأبي التّقاء ساكنين خاصّة في أوّل الكلمة.⁽²⁾

1- تقسيم المقاطع العربية من حيث الكمية :

- مقاطع قصيرة: وهو المقطع المكوّن من (ص ح) أي صامت + صائت، وهو كثير الشّيوع في بنية الكلمات العربية، نحو المقاطع من كلمة دخّل: ص ح، ص ح، ص ح.
- مقاطع متوسطة: تشمل المقطعان التّاليان : ص ح ح، أي صامت + حركة طويلة (ص ح ص).
- مقاطع طويلة : هو ما تألّف من صامتين أو أكثر مع صائت طويل، نحو: بلاّب، عود (ص ح ص)، أو من ثلاثة صوامت مع صائت قصير، نحو : بلذر (ص ح ص ص).

(1) ينظر مناهج البحث: 145.

(2) ينظر ظاهرة التّونين في العربية: 32 ومصطلحات الدّراسة الصوتية: 391.

(3) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 257 وموسيقى الشعر لإبراهيم أنيس: 147، ط5، 1981، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة: 128-

ويطلق بعض الدّارسين على المقطع المتوسّط صفة الطّويل، في حين أنّهم يطلقون على الطّويل في وصفنا الأنف صفة المغرق في الطّول أو صفة المديد⁽¹⁾.

2- تقسيم المقاطع العربية من حيث الشكل :

تنقسم هذه المقاطع بالنّظر إلى ما تنتهي به إلى:

مقاطع مفتوحة (syllabes ouvertes): إذا انتهى المقطع بالصّائت الطّويل أو القصير أي (ص ح) أو (ص ح ح) نحو : ب، م.

مقاطع مغلقة (syllabes fermées): إذا انتهى المقطع بالصّامت، نحو من، قُل (ص ح ص)، أو (ص ح ح ص) نحو باب أو انتهى بصامتين نحو: تُكَلِّ (ص ح ص ص) في حال الوقف. والمقطع الأخير يسمّى عند البعض مضاعف الإغلاق لانتهائه بصامتين⁽²⁾.

وإذا نظر الدّارس إلى الكلمة العربية من حيث بنائها المقطعي، فإنّه يلاحظ أنّ أقلّ ما تتركّب منه هو مقطع واحد، وأنّ أكثره هو سبعة مقاطع فمن ذات المقطع ترد مبانٍ صرفية مستقلة (مورفيم) كالباء الجارّة والواو العاطفة، واللام والسّين، ونحو ذلك ممّا يتألّف من مقطعٍ واحدٍ قصيرٍ مفتوحٍ (ص ح)، ومن ذات المقطع الواحد المتوسّط (ص ح ح) ترد مبانٍ أخرى نحو: في، با، لي... وغيرها.

ومن ذات المقطع المتوسّط المغلق (ص ح ص)، تكثر المباني، نحو: كم، عند، لم، لو، هل... وتأتلف المقاطع من كلّ شكلٍ من الأشكال السّابقة لتكوين كلمات ذوات دلالات معجمية. فمن المقطع الأوّل (ص ح) تتألّف الأفعال الثلاثية المجرّدة في صيغة الماضي: ضرب، وأكل، وشرب. فكلّ كلمة من هذه الكلمات يتألّف من

(1) ينظر العربية الفصحى: 44 وفي علم اللغة: 107-108 وعلم اللغة العامّ لتوفيق محمد شاهين: 106.

(2) ينظر المصطلحات اللّغوية الحديثة في اللغة العربية: 157 والدلالة الصوتية والصرفية لعبد القادر عبد الجليل:

71، دار الصفاء، 1997.

ثلاثة مقاطع من النوع الأول، أي: ص ح، ص ح، ص ح، أما ورود أكثر من ثلاثة مقاطع من هذا الشكل فممنوع في الكلمة المجردة من اللواحق، ومكروه، وقليل في الكلمة التي لحقها شيء من الزيادة نحو: ورَقْتُكَ، المؤلفة من المقاطع التالية: ص ح، ص ح، ص ح، ص ح، ص ح، ص ح، و، ر، ق، ت، ك.⁽¹⁾

ومن المقطع الثاني (ص ح ح) تتألف كلمات كثيرة شريطة ألا يتكرر المقطع نفسه ثلاث مرّات في الكلمة المجردة، أما الكلمة التي لحقت بها زيادة ما فإن ذلك مسموح، نحو: زاروها، أي: ص ح ح، ص ح ح، ص ح ح.

ويرد المقطع الثالث (ص ح ص) في تأليف الكلمات كثيراً، فهو يرد في أول الكلمة ووسطها وآخرها، نحو: قَتْلٌ، أي: ص ح ص، ص ح ص، ويُدخِرُ: ص ح، ص ح ص، ص ح، ص ح.

وتتمتج المقاطع السابقة بطرقٍ تشكيلية مختلفة لتشكّل معظم الكلام العربي، أمّا المقطعان الرابع والخامس، فقد سبق أن قلنا إنهما قليلا الورد وإتھما لا يسوغان إلا في حالاتٍ محدّدة كالوقف وهما مع قلة ورودهما خاصّان بالثّر، ولا وجود لهما في الشّعْر الذي استعمل المقاطع القصيرة والمتوسّطة، ولم يفسح المجال للمقاطع الطويلة.⁽²⁾ وقد لاحظ بعض الباحثين المحدثين أن الشّاعر إذا واجه شيئاً من المقاطع الطويلة تخلّص من هذه الصّعوبة بطرقٍ مختلفة⁽³⁾.

ويكشف الوقوف على مقاطع كلّ لغة الكثير من الخصائص التركيبية، وسنصل إلى نتائج من خلال العملية الإحصائية لمقاطع السّورة.

(1) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 260 ومبادئ اللسانيات: 112.

(2) ينظر مبادئ اللسانيات: 113.

(3) ينظر العربية الفصحى: 44.

مميزات المقطع في اللغة العربية:

دلت الدراسات حول المقطع في العربية الفصحى على عدد من الخصائص المهمة منها:⁽¹⁾

- 1- إن المقطع في اللغة العربية لا بد من يبدأ، دائما بصامت.
- 2- يتبع الصائت الصامت الذي يشكل بداية المقطع.
- 3- لا يجوز أن يبدأ المقطع بصامتين، كما لا يبدأ بصوت صائت.
- 4- ينتهي المقطع في اللغة العربية ، إما بصائت قصير أو طويل، وإما بصائت واحد.
- 5- لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من اللواحق على أربعة إلا نادرا.
- 6- أكثر ما يمكن للكلمة أن تتركب منه هو سبعة مقاطع مع كل زيادة نحو: فسيكفيكهمو أي: ص ح، ص ح، ص ح ص، ص ح ح، ص ح، ص ح، ص ح ح ح.
- 7- أقل ما تتركب منه الكلمة هو مقطع واحد.
- 8- لا يجوز تكرار المقطع الثاني ص ح ح، في كلمة مجردة ثلاث مرات.
- 9- لا يجوز وقوع المقطع الخامس في صدر الكلمة أو في حشوها، لأنه خاص بالوقف.
- 10- لا تقبل الكلمة العربية تآلف مقطع من النوع الثالث ص ح ص، مع مقطعين من النوع الثاني ص ح ح ، نحو: سرغايا، وهو علم أعجمي.⁽²⁾
- 11- لا تقبل الكلمة العربية أيضا تآلف مقطع من النوع الثاني ص ح ح ، مع مقطعين من النوع الثالث، نحو : شابندر الفارسية⁽³⁾.
- 12- لا تقبل الكلمة العربية كذلك تآلف مقطع من النوع الثاني مع مقطع من النوع

(1) ينظر الدلالة الصوتية والصرفية: 71 وفي علم اللغة العام: 108-109، وعلم اللغة العام: 106 وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة: 130.

(2) ينظر الوجيز في فقه اللغة: 261. سرغايا: علم لقرية في سوريا بمحافظة دمشق، ينظر منجد الأعلام: 299، دار المشرق - بيروت.

(3) ينظر المرجع نفسه: 261، شابهندر التجار نقيهم، ينظر منجد الأعلام. 260.

الخامس. و قد مثل الأنطاكي لهذا النسيج المرفوض بكلمة جومرت الأعجمية الشائعة في لهجة حلب⁽¹⁾.

13- تميل العربية إلى رفض المقطع الرابع ص ح ح ص في كثير من المواقع، وذلك بتحويله إلى مقطع من النوع الثالث: ص ح ص، نحو: لم يقول (ص ح ح ص)، لم يقل (ص ح ص)، في الجزم يتألف المقطع الثاني (ص ح ح ص) ويقل بعد الجزم صارت تتألف من ص ح ص. ويكاد ورود المقطع الرابع يقتصر على الوقف نحو: باب (ص ح ح ص)، أو على تكرار الصامت الذي ينتهي به نحو: الضالين، وقد تحول الصائت (الحركة الطويلة الألف) في بعض اللهجات العربية في ضالين، إلى همزة، فنطقت: ضألين، فتخلصت بذلك من المقطع: ص ح ح ص⁽²⁾. يقول كاتينو في هذا الصدد: "إن العربية القديمة تتجنب في الغالب - وجود حركة طويلة في مقطع مغلق... وانعدمت من العربية المقاطع ذات الانغلاق المزدوج... وإذا ظهرت مجموعات من هذا الصنف من جراء الوقف، وجب إقحام حركة فصل بين الحرفين"⁽³⁾.

فالمقاطع الشائعة في اللغة العربية هي الثلاثة الأولى (ص ح ح) و (ص ح ح) و (ص ح ص) وهي التي تبني عليها أوزان الشعر العربي⁽⁴⁾.

ولقد أدرك اللغويون العرب أن للغة العربية نظاما خاصا بها فيما يتعلق بتوالي حروفها وحركاتها. وهو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح نظام توالي المقاطع حين قرروا أن العرب قد أسكنت لام الفعل الماضي عند اتصاله بضمائر الرفع، نحو: ضربت، لأنهم كرهوا توالي الأمثال فيما يشبه الكلمة الواحدة. ويعني هذا أن اللغة

(1) ينظر الوحيز في فقه اللغة: 261، جومرت يقصد به الرجل الكيس المتزن، ينظر المنجد: 150.

(2) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 257.

(3) دروس في علم الأصوات العربية: 192، 193.

(4) ينظر موسيقى الشعر: 147، 148.

العربية تتعدد عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول (ص ح) ⁽¹⁾.

وقد أكد العلماء هذه القاعدة، بقولهم أنه ليس هناك كلام عربي على وزن فعلل، إلا أن يكون محذوفاً من مثال فعالل، لأنه ليس حرف في الكلام تتوالى فيه أربعة متحركات، وذلك علبط، إنما حذفت الألف من علابط والدليل على ذلك أنه ليس شيئاً من هذا المثال إلا ومثال فعالل جائز فيه ⁽²⁾، ويضيفون أنه لو فعلوا ذلك لاجتمعت في كلامهم أربعة متحركات ليس معهن ساكن نحو رسلكمو وهم يكرهون هذا ألا ترى أنه ليس في كلامهم اسم على أربعة أحرف متحركة كلها. ⁽³⁾ فنستنتج أن اللسان العربي يأبي توالي أربعة مقاطع متحركة في حين يبيح توالي أربعة مقاطع ساكنة .

وترجع أهمية دراسة المقطع إلى أسباب كثيرة ومن بينها تذكر أن معرفة المقطع في لغة ما تؤدي إلى الوقف على طريقة نطقها فإذا أريد تعلم إحدى اللغات نطقت كلماتها نطقاً بطيئاً، مجزئاً إلى مقاطع، ثم يتدرج ذلك إلى السرعة العادية حتى يتقن المتعلم هذه اللغة بنطقها الصحيح ⁽⁴⁾.

وعن طريق دراسة المقاطع يعرف نسج الكلمة في لغة من اللغات، ففي العربية مثلاً نستطيع معرفة ما ليس بعربي، فما خالف النسج المألوف فيها فهو أعجمي كاجتماع مقطع من النوع الثالث (ص ح ص) مع مقطعين من النوع الثاني (ص ح) مثل مهراجا وسرناجا ⁽⁵⁾.

(1) ينظر التطور اللغوي: 95 و96، وظاهرة التنوين: 31، وبحوث ومقالات في اللغة: 27.

(2) ينظر الكتاب: 335/2.

(3) ينظر المرجع نفسه: 292/2. (طبعة بولاق)،

(4) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 240.

(5) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 129.

ويمكن على أساسها إدراك التفعيلات العروضية ، وطريقة تركيب الكلمات ، وقد أمكن الاستفادة منها في تعليم الصم ، كما ثبت ذلك في التسجيلات الفوتوغرافية في مدرسة تعليم الصم بباريس⁽¹⁾ . والمقطع أساسي لاكتساب طريقة النطق ، فأحسن طريقة للتعود على النطق الصحيح هي نطق الكلمات مقطعا مقطعا⁽²⁾ . وهنا تكمن أهمية معرفة المقطع .

الدراسة الإحصائية لمقاطع السورة :

لا يكتمل البناء الصوتي إلا بمعرفة النسيج المقطعي لآيات السورة الكريمة ، وقد عرفنا في الدراسة النظرية أنواع المقاطع في العربية وسنقوم الآن بدراسة تطبيقية لنختبر ما قاله القدماء والمحدثون في المقطع وأنواعه وخصائصه انطلاقا من نص فصيح يمثل القرآن الكريم ولتكون النتائج برهانا على ما جاء في النظري .

وبعد العملية الإحصائية وتقسيم آيات السورة إلى المقاطع الصوتية التي بها نسيج الكلمات العربية تحصلنا على هذه النتائج :

(1) ينظر دراسة الصوت اللغوي : 238 .

(2) ينظر المرجع نفسه : 240 وأسس علم اللغة : 97 .

الجدول -1-

نسبتها	عدد الورود	نوع المقطع
% 43.26	475	ص ح
% 18.21	200	ص ح ح
% 34.42	378	ص ح ص
% 2.18	24	ص ح ح ص
% 1.91	21	ص ح ص ص

نتائج المقاطع بحسب الكمية والشكل :

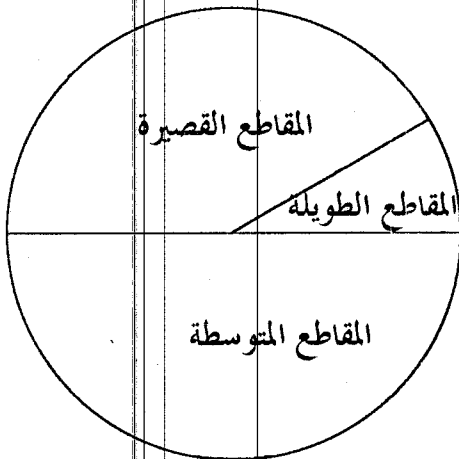
الجدول -2-

نسبتها	عدد الورود	المقاطع بحسب الكمية
% 43.26	475	القصيرة {ص ح
% 52.63	578	المتوسطة {ص ح ح ص ح ص
% 4.09	45	الطويلة {ص ح ص ص ص ح ح ص

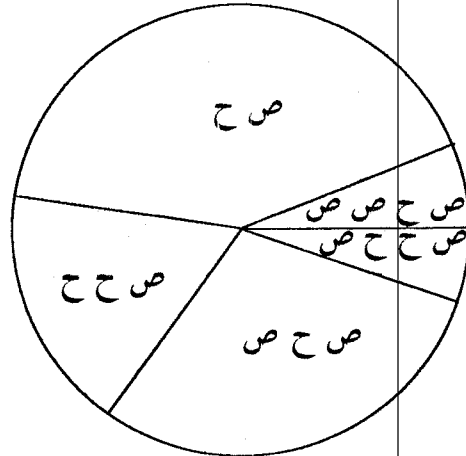
الجدول -3-

نسبتها	عدد الورود	المقطع بحسب الشكل				
61.47%	675	<table border="0"> <tr> <td>ص ح</td> <td rowspan="2">} المقاطع المفتوحة</td> </tr> <tr> <td>ص ح ح</td> </tr> </table>	ص ح	} المقاطع المفتوحة	ص ح ح	
ص ح	} المقاطع المفتوحة					
ص ح ح						
38.51%	423	<table border="0"> <tr> <td>ص ح ص</td> <td rowspan="3">} المقاطع المغلقة</td> </tr> <tr> <td>ص ح ح ص</td> </tr> <tr> <td>ص ح ص ص</td> </tr> </table>	ص ح ص	} المقاطع المغلقة	ص ح ح ص	ص ح ص ص
ص ح ص	} المقاطع المغلقة					
ص ح ح ص						
ص ح ص ص						

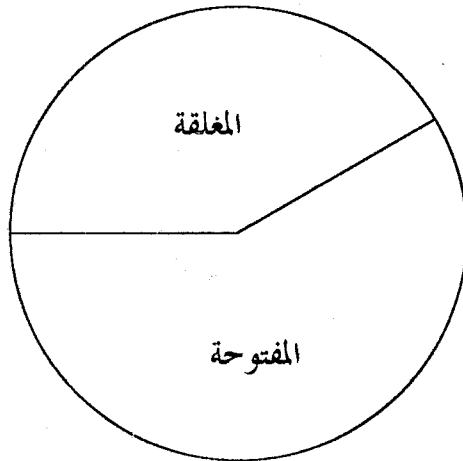
الدوائر النسبية تمثل نسبة المقاطع.



الشكل (2).



الشكل (1).



الشكل (3).

تحليل :

ما يمكن ملاحظته على النتائج المتوصل إليها هو شيوع الأنواع الثلاثة بحيث شكلت الكثرة الغالبة، إذ بلغت نسبة (ص ح) وحده 43.260% و(ص ح ح) 18.20 و(ص ح ص) 34.42%. أما النوعان الأخيران فلم يردا إلا قليلا؛ لأنهما لا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف. ومن اللافت للنظر كذلك أن هذه المقاطع الثلاثة وحدها هي التي يبنى عليها الشعر العربي فيما عدا حالات نادرة يرد فيها المقطع الطويل في قافية بعض الأوزان ونسبته لا تكاد تتجاوز 1%⁽¹⁾.

وقد خلصنا إلى نتيجة مهمة بعد دراسة البنية المقطعية للأسماء المجردة بين حالتَي الوصل والوقف. وهي وظيفة المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح)، فقد اختلفت تماما من بنية الأسماء المجردة في جميع أشكالها المقطعية سواء في حالة الوصل أم في حالة الوقف، وهذه الوظيفة قد انحصرت في وجوده في الكلمات المزيدة أو في الصيغ الاشتقاقية، أو في كلمة حدث فيها إعلان، ومن هنا فقد استنتجت أن دوره يكمن في زيادة معنى على المعنى الأصلي للكلمة أو في وظيفة صوتية كالخفة والسهولة في نطق الكلمة عند تشكيلا، أو كالنبر والضغط للمبالغة والوضوح.

والملاحظ من خلال الإحصاء أن هناك نماذج ممتعة في تركيب الكلمات العربية أو التي في حكمها عندما تتصل كلمتان أو ثلاث كلمات فتشكل لنا لفظا واحدا، بمعنى أنها تخالف الفصاحة العربية في نسج المقاطع الصوتية العربية. ويمكن أن نذكر بعض هذه النماذج الممتعة، ويمكن الإشارة إلى أن النماذج الممكنة متكاملة من الناحية الدراسية مع النماذج الممتعة وهما معا يعبران عن تركيب اللغة من الناحية المقطعية وهي كالتالي:

1- لا توجد كلمة تشتمل على المقطع (ح ص) لا في وسطها أو في آخرها، لأن

(1) ينظر موسيقى الشعر: 147.

العربية لا تبتدئ مقاطعها بحركة.

2- لا توجد كلمة مجردة من الملحقات واردة في صورة (ص ح ح+ص ح ص ص)

نحو: فاعل

3- لا توجد كلمة متعددة المقاطع تبدأ بالمقطع (ص ح ح ص)، لأن هذا المقطع لا

يتكون إلا في حالة الوقف.

4- لا توجد كلمة مجردة ثلاثية المقطع منتهية بالمقطع (ص ح ح ص) أو (ص ح ص ص)

5- لا توجد كلمة مكونة من أكثر من أربعة مقاطع متحدة الشكل، أما الكلمات

ذات الأربعة مقاطع المتحدة الشكل، نحو: ضربك (ص ح، ص ح، ص ح، ص ح)

أو: لم أستقبلهم: ص ح ص، ص ح ص، ص ح ص، ص ح ص.

هذه أمثلة من النماذج الممتعة في اللغة العربية، والتي دل عليها تحليلنا لآيات

سورة الكهف إلى مقاطع. وفائدة معرفتها مساوية لفائدة معرفة الموازين الصرفية

لأن هذه الأخيرة، إذا كانت نماذج تحكم على الصيغة المكونة على مثالها بأنها

عربية، فإن النماذج الممتعة تمكننا من الحكم على شكل تركيب ما بأنه عربي فصيح

أو غير عربي.⁽¹⁾

ولعل هذه النظرية تتضح أكثر من خلال النموذج السادس الممتع في

التركيب اللغوي للعربية الفصحى من الإحصاء التلخيص من توالي المقاطع المتماثلة،

بحذف واحد منها، ونقصد بالمقاطع المتماثلة هنا ما يشمل المقاطع ذات الأصوات

الصامتة المتماثلة أو المتقاربة في المخارج والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع

والأصوات المتماثلة في النطق⁽²⁾.

يقول بروكلمان في هذا الصدد: "إذا توالى مقطعان أصواتهما الصامتة متماثلة

(1) ينظر مناهج البحث: 144.

(2) ينظر بحوث ومقالات في اللغة: 27 والتطور اللغوي: 96.

أو متشابهة جداً، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة، فإنه يكتفي بواحدٍ منهما، بسبب الارتباط الذهبي بينهما".⁽¹⁾

ومما يلاحظ على نتائج الإحصاء كثرة ورود المقطع المفتوح القصير (ص ح) في السّورة الكريمة، ويأتي بعده في التركيب المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، وفي المرتبة الثالثة المقطع المتوسط المفتوح، لأنّ هذه المقاطع الثلاثة الأولى هي التي يتكوّن منها نسيج الكلمة العربية في الكلام المتّصل.

أمّا المقطعان الثالث والرابع فالعربية تأبى استعمالهما، ولهذا قلّ ورودهما في السّورة بنسب متوالية: 02.18%، 01.90%، وتميل إلى هجرتهما كلّما أوتيت إلى ذلك سبيلاً. أمّا في اللهجات العربية فنجدّه كثير الاستعمال؛ فنحن نقول آمريـن: بيع (ص ح ح ص) وروح (ص ح ح ص)، ولكنّ الفصحى تميل إلى التّخلص من هذا المقطع الطّويل المغلق ليصبح مقطّعاً متوسطّاً، ففي الأمر نقول: قُم (ص ح ص) بدلا من قوم⁽²⁾.

وبهذا تكون العربية قد تميّزت عن اللّغات بسماتٍ خاصّة في الأبنية الصّوتية لمفرداتها، فهي إلى جانب استعمالها للمقاطع الأولى نجدّها تستعمل أيضا المقاطع المفتوحة بكثرة، وهذا ما أثبتّه الإحصاء، حيث بلغت نسبة المقاطع المفتوحة: 061.17% في مقابل 038.51%، للمقاطع المغلقة، وهذا راجع لقلة المقطعين المغلقين الرّابع والخامس، اللّذين لا يأتیان إلّا في حالة الوقف.

وتميل العربية إلى استخدام المقاطع المتوسطة المتمثلة في المقطعين (ص ح ص)، (ص ح ح)، لأنّ معظم الكلمات الأحادية المقطع تتكوّن من المقطع القصير (ص ح) أو المقطعان الثاني والثالث.

(1) ينظر بحوث ومقالات في اللّغة: 27، وفقه اللغات السامية لكارل بروكلمان: 79.

(2) ينظر علم اللّغة بين التراث والمناهج الحديثة لمحمود فهمي حجازي: 37، دار غريب للطباعة-القاهرة.

كما هو معلوم فاللغة العربية لها من الكلمات ذات المقطع الواحد، أو ثنائيته
وثلاثيته ورباعيته، والكلمات ذات المقطع الواحد غالبا ما تتكون من المقطع القصير
أو المتوسط، وهي في معظمها أدوات نحوية أو لواحق صرفية.

أما غير الأدوات فقلما نجد منها ما تركيبه مقطع واحد قصير أو متوسط،
مثل ما جاء في السورة، نحو: جعل (متكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة)،
وكثيرة هذه النماذج في السورة وفي العربية، لأنها تحوي الكثير من الأفعال الثلاثية.
والفعل أنذر: ص ح ص، ص ح ص، يتكون من مقطع متوسط مغلق،
ومقطعان قصيران مفتوحان، والفعل رباعي ثلاثي مزيد.

ونظرنا إلى بناء الكلمة العربية، من خلال التطبيق، تقفنا على أن فيها من
المقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح ص) الكثير، لأن المباني الصرفية تكثر منها، نحو:
كم، ومن، وعن، ولو، وهل، وبل.

وتألف المقاطع من كل شكل من الأشكال السابقة لتكوين كلمات ذوات
دلالات معجمية، فمن المقطع الأول (ص ح) تتألف الأفعال الثلاثية المجردة الواردة
في صيغة الماضي نحو: جعل، كبر، نشر،...، فكل كلمة من هذه الكلمات يتألف
من ثلاثة مقاطع من النوع الأول، وهذا ما يفسر نسبتها الكبيرة في السورة.

أما ورود أكثر من ثلاثة مقاطع من النوع الأول في الكلمة المجردة من
اللواحق فممنوع ومكروه، وقليل في الكلمة التي لحقها شيء من الزيادة⁽¹⁾، نحو:
ورقك المؤلفة من المقاطع التالية، (ص ح، ص ح، ص ح، ص ح)، وهذا ما يفسر
أيضا كثرة تواتر المقطع الأول.

ويرد المقطع الثاني (ص ح ح) في كلمات كثيرة، شريطة ألا يتكرر المقطع
نفسه ثلاث مرات في الكلمة المجردة، أما الكلمة التي لحقت بها زيادة ما فإن ذلك

(1) ينظر الوجيز: 260.

مسموح، نحو: قالوا: ص ح ح، ص ح ح، وإذا أضيفت إليها صارت (قالوها):
ص ح ح، ص ح ح. ويرد المقطع الثالث (ص ح ص) في تأليف الكلمة كثيرا،
فهو يرد أول الكلمة، نحو: يجعل: ص ح ص، ص ح ص، ووسطها نحو: نقص
(ص ح، ص ح، ص ح). وآخرها نحو: حسنا ص ح، ص ح، ص ح ص. وتمتاز
المقاطع السابقة بطرق تشكيلية مختلفة لتشكيل معظم الكلام العربي⁽¹⁾.

(1) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 167.

المبحث الثاني

الظواهر فوق التركيبية

إن السلسلة الكلامية في أي لغة من اللغات، ليست مجرد مجموعة من التكتلات الصوتية المفردة، تنطق مستقلة، بكيانات ذاتية، بل هي عبارة عن مجموعة من الأصوات متألفة مع بعضها في تراكيب لغوية يحمل كل تركيب منها الدلالات المرتبطة في السياقات اللغوية، وسياقات الحال، وفق تنوعات صوتية منتظمة، تشمل هذه التنوعات، التي تمثل ظواهر الكلام، النبر والتنغيم، وقد سميت "بالظواهر فوق التركيبية أو غير التركيبية" لأنها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية، بيد أن لها تأثيرات موجهة للبنى الوظيفية".⁽¹⁾

النبر ACCENT

تتألف اللفظة، كما أسفلنا، من مجموعة من الأصوات المتتابعة، تتألف على هيئة مقاطع، ومن هذه التجمعات يوقف على صورة المتكلمين النطقية، قوة وضعفا، وشدة وليونة.

وبناء على هذا يلاحظ قارئ اللغة ودارسها، عند قراءة نص ما، على وتيرة واحدة وجود وحدات صوتية دنيا مثل الأصوات والمقاطع الصوتية، لأن الكلام ليس أصواتا منفردة أو منعزلة أو مقاطع مستقلة، لا يكتفي بالوحدات الصوتية الدنيا، بل يتألف من وحدات صوتية كبرى، ولهذا أضاف المحدثون تنوعا هو النبر، وعدوه واحدا من الأصوات فوق التركيبية، رغم عدم اشتراكه في تركيب البنى اللغوية واقتضائه للتحقيق طاقة وجهدا عضليا⁽²⁾.

وإذا استقصينا مفهوم النبر ووجوده عند اللغويين العرب من ناحية وأصحاب المعاجم اللغوية، نجد أن النبر عند العرب هو ارتفاع الصوت وبروزه. فيقال: نبر

(1) الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 212.

(2) ينظر علم وظائف الأصوات: 106.

الرجل بنبرة، إذا تكلم بكلمة فيها علو، كما أنه يدل على الهمز .

وقد اختلفت آراء العلماء حول وجود النبر في العربية إذ لم يكن معروفا في

القديم كما هو الآن في الدرس اللساني الحديث، وإلى هذا ذهب إبراهيم أنيس⁽¹⁾،

وبعض الباحثين المستشرقين مثل برجستراسر⁽²⁾ وهنري فليش⁽³⁾.

ولا بأس هنا من الإتيان ببعض النصوص القديمة التي احتوت النبر، ففي هذا

الصدد قال الشيخ ابن سينا: "... هو حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء

كثير"⁽⁴⁾. وهو يشير فيه إلى الهمز الذي استخدمه العرب للدلول واحد، دون

التفريق بينه وبين النبر، فالهمز يعني الضغط، والنبر يعني أيضا الضغط والارتكاز.⁽⁵⁾

(1) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 172.

(2) ينظر التطور النحوي: 72 و 73.

(3) ينظر العربية الفصحى: 49 ودروس في علم أصوات العربية: 195.

(4) أسباب حدوث الحروف: 72.

(5) ينظر القراءات القرآنية: 26.

ومن هذا يتبين لنا العلاقة الموجودة بين الهمز والنبر، فالنبر هو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب، وإن كليهما يتطلب نشاطا متحدا من أعضاء النطق، فنبر "الهمزة كان في المبالغة في حبس الهواء في الحنجرة ن على هيئة سكتة خاطفة"⁽¹⁾.

وبناء على ما تقدم يمكن أن نجزم أن العربية عرفت النبر، وعبرت عنه بمسمياتها المختلفة، كالهمز والعلو والرفع، ومطل الحركات والارتكاز، والإشباع والمد، وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعا للسياق وبتوزن القيم الاستدلالية في النص اللغوي.⁽²⁾

وإذا طلبنا هذا المفهوم، أي النبر، عند اللغويين القدامى -دائما- وجدناهم يربطونه بمظاهر لغوية معينة ومحددة، كما أشرت في الأعلى، كتحديد ابن جني لما سماه بـ "همزة التذكر". ويذكر أن المراد هو مطل الحركة في آخر الكلمة للإشعار بأنك تريد أن تتذكر لفظا عاليا لها، حيث يقول: "إن الحركات عند التذكر يمطلن، وذلك كقولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت، قمتا، ومع الكسرة: أنتي، أي أنت، ومع الضمة، قمتو في قمت"⁽³⁾، فالمطل عند ابن جني، في ما أورد، هو زيادة، قوة الارتكاز، بالإشباع أو التضعيف إذا ما علمنا أن الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة، والواو ضعف الضمة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من القاطع لإبرازه في السمع.

أما سيويه فقد ذكر في مقروء مقرو. ⁽⁴⁾ وهنا نلاحظ سقوط الهمزة من بيبة الكلمة وهي حجازية ⁽⁵⁾ وفي ما ذكره سيويه إسقاط الهمزة الوسطى من الأمور

(1) ينظر القراءات القرآنية: 29.

(2) ينظر التنوعات اللغوية: 110.

(3) الخصائص لابن جني: 131/3 - 132.

(4) ينظر الكتاب: 547/3.

(5) ينظر القراءات القرآنية: 151.

التي اقتبستها اللغة النموذجية من البيئة الحجازية، وهو ما يشكل بنية النبر المدي، الذي امتد على مساحة واسعة من اللهجات الحديثة⁽¹⁾. ويعرف سيويوه الممززة بأنها نبرة من الصدر تخرج باجتهاد⁽²⁾.

ولا نعي أن عدم احتلال النبر مساحة واسعة في الوسط الصرفي العربي، دليل إنكاره وأن العربية لا تعرف النبر، كما ذهب إلى ذلك غير واحد من المستشرقين، وصحيح أن النبر في العربية لم يحظ ببحث مقعد ومستقل، إلا أن هذا "لا ينفي وجود النبر في اللغة ولا تكاد تخلوا منه أي لغة"⁽³⁾. فهناك في متن العربية العديد من الشواهد كما ألمحنا إلى بعضها، ويمكن أن يلتبس من خلالها وظيفة النبر.

ولا بأس من ذكر بعض النصوص، التي أنكر أصحابها وجود النبر في العربية التعرف على وجهات النظر. فقد ذهب المستشرق فليش إلى القول بأن النبر لم يلتفت إليه إلا جزئياً، وفي حالة واحدة في علم الصرف العربي، وهم يذكرون الاسم المؤنث إشارة منهم إلى غيداء ونجلاء، وذلك حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة في مقابل الألف المكسورة. وهو يريد بالأولى المنبورة والثانية غير المنبورة ويضيف قائلاً بأن نبر الكلمة فكرة مجهولة تماماً لدى النحاة العرب، ولم توجد في مصطلحاتهم⁽⁴⁾.

ولقد غاب عن هذا الباحث أن الممززة العربية هي صورة من صور النبر، كما نبه إلى ذلك أبو زيد الأنصاري: "الهمز في اللغة الغمز والمث والضغظ والنبر"⁽⁵⁾.

(1) ينظر الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي: 76 - يتحول النبر التضعيفي إلى الطولي في مثل: دينار، قيراط، التي أصلها: دينار، قراط، ويعلل ابن جني قائلاً: لقولهم في الجمع دنانير وقراريط. ينظر سر الصناعة: 757/2.

(2) ينظر الكتاب: 548/3.

(3) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 357.

(4) ينظر العربية الفصحى: 49 ودروس في علم أصوات العربية: 195.

(5) ينظر الكتاب: 548/3 والبنية اللغوية في اللهجة الباهلية: 57.

وتبعه المستشرق برجستراسر، في إنكار النبر، فقال: "لا نص تستند عليه في الإجابة مسألة، كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن، و مما يتضح من اللغة نفسها، ومن وزنها وشعرها، أن الضغط لم يوجد فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها، ومد الحركات المضغوطة".⁽¹⁾

إن هذا النص على طوله، يحمل تناقضا معه، وذلك لأنه يفرق بين اللغة الفصحى واللهجة، وينفي وجوده في الأول ثم يثبتته و يقر وجوده في الثانية، ويدلل على ذلك بكلمة "مطبوعة" وطريقة ضغطها. لكننا نعرف أن كلمة: "مطبوعة" ليست لهجة كما يظن.

فالنبر في رأي "برجستراسر" لم يوجد في العربية، أو لم يكد يوجد وهو يعلل ذلك بأن اللغة التي يكثر فيها الضغط تحذف الحركات غير المضغوطة وتقصرها، وتضعفها وتطيل الحركات المضغوطة.

ويوجد من العرب أيضا من أنكر النبر على علماء الأصوات العرب القدامى، وأوجد لذلك أسبابا، إذ يذكر بأن اللغويين القدامى لم يوردوا مصطلح نبر الكلمة، ولم يستعملوها بدقة متناهية، ولم يقتصر جهل فكرة النبر عند النحاة فقط، بل تعداهم إلى علماء العروض الذين لم يتحدثوا عنه بالرغم من أن علمهم مؤسس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة القصيرة، وعلماء تجويد القراءات القرآنية، لم يتعرضوا لهذا المصطلح رغم ارتكاز علمهم في جزء كبير منه على فكرة النبر.⁽²⁾

وفي اعتقاده أن العلم الوحيد الذي شغل جزئيا بفكرة النبر، هو علم الصرف، وذلك حين تلحق ألف التأنيث الممدودة بالاسم... وقد سماها بعضهم الألف المنبورة، مثل هيفاء، في مقابل الألف المقصورة أو الألف غير المنبورة في مثل: ليلي.⁽³⁾

(1) التطور النحوي : 72 و 73 .

(2) ينظر علم وظائف الأصوات : 108 .

(3) ينظر المرجع نفسه : 109 .

وإذا كان بعض المستشرقين وغيرهم ينفي ذلك، فإن مستشرقاً مثل بروكلمان يثبت وجود النبر في العربية القديمة، إذ يقول: "يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقى ويتوقف على كمية المقطع فإنه يسير من مؤخر الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعا طويلا، فيقف عليه، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها"⁽¹⁾.

ويؤكد بروكلمان وجود النبر في العربية القديمة الذي يتدنى رحلته من مؤخرة الوحدة الدلالية إلى مقدمتها، وهو مما تغلب عليه الآلات الموسيقية ويعتمد كمية المقاطع.

وهذا التحديد الذي يخص النبر يذكرنا بما وضعه إبراهيم أنيس، من قواعد لكي يحدد النبر في الشعر، ويرر هذا التحليل بأنه أملاه عليه مجيدو القراءات القرآنية، قائلاً بعد التعريف والتحديد لماهية النبر: "هذه هي مواضع النبر العربي، كما يلتزمها مجيدو القراءات القرآنية بالقاهرة"⁽²⁾.

فإذا كان بروكلمان لا ينفي وجود النبر في العربية القديمة ثم يحدد كيفية النبر فإن أنيس لا يقر بوجوده. ولكنه ينطلق من الكيفية نفسها والتي أشار إليها بروكلمان، وهذا يتضح من قول أنيس بأن ليس هناك دليل النبر في العصور القديمة للغة العربية، وقد أثبت خلاف هذا من قبل، إذ قال: "تميز نطق البدوي زمن تدوين اللغة بظاهرة سماها القدماء النبر وهي لا تقتصر على تحقيق الهمز في الكلمة المهموزة الأصل، بل تجاوز ذلك إلى تهميز ما ليس بمهموز أصلاً..."⁽³⁾.

إن الملاحظة التي نسجلها هنا، هي أن أنيس ينفي النبر قديماً ثم يجدده عند

(1) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان : 61/2 ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، ط 2 ، دار المعارف - مصر .

وينظر فقه اللغات السامية : 45 .

(2) فقه اللغات السامية : 99 .

(3) ينظر التنوعات اللغوية : 117 .

مجدي القراءات القرآنية، وقبلهم في في نطق البدو في مرحلة تدوين اللغة، فمادام
النبر غير موجود قديما فما دعاه إلى تجديده؟!

وما يمكن استنتاجه إجابة عن ذلك هو أن القرآن يختلف في قراءته عن
الشعر، ويختلف عنه تركيبا ونظما، لكنه بهذا الاعتبار لم يفرق بينهما أصلا. كما
أننا نشعر من نفيه للنبر حيناً، ومحاولة تأكيده وإثباته بصورة أخرى أن هناك انتقالا
ذا مرجعية، وقد يكون هذا الانتقال مجرد إعادة صياغة لنظريات غريبة.

أما إنكار معرفة اللغويين العرب للنبر بإدعاء جهلهم لمصطلحه على رأي
فليش فإنه مردود بعدهم الهمز والنبر شيئا واحدا دالا على الضغط دون أن يفصلوا
أو يقننوا له لأنهم لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة، ولربما لم تلفت نظرهم لعدم
تدخلها في تغيير المعنى .

ومن الأدلة التي نسوقها للتدليل على وجود النبر في العربية الفصحى، أنه من
طبيعتها تقصير الحركة الطويلة في المقطع المفتوح (ص ح ح)، إذا كان يسبق مقطعا
آخرًا منبورا، ذا حركة طويلة. فأصل مصدر (فاعل) في العربية القديمة هو "فيعلل"
بنبر المقطع الثاني "عال"، وقد ترتب على حلو المقطع الأول من النبر أن قصرت
حركته، صار المصدر "فعال" مثل قاتل قتالا، بدل من قتل "قتالا" (1).

ونورد النص كاملا زيادة في الإفادة وهو للمبرد: "ويجيء في فاعل، الفعال
نحو: قاتلته قتالا، وراميته رماء، وكان الأصل، فيعالا، لأن فاعلت على وزن:
أفعلت، وفعللت، فكان المصدر كالزلزال والإكرام، ولكن الياء محذوفة مثل فيعال
استخفافا" (2).

ومن باب الإنصاف هنا أن نورد قول رمضان عبد التواب، الذي يرد فيه

(1) ينظر التنوعات اللغوية : 117، والتطور اللغوي: 128 .

(2) المقتضب ، 100/2 .

على المنكرين لوجود النبر في العربية: "أما أنه ليس لدينا نص نستند إليه في معرفة حال النبر في العربية القديمة فهذا صحيح، وأما أن العربية لم تكن تنبر فإننا نشك في ذلك الذي قاله برجستراسر، وهو يغفل في كلامه التطور اللغوي، وتأثير الشعوب المختلفة التي غزتها العربية، بعادتها القديمة في النبر، وأثر ذلك في اختلاف موضعه من الكلمة"⁽¹⁾.

ولو أردنا أن نكتفي بهذا القول رداً لجاز لنا ولكفانا، إنما نريده توضيحاً، في أن المحدثين لم يستضعفوا جهود القدماء في تعاملهم مع الظاهرة الصوتية. فهذا عبد الصابور شاهين يقر: "أن المحدثين لاحظوه كظاهرة ذات تأثير في نسق اللغة المنطوقة. في حين غفل القدماء عن وجوده كظاهرة صوتية تحتاج إلى علاج علمي"⁽²⁾.

مما تقدم نؤكد، أن النبر واقع لا يمكن إنكاره، على الرغم من عدم الالتفات لهذه الظاهرة، وهذا ما سجلته اللسانيات الحديثة. وقد لا يدل عدم تخصيص النبر بحيز خاص لدى علماء اللغة القدامى بالضرورة على أنهم جهلوه جهلاً تاماً. ولا اختلاف إن كان في رأي تمام حسان أن النبر من اختصاص الميزان الصرفي⁽³⁾.

*1 تعريف النبر :

النبر هو الضغط على مقطع معين من الكلمة ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السمع، أو بعبارة أخرى هو وضوح نسبي لصوت، أو إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام. والمقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المحلورة له في الكلام، لأن النطق حين النبر يصحبه نشاط كبير في أعضاء النطق جميعها في وقت واحد. ويترتب على ذلك أن الصوت يغدو عالياً وواضحاً في السمع⁽⁴⁾.

(1) التطور اللغوي : 127 .

(2) لقراءات القرآنية : 25 .

(3) ينظر مناهج البحث : 160 .

(4) ينظر المرجع نفسه : 160 و الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس : 170 .

وتكاد تتفق الدراسات الحديثة أن النبر بالمفهوم الذي يعرف اليوم هو ذاته الهمز عند القدامى، ولهذا وجب علينا أن نعرض غير مقصرين ولا مطيلين في مفهوم الهمز وعلاقته بالنبر .

"فالهمز مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط، وهمزت الحرف فأنهمز"⁽¹⁾ والملاحظ من هذه العبارة أن الهمز في الكلام لا يقع على صوت بعينه، إنما في الكلام. فكل الأصوات مؤهلة لتحقيق الهمز عليها، ومما تجدر الإشارة إليه أن المحدثين ساروا بعيدا في تعاملهم مع مادة هذا الموضوع وهي تعرف عندهم باسم النبر ومقابله في الفرنسية accent وفي الإنجليزية stree .

يقول كانتينو: "النبرة هي إشباع مقطع من المقاطع، بأن تقوي إما ارتفاعه الموسيقي، أو شدته، أو مداه أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة"⁽²⁾.

ويشير هذا التعريف إلى أشكال النبر وأنواعه، وهذا المعنى الذي عرف حديثا، له جذوره المعجمية عند العرب وهذا ما تعرضنا له سابقا. وكأن المحدثين لم يزيدوا على القدماء في تصوره فكرة النبر أكثر من تنظيمه وتخصيصه بالمقطع، فقد تصور أصحاب المعاجم النبر على أنه ضغط المتكلم على الحرف⁽³⁾.

ويتطلب النبر جهدا زائدا يبذل من أعضاء النطق بأسرها، من الرئتين والوترين، والحلق واللسان والشفيتين، فيصحب المقطع المنبور هذا الجهد الزائد فيعطيه قوة في الوضوح والظهور أكثر من المقاطع المجاورة له في الكلمة أما المقطع غير المنبور فيقل معه نشاط هذه الأعضاء حتى يقل وضوحه في السمع، ولذا فإن

(1) ينظر اللسان مادة (همز).

(2) دروس في علم أصوات العربية: 194.

(3) ينظر اللسان مادة (نبر).

المنبور يكون اكثر من سواه في الكلمة، وأكثر تصويتا. (1) فكلما اتسعت الذبذبة زاد الصوت نقاوة ووضوحا وهكذا تجد أن عملية النبر: "نشاط جميع أعضاء النطق في وقت واحد". (2) وهو ما لا نجد في ظواهر صوتية أخرى.

ويعرفه إبراهيم أنيس بأنه "شدة في الصوت أو ارتفاع فيه وهما متوقفان على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين". (3) فألية النبر عملية فيزيائية يقوم بها الإنسان وإرادية وليس لهذه العملية علاقة بدرجة الصوت.

وغير بعيد عن الوضوح يقف تمام حسان معرفا النبر قائلا: "وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات أو المقاطع في الكلام". (4) وحتى إذا ذكرنا الوضوح لا نجد فاحشا حتى أننا لا نكاد نشعر به إلا إذا قارنا ذلك الصوت ببقية الأصوات الأخرى المجاورة له في الكلمة نفسها.

ولا يكون تحقيق النبر عشوائيا، إذ يجب توفر مجموعة من عوامل الكمية والضغط والتنغيم. ويكفي أن يتقوى صوت على صوت آخر داخل الكلمة حتى نسميه منبورا، فلا يكون النبر إلا عند الاستعمال الحقيقي للكلمات. ولا نعتقد وجود نبر بمعزل عن السياق، إذ يستحيل وجود ضغط أو وضوح صوت بعيد عن الصيغ، أما محاولة نسبة النبر إلى الكلمات فقد اقتضتها الدراسة والتحليل "حيث لا يمكن ادعاء وضوح سمعي في كلمات وصيغ صامتة" (5).

ويضيف تمام حسان بأن "الضغط بمفرده لا يسمى نبرا لكنه يعتبر عاملا من عوامله، ومع هذا فإنه يعتبر أهم هذه العوامل". (6) أما عن العوامل الأخرى المقصودة

(1) ينظر أصوات اللغة العربية: 217.

(2) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 170.

(3) المرجع نفسه: 171.

(4) مناهج البحث: 160. وينظر اللغة العربية معناها ومبناها: 170.

(5) اللغة العربية معناها ومبناها: 170 و 171.

(6) المرجع نفسه: 171.

فهي: الشدة، والحدة، والمدة.

وإن اختلفت الصيغ العملية للنبر فهي واحدة ولسنا في مجال ذكرها كاملة لأن هذا ليس من طبيعة البحث، وما تجدر الإشارة إليه أن النبر عرف بمصطلحات معينة: كالهمز والارتكاز والضغط والوضوح.⁽¹⁾

وبناء على ما سبق نستنتج أن النبر يوجد في أي لغة، حيث يضغط المتحدث على بعض المقاطع فيها، وإنما الاختلاف في استخدامه، فالنبر في بعض اللغات يؤدي دورا تمييزيا، أي يعد فونيمًا، لأنه يفرق بين معنى وآخر، كما هو الحال في اللغة الإنجليزية، مثال ذلك كلمة import*، إذا نبر المقطع الأول كانت اسما، وإذا نبر المقطع الثاني كانت فعلا. ومثلها augment*، فلا يفرق بينهما حين تستعمل فعلا أو اسما إلا اختلاف النبر.⁽²⁾

ويفرق النبر أيضا بين معنى وآخر من الوجهة الدلالية إضافة إلى ما تقدم من تفريقه بين معنى وآخر من الوجهة الصرفية، مثال ذلك كلمة august الدالة على الشهر المعروف أوت أو على (علم لشخص) إذا وقع النبر على المقطع الأول، أو august الدالة على صفة مهيب جليل فيقع النبر على المقطع الثاني منها⁽³⁾. والنبر في هذا النوع من اللغات يسمى النبر الحر، حيث لا تتبع تلك اللغات طريقة واحدة للنبر أو تحدد مكانا معينًا له⁽⁴⁾. ولأنها تستعمل النبر وظيفية تمييزية بمستويين دلالي وصرفي.

(1) ينظر الأصوات: 162 وعلم اللغة العام: 113 والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 171.

(* import = يستورد استيراد (importation-importer).

(* Augment = يزيد. زيادة.

(2) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 188 ودلالة الألفاظ: 46.

(3) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 189.

(4) ينظر أصوات اللغة العربية: 218.

2* قواعد نبر الكلام في العربية :

لا ندري كيف كان العرب ينبرون الكلمات إذ ليس لدينا لهذه الظاهرة تععيد وتنظير، ولا ندري بالتأكيد موضع النبر في العربية الفصحى، ولما كانت القراءات القرآنية المعاصرة على لسان القراء، مثلة إلى حد كبير للنطق العربي الفصحى الذي تناقلته الأمة العربية جيلا بعد جيل استنبطت منها مواضع النبر في العربية القديمة، وهو ما ينطبق على العربية الفصحى. و"إن كان يجب ألا يغيب عن البال أن مثل هذه القواعد تقريبية من ناحية، وجزئية من ناحية أخرى... كما أنها ليست مثل قواعد النحو وأحكام الصرف"⁽¹⁾. وقد حدد مواضع النبر في العربية الفصحى كما يلي:

أ- النبر على المقطع الأول:

إذا توالى ثلاثة مقاطع متماثلة من النوع المفتوح القصير (صاح)، مثل مقاطع: أحد - عدد - أرشد - أمد. فالمنبور هو: الألف، العين، الراء والهمزة، وهي المقاطع الأولى من ذلك.

أو كانت تشتمل على أكثر من ثلاثة مقاطع، إلا أن الثلاثة الأولى من النوع المفتوح القصير (ص ح) مثل مقاطع: كلمة: ص ح، ص ح، ص ح، ص ح ص. جعله: ص ح، ص ح، ص ح، ص ح. فالمنبور هو المقطع الأول: الكاف والجيم. وكذا إذا كانت الكلمة كلها مقطعا واحدا (أحادية المقطع) كالكلمات الآتية حال الوقف: بأس (ص ح ص ص)، نار (ص ح ح ص)، قم (ص ح ص)، والنبر في هذه الحالة يقع على الكلمة كلها لأنها أحادية المقطع⁽²⁾.

ب- النبر على المقطع الأخير:

إذا كان هذا المقطع من النوع الرابع (ص ح ح ص)، أو الخامس (ص ح ص ص)

(1) دراسة الصوت اللغوي: 308. وينظر في أحكام النبر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 173، ومناهج البحث: 160.

(2) ينظر الوجيز: 264، وعلم اللغة لمحمود السعران: 190.

وذلك في الوقف ، نحو: نستعين^أ (ص ح ص ، ص ح ، ص ح ح ص)، والضالين^ب
(ص ح ح ، ص ح ح ص)، والمستقر^ج (ص ح ص ، ص ح ، ص ح ص ص)،
فالنبر يقع على (عين) و(لين) و(قر) وهو المقطع الأخير من هذه الكلمات⁽¹⁾.

ج-النبر على المقطع الذي قبل الأخير:

إذا لم يكن المقطع الأخير من النوعين السابقين، ولم تتوال في الكلمة ثلاثة مقاطع
من نوع واحد، وهو المفتوح القصير، يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير ومن
أمثله: أعانت^د (ص ح ، ص ح ح ، ص ح ص)، يستدعي^{هـ} (ص ح ص، ص ح ص ح
ص، ص ح ح)، انصر^و (ص ح ص، ص ح ص).⁽²⁾

د-النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير :

ويرد في حالات منها:

1- إذا كان المقطع الذي قبل الأخير من النوع الأول، وسبق بنظير له من النوع الأول
أيضا مثل: ازدهر^ز (ص ح ص، ص ح ، ص ح ، ص ح)، وقع النبر فيها على الدال.
2- إذا كان المقطع الأخير من النوع الثالث (ص ح ص) والذي قبل الأخير من
النوع الثالث (ص ح ص) مثل ركبك^ح (ص ح ص، ص ح ص)، قدمك^ط ص ح
ص، ص ح ص ، حال الوقف، فإن النبر يقع فيها على: رك ، قد. كما هو موضح
بالعلامة، وهي تعد سابقة للمقطع الذي قبل الأخير.

3- إذا كان المقطع الأخير من النوع المفتوح الطويل، والذي من قبله من المفتوح
القصير، مثل قدموا^د (ص ح ص، ص ح ح)، أكرموا^{هـ} (ص ح ص، ص ح ، ص ح
ح) فالنبر فيها يقع على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير، وهو الأول: قد، أك⁽³⁾.

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 118.

(2) ينظر المرجع نفسه: 118.

(٨) إشارة نستعملها دلالة على المقطع المنبور.

(3) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 309.

والنبر في كل الأحوال لا يتعدى المقطع الثالث.⁽¹⁾

ويحدد بعض الدارسين مواقع النبر اعتماداً على ما سمعوه في العربية الفصحى⁽²⁾، وأن النبر يقع على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداءً من آخرها إذ نخلت من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها، ثم إنها لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الآخرة، وذلك نحو: يقاتلوا (ص ح، ص ح ح، ص ح، ص ح ح ح)، وقاتل (ص ح ح، ص ح، ص ح)، وتقع النبرة على (قا)⁽³⁾.
ويبدو أن كانتينو صاغ هذه القاعدة في وصف نبر الكلمة في الكلام المتصل مع أن للكلام حالتين، حالة الوصل والوقف، ولذا كانت الأولى أشمل وأدق⁽⁴⁾.

ولا بد من الإشارة إلى أن القواعد التي ذكرناها آنفاً قواعد تقريبية وليست كقواعد الصرف والنحو في الاطراد، لأن الدرس الذي أنتجها درس محدث لا يشمل الكلام العربي المتعدد المستويات، ولا مناص من وجود اختلاف بين الدارسين المحدثين حول القواعد التي يجري عليها النبر⁽⁵⁾.

3* انتقال النبر:

ينتقل النبر من مقطع إلى آخر في الكلمات العربية، وتدعوا إلى ذلك أسباب موقعية، فاشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدي إلى تغيير موضع النبر، كالفعل الماضي: نذر، فالنبر فيه حسب القواعد المذكورة آنفاً، يقع على المقطع الأول، (ص ح) وعند صياغة المضارع من المادة نفسها، ينذر، يقع في هذه الحالة النبر على

(1) ينظر الوجيز: 265.

(2) ينظر القراءات القرآنية: 27.

(3) ينظر دروس في علم أصوات العربية: 194 و195.

(4) ينظر القراءات القرآنية: 27.

(5) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 173 ومناهج البحث: 161.

المقطع الذي قبل الأخير وهو: ذ(ص ح) لانطباق القاعدة الخاصة بسيرة في هذا الموقع.

وكذلك إذا اشتقنا من المصدر: انشراح، فعلا ماضيا مثل: انشراح نلاحظ أن النبر ينتقل إلى المقطع الذي قبله لأنه في الكلمة الأولى يقع على المقطع (را) وفي الثانية على المقطع (ش).

ويسمى هذا النوع بالنبر الاشتقائي، ينتقل وفق تلونات الصيغة الاشتقاقية للكلمة، ويعلل إبراهيم أنيس سقوط حركات الإعراب في المستوى العامي بسبب هذا النوع⁽¹⁾.

كذلك نلاحظ انتقال النبر، حين يسند الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع المتحركة، من مكانه الذي كان فيه قبل الإسناد. فالفعل الماضي (جعل) يقع النبر فيه على المقطع الأول ج(ص ح) وعند إسناده إلى ضمير المتكلم أو المتكلمين، والمخاطب أو المخاطبين، نحو: جعلت، جعلنا، جعلتم، نلاحظ حينئذ تحول النبر إلى المقطع (عل) وهو المقطع قبل الأخير. ويلاحظ أن إسناد الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع الساكنة، كألف التثنية وواو الجماعة، لا يغير من موضع النبر، فإذا قلنا: الرجلان دخلا، الرجال دخلوا، بقي النبر في الفعلين: دخلا ودخلوا. على المقطع الأول لتوالي ثلاثة مقاطع متماثلة.

كما يتغير مكان النبر بحسب وظيفة الفعل المضارع الإعرابية، فإذا قلنا مثلا: يلعب الولد، فالنبر في المضارع (يلعب) يقع على المقطع الذي قبل الأخير (ع)، فإذا جزمنا، قلنا: لم يلعب، تغير نوع المقاطع التي يشتمل عليها، فأصبح مكونا من مقطعين من النوع الثالث (ص ح ص، ص ح ص) ولذا يقع النبر فيه على المقطع الأول وهو (يل)⁽²⁾.

(1) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 177.

(2) ينظر المرجع نفسه: 177 و178.

وقد قسم المحدثون النبر إلى درجات استنادا إلى مبدأ الوضوح والبروز

والارتكاز للمقاطع وهي:

1- النبر الرئيسي علامته (٨)

2- النبر الثانوي علامته (/)

3- النبر الضعيف علامته (|)

وميزوا بين هذه الأنواع الثلاثة بعلامات وضعوها فوق نواة المقاطع المنبورة.

وقد بنوا كل ذلك على أساس:

1- ازدياد شدة الصوت.

2- ارتفاع نغمته الإسماعية.

3- امتداد مدته الإنتاجية.⁽¹⁾

التنغيم INTONATION

التنغيم هو "ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظرف المؤدي فيه أو تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقولة فيه".⁽²⁾ ويكون هذا التنويع على مستوى الكلمة كما يكون على مستوى الجملة أو العبارة⁽³⁾؛ أي إعطاء الكلام نغمات معينة تنتج من اختلاف درجة الصوت التي تتحد وفق عدد الذبذبات التي يولدها الوتران الصوتيان. ويسميه البعض "موسيقى الكلام"⁽⁴⁾ والبعض الآخر بالارتكاز، وينعته بقوله: "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام"⁽⁵⁾.

(1) ينظر علم اللغة لمحمود السعران: 190 وعلم الصرف الصوتي: 119. والدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي: 74.

(2) أصوات اللغة العربية: 225، وينظر مناهج البحث: 164.

(3) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 191.

(4) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 176.

(5) علم اللغة لمحمود السعران: 192.

يدرك الدارس لأول وهلة أن كثيرا من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطا بالتنعيم، ارتباطا قويا، فقدمى اللغويين العرب، وإن غاب عنهم التنظير و تحليل الظاهرة لأسباب موضوعية، فإن ذلك لم يمنع وجود إشارات ذكية تدلنا على أن رفض هذه الظاهرة من الدرس اللغوي كان أمرا غير وارد عندهم. بل اعتمده وفسروا به بعض قضاياهم خاصة تلك المتعلقة بتفسير بعض نصوص القرآن الكريم وتأويلها وحتى في إعادة قراءة بعض الأعمال الأدبية الكبرى.

فقد أصبح التنعيم و تعبيرات الوجه من وسائل فهم الباب النحوي وما كان لنا أن نطرقه دون استعانة به. يقول ابن جني: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليهم ليل وهم يريدون، ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها"⁽¹⁾. إن مثل هذا الحديث يحمل إشارات علمية دقيقة تبرز قمة تفكير القدامى في إرساء نسق قاعدي محكم.

ونكاد نجزم أن هذا القول دليل للقائلين بعدمية الظاهرة في الدرس النحوي خاصة. فهل هناك برهان أكثر من قول ابن جني: "فأما إذا عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز"⁽²⁾.

إذا كانت لابن جني إشارة بالغة الأهمية كهذه فلن نعدم مثلها عند غيره من أئمة النحو العربي من أمثال سيويه، الذي يقول في باب الندبة: "اعلم أن المنسوب مدعو ولكنه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها"⁽³⁾. فالتفجع إحساس بلوعة يصحبه طرديا أنين يضمه الإنسان معاني مختلفة. فالطفل في مراحل الأولى منذ ولادته يصدر أصواتا مختلفة يريد بها معاني معينة.

(1) الخصائص: 370/2 و 372.

(2) المصدر نفسه: 372/2.

(3) الكتاب: 220/2.

وإن وجدت هذه اللمحات عند النحاة العرب، فقد عثرنا على نظيراتها عند الأدباء فقد ذكر الجاحظ في كتابه: (البيان و التبيين) أن: "الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة، باليد والرأس، ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الشكل والتفتل"⁽¹⁾. وإشارته دليل على أهمية التنعيم في السياقات التنظيمية للمتكلم، وهي بعد ذلك، التفاتة واضحة إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي.

ونجد الفارابي قد استخدم مصطلح (النغم) ليستدل به على التنعيم، إذ يقول: "والنغم الأصوات المختلفة في الحدة و الثقل التي تتخيل أنها ممتدة"⁽²⁾. ويبدو أن اللحن عند الفارابي ذو انعكاس دلالي و المراد به التنظيم المصاحب للكلمات وعنده اللحن مجموعة النغم التي تصاحب الحروف عند الاستماع، وهو عند ابن منظور جرس الكلام وحسن الصوت⁽³⁾.

فاستخدام هذه المصطلحات عند القدماء العرب للدليل على معرفتهم بالتنعيم، خاصة وأن له علاقة بالموسيقى والعرب عرفوا العروض والإيقاع منذ القرن الأول الهجري على يد الخليل بن أحمد.

والتنعيم والنغم مصطلحان متماثلان في الدلالة على المنحى اللحني في سلسلة الكلام وتبدوا الصلة وثيقة بينه وبين النبر وأن العلاقة بينهما تلازمية ولهذا أثريت هذا البحث بالتطرق للتنعيم بالدراسة والتحليل، ولمعرفة نغم السورة المذكورة.

ويقرن بعض الدارسين المحدثين التنعيم في الكلام المنطوق، وبماثلة من حيث الأهمية بالترقيم في الكلام المكتوب إذ يقول تمام: "غير أن التنعيم أوضح من الترقيم في

(1) البيان والتبيين: 79/1.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الخليل: 255 نقلا عن الموسيقى الكبير: 109.

(3) ينظر اللسان مادة (لحن).

الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة".⁽¹⁾ لكن التنغيم ربما يكون أكثر أهمية من التقييم،
فبالإمكان أن نتابع الكلام المكتوب دون تقييم، ولكن مع الكلام المنطوق تبرز أهمية
التنغيم في إبراز القيم الدلالية، فالتنغيم تنوع في درجات الصوت خفضا وارتفاعا
في الوحدة الدلالية، مهما تنوعت مقاطعها، وظهورها ضمن سياق الكلام.⁽²⁾

ونجد بعض الدارسين يفرقون بين نوعين من اختلاف درجة الصوت وهما:⁽³⁾

1* النعمة: Tone: وهي الأثر الناتج من ازدياد عدد الذبذبات أو انخفاضها على
صعيد الكلمة، وبعبارة أخرى اختلاف درجات الصوت في الكلمة الواحدة،
"فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك
الكلمات قد تختلف فيها"⁽⁴⁾. ويستعمل هذا النوع في بعض اللغات للتفريق بين
المعاني المختلفة لكلمة واحدة ومثال ذلك ما أورده إبراهيم أنيس عن اللغة الصينية
فكلمة "فان" تؤدي ستة معاني، حسب توالي درجات الصوت النعمة، لا علاقة
بينها هي: نوم، ويحرق، وشجاع، واجب، ويقسم، ومسحوق.⁽⁵⁾

وفي لغة مكسيكو كلمة "Zuru" إذا نطقت بنغمتين مستويتين متوسطتين تعني

"جبل"، وإذا نطقت بنغمة مستوية بالإضافة إلى نغمة منخفضة فتعني "فرشاة".⁽⁶⁾

ويظهر الفرق بين هذا النوع من اللغات والنوع الآخر الذي لا يستعمل النغم

للتمييز بين المعاني في "كلمة إنجليزية مثل No، فعلى الرغم من أننا يمكننا أن ننطقها

بتنوعات من درجة الصوت فإن هذه التنوعات ليست جزءا من شكل الكلمة،

(1) اللغة العربية معناها ومبناها: 226.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 257.

(3) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 191.

(4) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 176.

(5) المرجع نفسه: 176.

(6) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 192.

وبالتالي تظل الكلمة دالة على معنى النفي كما هي".⁽¹⁾

وفي اللغة العربية صور من هذا النغم التمييزي، الذي يلعب دور الوظيفة التمييزية، وتختلف بحسبه المعاني، فكلمة "ليل" تدل بنطق خاص على مجرد الظلام، وبنطق آخر تدل على طوله. فقد دل ابن جني على أن طول الضغط على المقطع الأول (لي-) يشير إلى طول الليل.

يقول: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليهم ليل، وهم يريدون ليل طويل..."⁽²⁾.

وكذلك كلمة "إنسان" فبنطق خاص تدل دلالة عامة على هذا المخلوق، فإذا أطيل النطق بالمقطع الذي قبل الأخير، دل دلالة خاصة على الإنسان الفاضل، أو الكامل في صفاته، وبطريقة أخرى من النطق تدل على ذمته.

وفي هذا الصدد يقول ابن جني: "وكذلك تقول: سألتنا فوجدناه إنسانا وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا، أو نحو ذلك، وكذا إذا ذمته، ووصفته بالضيق، قلت: سألتناه وكان إنسانا، وترون وجهك وتقطبه، فيعني ذلك على قولك: إنسانا لئima أو لحزا أو مبخلا، أو نحو ذلك".⁽³⁾

وقد يراد من نبر الكلمة في العربية تذكر ما بعدها مما عسى أن يكون المتكلم قد نسيه أو غاب عنه، وقد عقد ابن جني لذلك بابا في "مطل الحروف"⁽⁴⁾ وذكر فيه أصوات اللين طويلة وقصيرة، تمطل كما تمطل الحروف الصحيحة، وسمي ذلك بهمزة التذكر⁽⁵⁾.

(1) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 193.

(2) الخصائص: 370/2، وينظر فقه اللغة في الكتب العربية: 169.

(3) نفسه: 371/2.

(4) نفسه: 128/3.

(5) نفسه: 337/2.

فمن أمثلة العلل الطويلة أننا نمطل الحركة في نحو: أخواك ضربا، إذا كنت متذكرا للمفعول به أو الظرف أو نحو ذلك، أي ضربا زيدا، ونحوه وكذلك تمطل إذا الواو تذكرت في نحو: ضربوا زيدا، أو ضربوا يوم الجمعة، واضربوا قياما، فتذكر الحال وكذلك الباء، في نحو: اضربي، أي إضربي زيدا .

فلما وقفنا ومطلنا الحرف علم بذلك أننا متطاولين إلى كلام تال والأول منوط به، معقود ما قبله تضمنه، وخلطه بجملته. ⁽¹⁾

ومن أمثلة مطل الحركات القصيرة قولنا، عند التذكير، مع الفتحة في قمت، قمنا أي قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة، أنتي أي: أنت عاقلة، ونحو ذلك، ومع الضمة قمتو، في قمت إلى زيد، ونحو ذلك. ⁽²⁾

ومن العرب من يقرأ «اشنروا الضلالة» ⁽³⁾ بضم الواو، ومنهم من يكسرها فيقول: «اشنروا الضلالة» ومنهم من يفتحها فيقول «اشنروا»، فإن مطلنا متذكرين قلنا على الضم (اشنروا)، وعلى من كسر اشنروا، وعلى من فتح: اشنروا ⁽⁴⁾.
ومن كانت لغته أن يفتح أو يضم لالتقاء الساكنين فقياس قوله أن يفتح أو يضم، عند التذكر فيقول: قم الليل، بع الثوب وقما وبعا. ⁽⁵⁾

ولاشك أن مثل هذا الهمز التذكري ليس إلا من قبيل التنغيم أو النبر الموسيقي ⁽⁶⁾. ويبيّن هذا التذكر عن أشياء كثيرة، كالتقرير من خلال نغم عادي في

(1) الخصائص: 337/2.

(2) ينظر المصدر نفسه: 130/3.

(3) سورة البقرة: 16. والشراء والإشراء بمعنى الاستبدال بالشيء والاعتياض منه إلا أن الإشتراء يستعمل في

الابتياح والبيع. ينظر البحر المحيط: 63/1.

(4) ينظر الخصائص: 337/2.

(5) ينظر المصدر نفسه: 130/3.

(6) ينظر القراءات القرآنية: 22.

أول الجملة، أو التعجب، أو أن مزيدا من الكلام قد يأتي⁽¹⁾. وقد يستعمل هذا التنوع الموسيقي دون ملاحظة التفريق بين المعاني في كثير من كلمات اللغة. ويأخذ النغم أشكالا مختلفة، صعودا وهبوطا، أو يتكون من الصعود والهبوط معا. لأن النغمة تقسم على أنواع انطلاقا من ثباتها وتغيرها:⁽²⁾

1- النغمة المستوية إذا كانت ثابتة.

2- النغمة الصاعدة إذا اتجهت صعودا.

3- النغمة الهابطة إذا اتجهت نزولا.

4- النغمة الصاعدة الهابطة إذا صعدت ثم هبطت.

5- النغمة الهابطة الصاعدة إذا هبطت ثم صعدت.

ويكتب التنغيم كما تكتب الموسيقى على خطوط أفقية، ولكن عدد الخطوط ليس خمسة كالموسيقى، وإنما يختلف باختلاف عدد المدييات فيجعل مسافة بين خطين⁽³⁾.

2* التنغيم: Intonation: وهو اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة، وهو وصف الجمل، وأجزاء الجمل، وليس الكلمات المنعزلة، فالتنغيم يكون على مستوى الجملة⁽⁴⁾.

وتنغيم العبارات عبارة عما يلاحظ من التنوعات الموسيقية في الكلام، وهو يركز على ما للمتكلم من قدرة على التحكم في عضلات نطقه ويتدخل في طبيعة النطق والتنغيم موقف الكلام وحالة المتكلم النفسية وطبيعة المخاطبين والبيئة

(1) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 193.

(2) ينظر مناهج البحث: 167.

(3) ينظر المرجع نفسه: 166. وينظر شكل عام لجهاز الرسم الطيفي spectrograph لاختلاف درجات

النغمات، الكلام إنتاجه وتحليله: 193.

(4) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 194.

التي يلقي فيها الكلام وغيرها من الظروف المحيطة . فالمقام بطبيعة الحال يختلف،
فمثلا إذا أخذنا المقام الذي يكون فيه الخطيب، فهو بلا شك يختلف عن موقف
المعني، وكلاهما يختلف عن موقف الراثي والظروف المحيطة بهم. فلكل واحد منهم
أسلوبه، وطريقته في نطق العبارات ونبراتها الصوتية. كما أن الحالة النفسية للمتكلم
وعواطفه لها آثارها في التعبير، وموسيقى الكلام، ولكل لغة من حيث التنغيم
ومواقعه وظروفه، نظامها الخاص ولهذا يجب على المتعلم الوقوف على هذه الجوانب
حتى لا يفقد تركيبها اللغوي طبيعته الخاصة به⁽¹⁾.

فالفرق ظاهر بين هذين النوعين -النغم والتنغيم- حيث يرى الباحث أن
بعض اللغات دون غيرها تدعى باللغات النغمية، لأنها تعتمد النغمة فونيمًا متفرقا
بين معنى وآخر من معاني الكلمة . وربما لا نبالغ إذا قلنا بأن كل اللغات المعروفة
يمكن أن تدعى لغات تنغيمية، لأن التنغيم على مستوى الجملة موجود فيها وله
وظائف نحوية كالتوكيد، فكما هو معلوم أن جمهور النحاة اتفقوا أن للتوكيد
المعنوي ألفاظا خاصة به، هي: النفس، والعين، والعموم، وجميع، فلو سمع الواحد
منا عبارة: جاء المدير، لتوهم السامع أن الحاضر ربما نائبه أو مندوبه، فقلنا (المدير)
من باب التعظيم ولا نبرح هذه الكلمة حتى تردفها بـ(نفسه) أو (عينه). لكن لا
نحسب أن اللغة العربية قاصرة التفهيم وعاجزة الإبلاغ التي عمدتها اللغويون قبل
النحاة خصوصا.

والاستفهام، أيضا، يمكن أن ينوب عن أداة الاستفهام، بشرط وجود قرينة
سياقية تتمثل في التنغيم، الذي يغني عن بقية أجزاء الجملة، وحينما يقال لنا:
نححت؟ ندرك من خلال النغمة أنه سؤال فنحجب بـ: نعم.

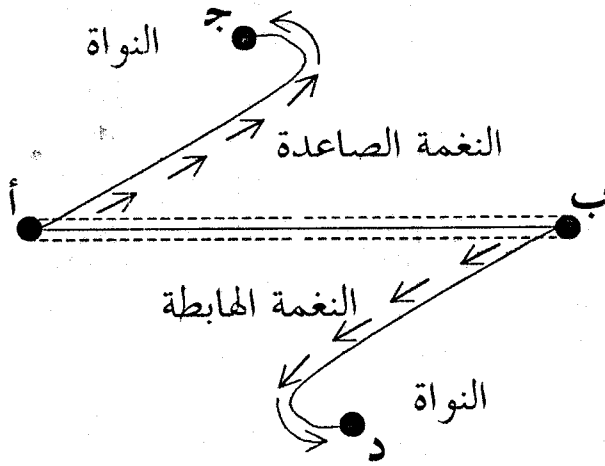
فالتنغيم يغني عن كلام طويل في السياق، ولا نستطيع الحكم على معنى

(1) ينظر أصوات اللغة العربية: 228 و229.

الجملة إذا كانت جملة خبرية تقريرية، أو استفهامية ، أو تعجبية أو تدل على الموافقة إلا بالتنعيم⁽¹⁾، نحو:

- نجحت في الامتحان. خبرية تقريرية .
 - نجحت في الامتحان !! تعجبية إذا أخبرنا بالنتيجة فنردد الجملة متعجبين.
 - نجحت في الامتحان؟ استفهامية.
 - نجحت في الامتحان، إذا لم أكن ناجح ، وأردت السخرية من نفسي.
- وللنغمة من حيث الدرجة أربعة أنواع وهي: (2)
- 1- النغمة المنخفضة.
 - 2- النغمة العادية.
 - 3- النغمة العالية.
 - 4- النغمة العالية جدا أو فوق العالية.

ويمكن تصوير التنعيم في سلسلة الحدث الكلامي بالشكل الآتي: (3)



حيث تمثل النقطتان (أ ج) النغمة الصاعدة في التيار الكلامي، وإن النقطة (ج) تمثل نغمة المقطع الذي يقع عليه أثر التنعيم لتحقيق الغرض القصدي. أما النقطتان (ب) و(د) فإنهما تمثلان النغمة الهابطة في التيار الكلامي حيث تمثل (د) نغمة المقطع الذي يحمل درجة التنعيم .

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 120.

(2) دراسة الصوت اللغوي: 193.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 258.

وطبيعي أن وصف النغمات بالانخفاض والعلو راجع إلى عدد ذبذبات الصوت فدرجة النغمة تعلو كلما ازداد عدد ذبذبات الصوت وتنخفض كلما انخفض عدد الذبذبات⁽¹⁾.

وقد اجتهد تمام حسان في دراسة التنغيم وتوصل إلى النماذج التنغيمية العربية الفصحى وهي التي سماها بالموازن التنغيمية ، ورأى أنه ينبغي تحديد المصطلحات الدالة على التنغيم قبل وصفه وتلقيه، وقد وقف في هذا الصدد على مصطلحات متعددة، منها:⁽²⁾

1- شكل النغمة وهو إما صاعد وإما هابط وإما ثابت.

2- المدى وهو المسافة بين أعلى نغمة وأخفضها سعة وضيقا.

3- اللحن وهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية على الصعيد الأفقي.

4- الميزان وهو النموذج التنغيمي الذي يشمل المدى واللحن.

ويقسم المدى إلى ثلاثة أقسام هي: المدى الإيجابي الذي تصحبه إثارة قوية في الوترين الصوتيين ونشاط في حركة الحجاب الحاجز وإخراج لكمية زائدة من الهواء، وهو يستعمل في الكلام الذي تصحبه عاطفة مثيرة. والمدى السلبي الذي لا يوافق ذلك النشاط ويستعمل في الحزن. وما أشبه من عاطفة هابطة، والمدى النسبي الذي يتوسط المدين السابقين ويستعمل في الكلام غير العاطفي.

وبالنظر إلى ما تقدم حدد تمام حسان النماذج أو الموازين التالية للتنغيم في العربية:⁽³⁾

1- الإيجابي الهابط، ويستعمل في تأكيد الإثبات، أو تأكيد الاستفهام بكيف وأين ومتى، وبقية الأدوات عدا همزة وهل.

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 120.

(2) ينظر مناهج البحث: 164.

(3) ينظر المرجع نفسه: 165.

2- الإيجابي الصاعد، ويستعمل في تأكيد الاستفهام بهل أو الهمزة.

3- النسبي الهابط، ويستعمل في الإثبات غير المؤكد كالكلام الجاري في التحية والنداء وتفصيل المعدودات.

4- النسبي الصاعد، ويستعمل في الاستفهام بلا الأداة أو بهل أو الهمزة.

5- السلي الهابط، ويستعمل في الكلام الجاري في الأسف والتحسر والتسليم مع خفض الصوت.

6- السلي الصاعد، ويستعمل في التمني والعتاب مع نغمة ثابتة أو مما قبلها.

وخلاصة ما تقدم أن المجموعة الكلامية التامة المعنى لا بد من أن تنتهي بنغمة هابطة في أساليب التقرير والطلب والتأكيد والاستفهام بغير هل والهمزة. وأن المجموعة الكلامية غير التامة المعنى لا بد من أن تنتهي بنغمة صاعدة أو ثابتة أعلى مما قبلها، وكذلك الشأن في الاستفهام المبدوء بهل والهمزة. وتخلو نماذجه من نماذج تنتهي بنغمة صاعدة هابطة، أو هابطة صاعدة مما يستدعي المزيد من البحث والتقصي، للوصول إلى نتائج تساعد على وضع قواعد تنغيمية للقراءة والإلقاء تضاف إلى قواعد التجويد التي حفظت لنا صورة عالية لنطق القرآن الكريم.⁽¹⁾

*3 التطبيق (نقد وتقييم):

يعتبر التنغيم من وسائل البيان في أي لغة، ولما كان ظاهرة لغوية، تعددت وظائفه حسب الرؤيا التي ندرس بها اللغة فهو يؤدي: "في بعض اللغات كالعربية والإنجليزية وظيفة نحوية، حيث يستعمل للتفريق بين المعاني المختلفة للجمل الواحد.." ⁽²⁾. ويمكننا أن نستنبط من أن الكلام البشري معرض في أصله إلى

(1) ينظر مبادئ اللسانيات: 123. أورد الأنطاكي في كتابه أن ما فعله تمام حسان محاولة ابتدائية محدودة، بالإضافة إلى أنها تعتمد على استقرار ناقص وضيق جدا. ينظر الوجيز: 253. لكنها في اعتقاد الباحثين محاولة جديدة وجادة في ميدان البحث اللغوي.

(2) ينظر علم اللغة بين التراث والمعاصرة: 136.

مجموعة من التغيرات الصوتية. فالكلام قد يكون كلمة واحدة وقد يكون جملة:
"حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة." (1)
وقد أدركنا من هذه الدراسة المقتضية أن كثيرا من الظواهر اللغوية بات
أمرها مرتبطا بالتنعيم ارتباطا قويا فقد أصبح التنعيم وتعبيرات الوجه من وسائل
فهم الباب النحوي. وقد أكد إدراك ابن جني لسياق الحال ما ذكره في موضع
آخر حيث تناول العوامل التي تؤثر في المعنى كالنبر والتنعيم والاستعانة بإشارات من
الوجه أو اليدين أو غير ذلك. (2)

ومن ثم فقد عد "التنعيم قيمة استبدالية، عند الحديث عن الغرض القصدي
للمتكلم" (3)، وهذا ما سنلاحظه في النماذج الآتية المستقاة من السورة النموذج
طبعاً:

اتفق جمهور النحاة على أن الجملة الاستفهامية جملة إنشائية، ويلج التنعيم
هذا الباب معدلاً بعض الآراء النحوية إزاء هذا الأسلوب رغم وجود أدوات
الاستفهام. ولهذا ارتأينا توضيح أهمية التنعيم حين تضييع الأداة من العمل فتتعلق إلى
وظائف أخرى. فمن الآيات الجليلة التي يقوم فيها التنعيم بالوظيفة النحوية قوله
تعالى: «أمرحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً» (4) فهذه الآية
الكريمة حذف حرف الاستفهام منها واستبدل بقيمة تعبيرية هي التنعيم، وكقوله تعالى:
«قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً» (5). فقد اتفق المفسرون أن (هل) معناها قد (6)،

(1) ينظر علم اللغة بين التراث والمعاصرة: 104.

(2) ينظر في أنواع الدلالات ما كتبه إبراهيم أنيس تحت هذا العنوان: دلالة الألفاظ: 46، وينظر فقه اللغة في
كتب العربية: 168.

(3) ينظر الأصوات اللغوية: 259.

(4) سورة الكهف: 09.

(5) سورة الكهف: 103.

(6) ينظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي: 65/11.

وقد فسرها بعضهم بعبارة بسيطة، ولكنها تحمل القصة كلها في طياتها، ويقول هؤلاء إن (هل) للاستفهام التقريري أي الجملة التقريرية (affirmative) وليست استفهامية⁽¹⁾، وفي هذه الآية الكريمة افتتح الله تعالى الجملة بالأمر بالقول، وكذلك افتتحة باستفهام تهكمي، لأنه استفهام مستعملا في العرض، لأنه منبئهم بذلك دون توقف على رصاهم⁽²⁾.

فوجود أداة الاستفهام ليس بالضرورة يتبع سؤالا معينا، ولو أنها اكتسبت الصبغة الاستفهامية، فهي ليست استفهاما، وهذا ما ذهب إليه كمال محمد بشر في قوله: "حقيقة أن هذه جملة اكتسبت بكساء الاستفهام وليست استفهاما وإنما هي نمط خاص يؤدي به في مواقف معينة، بقصد التمثيل أو التوضيح وهي خبرية في مدلولها"⁽³⁾.

وفيصل الأمر في ذلك إنما هو التنعيم وموسيقى الكلام، أما دليل أن هذه الجملة ليست استفهامية فهو النطق، وميزة هذه الجملة تنطق بأشكال نغمية مخالفة عن الأنماط الموسيقية التي تشمل الأداة (هل)⁽⁴⁾.

وهناك نوع آخر من الجمل يقوم التنعيم دليلا على ماهيتها، وهي تخلو تماما من أدوات الاستفهام، وفي حقيقتها جمل استفهامية، ومنها قوله عز وجل: ﴿أمر حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾⁽⁵⁾، على إنكار وقوع ذلك والتعجب منه، والتوبيخ عليه، فنغمة القارئ هي التي تنبه السامع أن الجملة استفهامية في الأصل، ولما أردنا بالأداة التوبيخ والتعجب من الأمر استغنينا عنها أصلا.

(1) ينظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي: 65/11.

(2) ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: 46/16، الدار التونسية للنشر-تونس، 1984.

(3) الأصوات: 195 و196.

(4) ينظر المرجع نفسه: 196.

(5) سورة الكهف: 09.

وحرف الاستفهام المحذوف هو الهمزة، واستعيض عنه بالتنغيم و(أم) في هذا
الموضع للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض، ولما كان هذا من المقاصد التي
أنزلت السورة لبيانها لم يكن هذا الانتقال اقتضابا بل هو كالانتقال من المقدمة إلى
المقصود. و(أم) هذه هي المنقطعة بمعنى (بل)، وهي ملازمة لتقدير الاستفهام معها،
يقدر بعدها حرف الاستفهام⁽¹⁾، وتتضمن مع لك استفهاما إنكاريا، أو استفهاما
طلبيا⁽²⁾، وتقدير الكلام: بل أحسبت؟ حذفت همزة الاستفهام، والأخفش يقيس
ذلك في الاختيار عند أمن اللبس⁽³⁾، وحمل عليه قوله تعالى: ﴿وذلك نعمة تمنها
علي﴾⁽⁴⁾، هي تساوي قوله، أو تلك نعمة تمنها علي؟

وتخضع أساليب النداء في أغلبها إلى العنصر التنغيمي، إذ يعتبر وجود التنغيم
أساسا في فهم معاني أدوات النداء من حيث القرب والبعد خاصة إذا علمنا أن
"الغرض بالنداء التصويت بالمنادى ليقبل، والغرض من حروف النداء امتداد
الصوت وتنبية المدعو، فإذا كان المنادى متراخيا عن المدعو أو معرضا عنه لا يقبل
إلا بعد اجتهاد، أو نائما استثقل في نومه يستعمل جميع حروف النداء، ما خلا
الهمزة وهي: يا أو أيا، وهيا، وأي. ويمتد بها الصوت ويرتفع"⁽⁵⁾.
فالنداء سواء أكان للقريب أو البعيد، لا بد أن يكون متصلا بالتصويت أو
التنبية، ولا يتحقق ذلك بحدوث ضغط على حروف النداء والمنادى.
وهذا حتى يحدث الإسماع المطلوب. ويجرنا الحديث إلى تصور النداء بوجود الأداة،

(1) ينظر البحر المحيط: 99/6، والتفسير الكبير: 456/5، وتفسير التحرير والتنوير: 259/15.

(2) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري: 55/1، تحقيق محي الدين عبد الحميد،

المكتبة العصرية - بيروت، 1995.

(3) ينظر المرجع نفسه: 21/1.

(4) سورة الشعراء: 22.

(5) شرح المفصل: 15/2.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا﴾⁽¹⁾، وقوله أيضا: ﴿يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾⁽²⁾، ففي الآية الثانية أفتتح الكلام بالنداء، لأنهم نادوا ذا القرنين نداء المستغيثين المضطرين، ونداؤهم إياه بلقب ذي القرنين يدل على أنه مشهور بمعنى ذلك اللقب⁽³⁾.

فمجيء المنادى في الآيتين الكریمتین مع أداة النداء (يا) يختلف عما إذا أتى أسلوب النداء حال من أداته لأن مجيء النداء دون الأداة لم يعدم أو يبلغ وظيفتها ودليل ذلك ورود اللفظ بلون نغمي مميز لها وهو غير اللون النغمي الذي يكون في حالة وجود الأداة، على أن نجد سكتة بين المنادى والجملة المستأنفة له، نحو قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾⁽⁴⁾، وهذا الأسلوب كثير الشيع في القرآن الكريم، ولم أجد هذا الأسلوب دون أداة في سورة الكهف، حيث برر النحاة حذف الأداة لفهما من السياق. والتقدير يوسف، فقد أضفي عليها نغمة صاعدة، هذه النغمة تؤدي وظيفة الأداة في حال وجودها، لأن لفظا مستقلا في السياق عرضة لتأويلات وظنون كثيرة.

وقد تصبح الأداة والمنادى موصولة به كأنهما معا كتلة نطقية واحدة ولا توجد سكتة بينهما، فحين نقول: ﴿يا ذا القرنين﴾ فنحن لا شك نمد حرف النداء ثم يعقب بسكتة. وهنا يكون التنغيم الحاصل دالا على ذلك.

إن كل مسألة في أسلوب النداء مرفوقة حتما بالتنغيم، ولعل اعتبار القدامى الأسلوب إنشائيا توكيد لما نقول.

(1) سورة الكهف: 86.

(2) سورة الكهف: 94.

(3) ينظر تفسير التحرير والتنوير: 32/16.

(4) سورة يوسف: 29.

ويؤدي التنعيم دورا وظيفيا نحويا في أسلوب الشرط، فجملة الشرط تتكون من ثلاثة أركان: الأداة وجملة الشرط، ثم جملة الجواب، وتلتزم اللغة العربية في هذا الأسلوب ترتيبا دقيقا وصارما، حيث لا يقبل تقدما أو تأخيرا في أركانه، ونكاد نحس أن التزاما كائنا بين أداة الشرط وجملة الشرط على منحنيين مختلفين باختلاف نغمة كل جزء منهما، الأداة والشرط معا، والجواب. لأننا حين نقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا بَرَأْنَاهُ إِذَا لَمْ يَدْعُوا وَلَمْ لَهُمْ كُنُوزٌ أَلْهَمُوا لَكُمْ قَوْلَ لَنْ نُؤْتِيَكَ بِهَا إِذَا تُرِيدُ أَنَّ تَكُونَ آيَةً﴾ (1)، هذا الأسلوب ينقسم من حيث النطق إلى ركنين: الأول: ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾، والثاني: ﴿بِرْجُومِكُمْ أَوْ يُعِيدُوا كُفْرَكُمْ﴾، مع وجود سكتة أو وقفة بينهما، على أن تكون نغمة السكتة صاعدة على أمل ترقب كلام بعد هذا نغمة تنزل المنحنى من ارتفاعه إلى نقطة الثبات وليس دونه.

فطريقة تنعيم الركن الأول من أسلوب الشرط هي التي تميزه عن أسلوب الاستفهام. وهكذا يمكننا أن نعتبر التنعيم وسيلة ضرورية لفهم أسلوب الشرط حيث مكنا من إحداث فارق بينه وبين أساليب أخرى كالاستفهام والتمني. فالتنعيم له دلالة وظيفية نحوية ودلالية مهمة إذ نستطيع بواسطته الحكم على جملة معينة أنها جملة خبرية تقريرية، أو استفهامية أو تعجبية. إذ نستطيع أن ننطق بالعبارة المعينة بعدة نغمات وهي مع كل نغمة من تلك النغمات تفيد دلالة خاصة، فتغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات (2).

(1) سورة الكهف: 20.

(2) ينظر دلالة الألفاظ: 47.

الفصل الثالث

الدراسة التركيبية للسورة أو التغييرات التركيبية

إن دراسة أصوات السّورة الكريمة لا تنحصر في تناولها من النّاحية الصّوتية، أي بوصفها منتزعة من التّركيب، أو تقتصر على دراسة التّسيج المقطعي، أساس الدّراسة، وما يتّصل به من نبرٍ وتنغيمٍ. وإنّما تتعدّى ذلك ليصل البحث إلى إمعان النّظر في القوانين التي تحكمه في النّظام التّشكلي، وذلك للكشف عن وظائفها الصّوتية، وعلاقة الأصوات بعضها ببعض في البناء وعند التّجاور في الكلام.

ومن الطّبيعي أن تأتلف الأصوات المفردة في العربية في مجموعات من المقطع الصّوتية لتؤلّف الكلمات التي تتكوّن منها الجمل والعبارات.

ولا ريب أن في عملية الاقتصاد في الجهد العضلي هدف مقصود للنّاطقين باللّغة فإذا تشابهت الأصوات المتجاورة مخرجاً وصفةً سهل نطقها ونحقت لها السّلاسة والانسجام فلا يتناول التّغيير شيئاً منها، أمّا إذا كانت متنافرة في ذلك فإنّ جهاز النّطق يتعثّر في التّفوّه بها، وهنا يلزم نوع من التّغيير في بعض تلك الأصوات ليتمكن النّطق بها دون معاناة أو نفور⁽¹⁾، مع مراعاة القانون الصّوتي الذي يحكم تلك التّغيرات التّركيبية، وهو مصطلح أطلق على التّغيير الصّوتي، فالقوانين الصّوتية تشبه تلك التي تسمّى: قوانين جريم (Grimm) المعلقة بالإبدال المباشر في الأصوات الصّامتة في الجرمانية⁽²⁾، والقانون الصّوتي لا شعوري، يحدث تلقائياً بدون قصد ولا لا يمكن للإنسان أن يتحكّم فيه بإرادته، وخير مثال على ذلك أن الطّفل عندما يتكلّم يظنّ أنّه يقوم بنفس الحركات الصّوتية التي يقوم بها أبواه، مع أنّه يخالفهما، وهذه العملية تحدث لا شعورياً عند الطّفل، فتسمح له بالاستمرارية⁽³⁾.

فالأصوات إذاً تتفاعل مع بعضها بعضاً، فتأثّر، وتأثرها إمّا أن يكون تأثراً تقدّميّاً، وإمّا

(1) ينظر أصوات اللغة العربية: 230.

(2) ينظر التطور اللغوي: 18، واللغة العربية لفندريس: 70.

(3) ينظر علم اللغة بين التراث والمعاصرة: 260، واللغة لفندريس: 65.

أن يكون رجعيًا. فهي تخضع لتغييرات تركيبية تباينة تضبط وظيفتها التشكيلية، ومن جملة هذه الظواهر المماثلة بكلِّ أجزائها من إبدالٍ وإدغامٍ والمخالفة والإمالة والحذف... وكلُّ هذه الظواهر سنتناولها بشيءٍ من التفصيل في هذا الفصل مع التطبيق واستقراء التماذج من السورة.

وبعد الإحصاء والاستقراء للآيات الكريمة لفظة لفظة اهتدينا لمجموعة من الظواهر التشكيلية، الفونولوجية الوظيفية. كما هي في قراءة نافع^(*) (ت 161 هـ) برواية ورش^(*) (ت 197 هـ). وكما حملت كتب القراءة أو صفها عن رواها.

وتندرج بعض هذه الظواهر ضمن ما يسميها القدماء بالإدغام الأكبر وبعضها ينتمي إلى ما يسمي بالإدغام، وهناك صنف ثالث يسمي بالإبدال.

والإدغام لغةً من دَغَمَ الغيثُ الأرضَ يدغمها، وأدغَمَهَا: إذا غشيها وقهرها والإدغام إدخال اللّجاء في أفواه الدّواب، وأدغم الفرس اللّجاء أدخله فيه، وأدغم اللّجاء في فمه كذلك. قال الأزهري: وإدغام الحرف في الحرف وأدغَمْتُهُ على افتعلته⁽¹⁾. والإدغام اصطلاحًا تقريب صوتٍ من صوت⁽²⁾، بحيث يلفظ بالصوتين صوتًا واحدًا كالثاني مشدّدًا⁽³⁾، لأنك تضع لسانك لهما موضعًا مشتركًا لا يزول عنه⁽⁴⁾، سواءً كان مثلين أو متجانسين أو متقاربين. وكلّ التعاريف التي قيلت بعد هذا التعريف لا تخرج عن حدود هذه العبارة إلا بالشرح والإطالة في الكمّ لا في النوع⁽⁵⁾. منها ما جاء على لسان المبرّد⁽⁶⁾، وابن جني الذي نفهم من كلامه أن

(*) نافع المدني: هو أبو رويم نافع الليثي، أصله من أصفهان، وكان إمام الهجرة، وروايه هما قالون وورش.

(*) ورش: هو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبا سعيد، وورش لقب له لشدة بياضه. ينظر الكافي: 17

والإتحاف: 9.

(1) ينظر اللسان، مادة (دغم).

(2) ينظر الخصائص: 139/2، والتكملة من الإيضاح العضدي: 273.

(3) ينظر النشر: 275/1 والإتقان: 94/1.

(4) ينظر الكتاب: 437/4.

(5) ينظر الدراسات اللغوية والنحوية: 45، والتيسير: 28.

(6) ينظر المقتضب: 198/1.

للإدغام أفضلية عن الإظهار الذي يقصد به إخراج كل صوتٍ ممحُضًا من مخرجه، غير متأثر بما يجاوره⁽¹⁾.

أما عن مكانة الإدغام في عرف القراء فهي لا تقل أهميةً وشأنًا عما كانت عليه عند النحاة، إذ يكفي ما قاله أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) وهو: "أن الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره"⁽²⁾.

ولعل أول تعريف جامع بين وضوح الفكرة ودقة الصياغة ما جاء به أحد القراء قائلًا: "الإدغام تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه من مخرج اللسان كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه"⁽³⁾.

والظاهر أن اللجوء إلى الإدغام يكون طلبًا للاستخفاف، وهروبًا من ثقل المثليين أو المتقاربين. وهو ضربان: إدغام كبير وإدغام صغير. فالأول ما كان الصوت المدغم متحركًا فيلزم للإدغام أن تحذف هذه الحركة⁽⁴⁾. وهو يمرّ بحالتين الأولى حذف حركة الصوت المدغم لتمام التقاء الصوتين التقاءً مباشرًا، والثانية قلب الصوت الأول من مثل الثاني لتمام المماثلة بين الصوتين على صورة الإدغام⁽⁴⁾. كقولنا: مدّ في مدد، ورسل ربك. وهذا الإدغام نسب إلى أبي عمرو بن العلاء، وفي هذا الصدد يقول إبراهيم أنيس: "يظهر أن أبا عمرو بن العلاء كان يلتزم في قراءته النطق بالحركات الإعرابية، أو الحركات الواقعة على أواخر تلك الكلمات، مما يترتب عليه إلغاء الحرف الأخير من الكلمة السابقة بالحرف الأول من الكلمة اللاحقة... فإن صحّ هذا التفسير كقراءة أبي عمرو لم يكن هناك فرق بين إدغامه

(1) ينظر الخصائص: 140/2.

(2) النشر: 275/1.

(3) ينظر الدراسات اللغوية والنحوية: 46، والتيسير: 28.

(4) ينظر أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي: 239-240.

وبين ما يسمّى بالإدغام الصّغير.⁽¹⁾

ويسمّى كبيراً لكثرة وقوعه، إذ أن استعمال الحركات (الصّوائت) يكون أكثر من السّكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرّك قبل إدغامه وقيل لما فيه من الصّعوبة، وقيل لشموله المثلين والجنسين والمتقارين.⁽²⁾

أمّا الإدغام الصّغير فهو ما كان فيه الصّوت المدغم ساكناً، نحو: أَحَلَّ في أَحَلَّ، و"مَرَّ" أي في "مَنْ رَأَى". وكلّ منهما ينقسم إلى جائز وواجب وممتنع كما هو مفصّل عند علماء العربية.⁽²⁾

فالإدغام إذا إفناء صوتٍ في صوتٍ آخر يليه في الكلام، سواء التقى به التقلّء مباشرة، أو فصل بينهما فاصل من الصّوائت القصار فتحة كانت أم ضمّة أو كسرة.

وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة الإدغام قد يتأثر فيها الصّوت الأوّل بالصّوت الثّاني تأثراً كلياً فيكون الإدغام عندها تاماً، وقد يتأثر تأثراً جزئياً فيكون الإدغام ناقصاً، لبقاء بعض خصائص الصّوت الدّالة عليه كبقاء عنة النّون حيث إدغامها في الياء والواو⁽³⁾، من ذلك قولنا: "مِنْ وَالٍ" و"مَنْ يَقُولُ".

وظاهرة الإدغام لم تنشأ من العدم، بل هنالك عوامل وأسباب ساهمت في نشوئها أوّلها التّمائل بين الصّوتين، وهو أن يتفقا مخرجاً وصفة⁽⁴⁾. كالتقاء الباءين والتّاءين واللامين، وغيرهم، مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ﴾⁽⁵⁾. بينما التّجانس يراد به اتّفاق الصّوتين مخرجاً لا صفةً (كالطاء والتّاء) و(والثّاء والظّاء)

(1) في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس: 71.

(2) ينظر النشر: 1/274-275.

(3) ينظر الأصوات اللغوية: 187.

(4) ينظر أثر القراءات في الأصوات: 131.

(5) سورة الكهف: 14.

و(اللام والراء). أمّا التقارب "الذي يقع الإدغام بسببه فقد يكون في المخرج خاصة، أو في الصّفة خاصّة أو في مجموعهما"⁽¹⁾.

ونجد سيبويه يعنون بأباً من كتابه سمّاه "باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد، والحروف المتقاربة مخارجها، إذا أدغمت فإنّ حالها حال الحرفين اللذين هما سواء في حسن الإدغام، وفيما يزداد اليان حسناً، وفيما يجوز فيه إلاّ الإخفاء وحده، وفيما يجوز فيه الإخفاء والإسكان"⁽²⁾. ومعنى هذا أنّ الدافع في إدغام المثليين هو نفسه في المتقاربين. فاللسان يستثقل التّطق بالصّوت الثّاني من موضع قريب للصّوت الأوّل نتيجة للجهد المبذول لهذا حدث الإدغام، وقد نصّ ابن يعيش على هذا، فقال: "اعلم أنّ الحروف المتقاربة تجري مجرى الحروف المتماثلة في الإدغام، لأنّ المتقاربين كالمثاليين، لأنّهما من حيّز واحد"⁽³⁾. وإدغام التقارب على ثلاثة أضرب: "ضرب يقلب فيه الأوّل إلى الثّاني ثمّ يدغم فيه وهذا أحقّ الإدغام، وضرب يقلب فيه الثّاني إلى لفظ الأوّل، فيتمثال الحرفان، فيدغم الأوّل في الثّاني، وضرب يبدل الحرفان معاً فيه ممّا يقاربا ثمّ يدغم أحدهما إلى الآخر"⁽⁴⁾.

أمّا عن علاقة مصطلح المماثلة بمصطلحي الإدغام والإبدال فقد أوقفنا عليه كلّ من سيبويه والمبرد وابن جني⁽⁵⁾. فلقد تعرّض سيبويه لظاهرة المماثلة، ولكن تصوّره لها كان أوسع من تصوّر متأخري النّحاة حيث عدّ الإدغام المماثلة بصفة عامّة.⁽⁶⁾ لكن ثمة اختلاف في معنى كلمة تقريب التي وظّفها سيبويه في تعريفه

(1) ينظر الممتنع في التصريف: 663/2.

(2) الكتاب: 445/4.

(3) شرح المفصل: 132/10.

(4) ينظر الكتاب: 445/4، والمقتضب: 198/1، والخصائص: 139/2.

(5) ينظر أثر القراءات في الأصوات: 123.

(6) الكتاب: 445/4.

للإدغام بحيث أن معناها عنده كان أوسع من وصل الساكن بالمتحرك عند متأخري النّحاة وأوسع من مفهوم الإدخال في عبارة اللّغويين.⁽¹⁾

فابن يعيش وكلّ من حاول وصل تعريف للإدغام لم يلاحظوا دقة عبارة سيوييه وما يعنيه بتقريب الصّوت من الصّوت، فالإدغام عندهم لا يخرج عن إطار الأصوات الصّامتة، وعلى الصّورة التي ينتج عنها صوت مضعّف سواء من المثلين أو المتقارين. وأمّا سيوييه فقد استخدم كلمة الإدغام للتعبير عن كلّ تأثير صوت بصوتٍ سواء كان صامتاً أو صائتاً، وسواءً كان التأثير كاملاً يترتب عليه فناء الصّوت المتأثر أم جزئياً يفقد معه عنصراً من عناصره.⁽²⁾

ولم يكن الإدغام المصطلح الوحيد للمماثلة عند سيوييه وإنما اصطلاح عليها أيضاً بالمضارعة فعقد لها باباً سمّاه: "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع ذلك الحرف وليس من موضعه."⁽³⁾ والمقصود بالمضارعة لغةً المشابهة.⁽⁴⁾

ونستخلص ممّا أوردناه سابقاً أن سيوييه كان يصطلح على ظاهرة المماثلة بمصطلح الإدغام عندما تكون المائلة الكلية تامّة (Assimilation complète) وينتج عنها فناء صوتٍ في صوتٍ آخر. ويصطلح عليها بالمضارعة عندما تكون المماثلة جزئية (ناقصة). وبغية الولوج إلى حرم هذه الظاهرة الصّوتية، لا بأس من ذكر قول سيوييه: "فأمّا الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه، فالصّاد الساكنة، إذا كانت بعدها الدالّ وذلك نحو: تصدر، وأصدر والتّصدير لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة كما صارت مع التّاء في كلمة واحدة في افتعل، فلم تدغم الصّاد في

(1) ينظر الفصل: 393، وشرحه: 121/10.

(2) ينظر أثر القراءات في الأصوات: 123.

(3) الكتاب: 477/4.

(4) ينظر اللسان مادة (ضرع).

التاء ولم تدغم الدال فيها. ولم تبدل لأنها ليست بمترلة اصطبر، وهي من نفس الحرف.⁽¹⁾ فقال أيضاً: "وسمنا العرب الفصحاء يجعلونها زائياً خالصة، كما جعلوا الإطباق ذاهباً في الإدغام، وذلك قولك في التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرت: أزدرت. وإنما دعاهم أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من جهة واحدة، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد".⁽²⁾

فهم من هذا النص الطويل أن سبويه تعرض لظاهرة المماثلة، وتصوره كلن أوسع من تصور متأخري النحاة، مع أن المبرّد حدا حذوه في الاصطلاح على هذه الظاهرة بالإدغام ولم يخصّ ظاهرة المماثلة مصطلحاً آخر.⁽³⁾

وسمّاها ابن جني الإدغام الصّغير أو الأصغر، ويقصد به تقريب الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام، وله ضروب عديدة.⁽⁴⁾ وسنعرض أمثلة له ضمناً عند عرضنا للتأثر.

كما سمّاها أيضاً بالتجنيس أي المشاكلة أو المشابهة⁽⁵⁾. وذكر هذا المصطلح أحد الدارسين المحدثين وأكد بأنه ورد عند ابن جني في كتابه المنصف، وهو يشهد له بالبراعة في خلق هذا المصطلح لظاهرة المماثلة.

والمشاكلة هي أن يصبح الحرفان المتماسان أو المتقاربان المتنافران متواقعين بتقريب صوت أحدهما من الآخر⁽⁶⁾. وهي عند الأستراباذي المناسبة⁽⁷⁾.

وبناءً على ما سبق فإنّ الإدغام أن تصل حرفاً ساكناً بحرفٍ مثله متحركٍ من

(1) الكتاب: 477/4-478.

(2) المصدر نفسه: 478/4.

(3) ينظر المقتضب: 198/1.

(4) ينظر الخصائص: 141/2.

(5) ينظر اللسان مادة (جنس).

(6) ينظر الإبدال في اللغة العربية لمولاي عبد الحفيظ طالي: 296.

(7) ينظر شرح الشافية: 4/3.

غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصاليهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام⁽¹⁾.

أما مصطلح المماثلة (Assimilation) عرف عند المحدثين وهو عام وشامل ويطلق على كل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين فيقارب بينهما، وبذلك فمصطلح المماثلة ينطبق على معنى الإدغام بصفة عامة، إلا أنه وجد ثمة فرق واحد بينهما. فالإدغام يطلق أيضاً على حالة التضعيف الناتج عن التقاء مثلين.

والعلاقة التي تربط بين الإدغام والمماثلة هي اشتراكهما في حالة التفاعل الصوتي الكامل، فتتفرد المماثلة بحالات التأثير الناقص، ويتفرد الإدغام بحالة التضعيف. وعموماً فإن الإدغام هو أقيس أشكال المماثلة في العربية، ولذلك فمنطقي جداً وموضوعي أن تنطبق على الإدغام قوانين المماثلة.

ولا بأس من ذكر ماهية الإدغام وأنواعه وأسبابه وشروطه وموانعه بإيجاز عند القراء. فالمقصود بالإدغام عندهم: "هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"⁽²⁾. ويشتمل هذا التعريف على عمليات الحذف والقلب والإدغام، فاللفظ بحرفين حرفاً كالثاني يقتضي ضرورة حذف الحركة من الصوت الأول إن كان متحركاً ثم قلبه من مثل الصوت الثاني، وإلا فلن يكون مشدداً، وهذا التعريف متفق عليه بين القراء والنحاة⁽³⁾.

هذا عن ماهيته، أما أنواعه فينقسم إلى كبير وصغير، فالإدغام الكبير ما كان الصوت الأول فيه متحركاً سواء كان الحرفين المراد إدغامهما مثلين أم متجانسين أم متقاربين. وأما الإدغام الصغير فهو الذي يكون فيه الأول من الحرفين المراد

(1) ينظر شرح المفصل: 121/10.

(2) النشر: 274/1.

(3) ينظر أثر القراءات القرآنية: 127.

إدغامهما ساكنًا⁽¹⁾.

أما عن شروط الإدغام التي تتلخّص في السبب والشّرط المانع فسندكرها على التّرتيب فيما يلي: فالسبب المسوّغ للإدغام عند القراء هو عبارة عن العامل الذي ينشأ عنه إدغام حرفين معيّنين وهو منحصر في تماثل الحرفين، والمقصود بالتّماثل أن يتّفقا مخرجًا وصفةً كالباء في الباء، والتّاء في التّاء، أو تجانسهما أي يتّفقا مخرجًا ويختلفا صفةً كالذال في الثاء والتّاء في الطّاء أو تقاربهما أي أن يتقاربا مخرجًا أو صفةً، أو مخرجًا وصفةً⁽²⁾.

أما الشّرط فينحصر في الصّورة التي ينبغي أن يكون عليها الحرفين المتماثلين أو المتجانسين أو المتقاربين، فاشتراطوا ألاّ يفصل بين الحرفين المدغمين فاصل يجعل النّطق بينهما من موضع واحدٍ متعذّر، وقد عبّروا عن ذلك بقولهم: "فشطره في المدغم أن يلتقي الحرفان خطأ ولفظًا، أو خطأ لا لفظًا، فيدخل في ذلك نحو: (إنّه هو) ويخرج نحو (أنا نذير) وفي المدغم فيه كونه أكثر من حرفٍ إن كانا بكلمة واحدة ليدخل نحو (خلّقكم)، ويخرج نحو (يرزقكم)"⁽³⁾.

أما موانع الإدغام عند القراء فأجملوها في نوعين اثنين: مانعٌ عامٌ متّفق عليه ومانعٌ خاصٌّ. فأما المانع الأوّل فينشطر إلى ثلاثة أضرب: أوّلها كون الحرف الأوّل تاء ضمير المتكلّم أو المخاطب، نحو: «كُنْتُ تُرَابًا»⁽⁴⁾ ونحو قوله أيضًا: «أَقَاتَ شَمْعٌ»⁽⁵⁾... الخ.⁽⁶⁾

(1) ينظر النشر: 275/1.

(2) ينظر الإتيان: 94، والنشر: 278/1، وأثر القراءات: 131.

(3) ينظر النشر: 278/1، والإتيان: 94.

(4) سورة التّبا: 78.

(5) سورة الزّحرف: 43.

(6) ينظر النشر: 279/1.

ثانيه: إذا كان الحرف الأول مشدداً نحو: «رَبِّ بِمَا»⁽¹⁾ و«مَسْ سَقْرٌ»⁽²⁾ يمنع الإدغام لأن الحرف المشدّد ينطق صوتين من موضع واحد، فكيف إذا أضيف إليهما ثالث بالإدغام. وثالثه كون الحرف الأول منوناً، نحو: «سَارِبٌ بِالنَّهَارِ»⁽³⁾ و«فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ»⁽⁴⁾... الخ⁽⁵⁾

هذا المانع العامّ أمّ المانع الخاصّ فمختلف فيه ولخصه ابن الجزري في قوله: "والمختلف فيه الجزم قيل: وقلة الحروف، وتوالي الإعلال، ومصيره إلى حرفٍ مدوّ اختصّ بعض المتقاربين بخفة الفتحة، أو سيكون ما قبله أو بهما كليهما أو بفقد المجاور، فأما الجزم فنحو: «وَمَنْ يَبْغِ غَيْرَ»⁽⁶⁾ و«آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ»⁽⁷⁾ و«لَمْ يَكُنْ لَكُمْ سَعَتٌ»⁽⁸⁾ ذهب ابن مجاهد وأصحابه إلى الجزم مانعاً وذهب آخرون إلى عدم الاعتداد به مانعاً.⁽⁹⁾ وما يقصد بقلة الحروف ليس قلة حروف الكلمة وإنما لقلة دورها في القرآن الكريم. وبعد أن حدّدنا العلاقة بين مصطلح المماثلة والإدغام فلا بأس من التذكير أنّ لفظة مماثلة assimilation تطلق أيضاً على الإبدال كما تطلق على الإدغام، فهي تطلق على كلّ تغيير سواءً بالتأثير كما يحدث في الظاهرة السابقة أو بإقامة حرفٍ مكان حرفٍ بعد حذف الثاني وذلك في الإبدال⁽¹⁰⁾.

(1) سورة الحجر: 39.

(2) سورة القمر: 48.

(3) سورة الرعد: 10.

(4) سورة الزمر: 6.

(5) ينظر النشر: 1/277، وأثر القراءات: 133.

(6) سورة آل عمران: 3.

(7) سورة البقرة: 26.

(8) سورة البقرة: 247.

(9) ينظر النشر: 1/279، وأثر القراءات: 133.

(10) ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: 74.

والإبدال من التغيرات التركيبية التي تحكم الأصوات، ولا يقتصر في إدراكها على الباحث اللغوي فحسب بل يدركها أيضاً الإنسان العادي عن طريق السمع، نجد الإبدال الذي عجت به كتب اللغة، ضرب من ضروب التماثل، يمنح له المتكلم بغية التسهيل والتيسير في النطق، وسنذكر تعريفه ومظاهره عند عرض النماذج من السورة لاحقاً.

صور المماثلة الواحدة في السورة :

قبل الوقوف على خصائص قانون المماثلة لا بأس من تعريفها لغةً واصطلاحاً والوقوف على أسباب حدوثها، وماهيتها. والمماثلة ظاهرة بارزة في العربية الفصحى تتخذ صور شتى، وهي تدور على الألسنة.

والمماثلة عرفها اللغويون القدامى، لغةً بقولهم: "فأما المماثلة لا تكون إلا في المتفقين، تقول: نَحْوُهُ كَنَحْوِهِ، وَفَقْهُهُ كَفَقْهِهِ، وَلَوْنُهُ كَلَوْنِهِ وَطَعْمُهُ كَطَعْمِهِ، فإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسدّه، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة." (1) كما أن مائل بمعنى شابه فالمماثلة على هذا النحو تكون بمعنى المشابهة. (2)

أما اصطلاحاً فقد عُرف عند المحدثين وهو عامٌ وشامل، ويطلق على كل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين فيقارب بينهما، وبصيغة أخرى هو تقارب أو تجانس أو تماثل يحدث بين صوتين متماسين مما يؤدي إلى تقارب في مخرجي الصوتين وصفاتهما. (3) فالمماثلة هي التعديلات الكيفية للصوت بسبب مجاورته، ولا نقول ملاصقة لأصوات أخرى وهي كما عرفها بعضهم تحوّل الفونيمات

(1) ينظر اللسان مادة (مثل).

(2) ينظر المصدر نفسه.

(3) ينظر الألسنية العربية: 1/53، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 341.

المختلفة إلى متماثلة إمّا تماثلاً جزئياً أو كلياً".⁽¹⁾

والغرض من حدوثها تحقيق الانسجام الصّوتي وتيسير عملية النطق واقتصاد الجهد العضلي، وكثيراً ما يشير الدّارسون المحدثون إلى هذه الأخيرة بعنوان "نظرية السّهولة والتّيسير". ويرى أصحاب هذه التّظرية أنّ الإنسان يميل، في نطقه لأصوات لغته إلى الاقتصاد في المجهود العضلي وإلى تلمّس أسهل السّبل مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدّثين إليه. فيستبدل السّهل، من أصوات لغته، بالصّعب الشاقّ الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر. ومثل الإنسان في هذا، مثله في معظم الظواهر الاجتماعية، يحاول عادةً الوصول إلى غرضه من أقصر الطّرق كلّما أمكن ذلك.⁽²⁾

وأما عن كيفية حدوث المماثلة فهناك من العلماء من أرجعه إلى قوّة ذاتية، في الصّوت المؤثّر تميّزه عن مجاورة الذي يتأثّر به وهو تحليل صوتي محض.⁽³⁾ غير أنّ من العلماء من ذهب مذهباً آخر عمد فيه إلى تفصيل العامل الصّوتي في حدوث المماثلة، وزاد على ذلك تحليلاً نفسياً عضوياً، فرأى أنّ حدوث المماثلة الرّجعية، سببه الإسراع في الحركات، أمّا المماثلة التقدّمية، فسببها التزام على مستوى الحركات والجمود عليها. ولم يكتف هذا العالم بالتحليل النفسي العضوي فحسب وإنّما ركّز على التحليل الصّوتي بحيث أنّه يرى الشّيء الأساسي في حدوث المماثلة هو توفّر صفات معيّنة في الصّوت المؤثّر كأن يكون أكثر قوّة، وأكثر مقاومة وأكثر استقراراً وأكثر امتيازاً.⁽⁴⁾ وعموماً فإنّ تحديد "جرامونت" لصفات الصّوت المؤثّر مؤسس على الواقع الصّوتي في اللّغات الأوروبية فالأمر هذا

(1) دراسة الصوت اللغوي: 324.

(2) ينظر التطور اللغوي: 76.

(3) ينظر أثر القراءات القرآنية في الأصوات: 232.

(4) ينظر المرجع نفسه: 232 (وهو رأي جرامونت).

نسبيُّ على أَنّه من المحقّق أَنّه قانون القوّة، هو قانون عامّ في كلّ اللّغات، وهذا ما نلاحظه عند سيبويه في تحديده لمقاييس الإدغام بحيث جعل التأثير الإدغامي دائماً للصّوت الأقوى، وخلاصة الحديث عن سبب حدوث المماثلة يرجع إلى تعليل صوتي محض وذلك لموضوعيته⁽¹⁾.

إنّ القانون الذي يتحكّم في المماثلة يتوقّف على تأثر الأصوات اللّغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتغيّر مخارج بعض الأصوات أو صافاتها لكي تتفق في المخرج أو الصّفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها، فيحدث عن ذلك نوعٌ من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو الصّفات، بحيث أنّ الأصوات تختلف فيما بينها في المخارج، والشدّة والرّخاوة، والجرّ والهمس، والاستعلاء والتّسفل، وما إلى ذلك. فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً فسيحاول كلّ واحدٍ منهما أن يجذب الآخر إلى ناصيته ويجعله يتماثل معه في كلّ الصّفات أو بعضها⁽²⁾. وهي ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات بصفة عامّة، غير أنّ اللّغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه⁽³⁾.

والمماثلة عملية إحلال صوت محلّ صوت آخر تحت تأثير صوت ثانٍ قريب منه في الكلمة⁽⁴⁾. ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أنّ الأصوات تتأثر بعضها ببعض في نسب متفاوتة، فمن الأصوات ما يقع عليه التأثير بشكلٍ سريع، ممّا يؤدي إلى الاندماج في غيره، والبعض الآخر لا يمتلك خاصيّة الاستجابة الفورية لهذا التأثير، وأنّ مجاورة الأصوات لبعضها البعض هو السرّ الكامن وراء هذه العروض التّأثرية.

(1) ينظر أثر القراءات القرآنية: 232-233.

(2) ينظر التطور اللغوي: 30.

(3) ينظر الأصوات اللغوية: 179.

(4) ينظر المدخل إلى علم الأصوات لصلاح حسنين: 74.

فقد سبق أن أشرنا إلى أن الهدف الصوتي وراء هذا التأثير، هو تحقيق نوع من التشابه أو التماثل بغية التقارب في الصّفة والمخرج طلباً للخفة والتيسير، كما سجّلت ظاهرة المماثلة في اللغة العربية نسبة كبيرة من التخفيف، خصوصاً في جانبها التطوّري إلى لهجات الكلام الحديثة⁽¹⁾.

ويعرّفها دانيال جونز بأنّها عملية استبدال صوت بصوت آخر، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه، في الكلمة أو في الجملة⁽²⁾. وهذا التوافق كما يحدث بين الأصوات الصّامتة، يحدث كذلك بين الصّوائت (الحركات). ويحدث أيضاً بين الأصوات الصّامتة و(الحركات) الصّائتة.

وعلى الرّغم من إسهامات العلماء العرب القدامى في هذه الظاهرة الصوتية التشكيلية إلاّ أنّهم لم يفصلوا القول فيها، وللعلماء المحدثين آراء كثيرة فيها، حيث قسّموها إلى نوعين، حسب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض⁽³⁾:

1- مماثلة تقدمية^(*) (Progressive): حيث يتأثر الصّوت الثاني بالأوّل، وبمعنى آخر إنّ التّماثل التّقدمي يتميّز في كونه يبتدئ من الصّوت الأوّل (السّابق) إلى الصّوت الثاني (اللاحق)⁽⁴⁾. نحو إبدال تاء الافتعال دالاً بعد الزّاي في مثل: ازدجر وأصلها ازتجر، يجري التّيّار التّأثيري من صوت الزّاي الصّفيري الذي يتميّز بالحذّة والوضوح السّمعي، والجهر إلى صوت التّاء الأسناني اللّثوي المهموس، ونتيجة هذا التّأثير تحوّل التّاء إلى صوت الدّال الشّديد المجهور.

وإذا أخذنا هذه الصّيغة أيضاً، ممّا فاؤه دال أو ذال أو زاي حدثت صعوبة

(1) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 284.

(2) ينظر التطور اللغوي: 30.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 181 ودراسة الصوت اللغوي 325، والصوتيات للملرج: 118،

ترجمة د محمد حلمي هليل، القاهرة، 1994، عين الدراسات والبحوث الإنسانية.

(*) هناك من يسميها بالتأثر المقل. ينظر التطور اللغوي: 33.

(4) ينظر أصوات اللغة العربية: 231، والصوتيات: 118.

أيضاً على اللسان، للاختلاف الشديد بين هذه الأصوات، وتاء الافتعال في الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة مما يجعل النطق بهما متجاورين عسيراً.

فإذا بنينا صيغة (افتعل) من الأفعال التالية: دان، ذكر، زجر، ونحوها قلنا: ادْتَانَ، ادْتَكَّرَ، اِزْتَجَرَ، فالتاء المهوسية لا تناسب الدال المجهور قبلها، والدال والزاي مع جهرها يمثلان أقصى مراحل الرخاوة (الاحتكاك) والتاء شديدة انفجارية، فالتمييز بينهما كبير⁽¹⁾. وللإقتصاد في الجهد العضلي تحوّل تاء الافتعال إلى الدال، النظير المجهود للتاء حتى يتحقّق الانسجام الصوتي فتصبح: ادان، اذكر، اذجر. ويلجأ العربي إلى زيادة التماثل في الكلمة: اذكر، بإبدال الدال ذالاً وإدغامها في الدال السابقة لها، وهذا تأثر تقدّمي.

ومن صيغ الافتعال في المماثلة التقديمية حين تحمل هذه الصيغة فاء الفعل صوتاً مطبقاً مفحماً كالصّاد، مثل: صَبَرَ ← اصْتَبَرَ (ص = ت) ← اصْطَبِرْ، وضَرَبَ ← اضْطَرَبَ (ض = ت) ← اضْطَرِبْ، طَلَعَ ← اِطْلَعْ ← اِطَّلِعْ - اِطَّلِعْ. فالملاحظ على هذه الصيغ أن فاءها من أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ) أدّى ذلك إلى تجاور "تاء" الافتعال المستقلة المفتحة مع هذه الأصوات المستتعية المطبقة، فيصعب على اللسان أن ينطق بهذه الألفاظ (اصتبر - اضرب - اطلع - اظلم) إذ الانتقال من صوت مطبق إلى صوت مستقل كالانحدار من مرتفع وذلك يؤدي إلى تعثر اللسان في النطق، والانسجام الصوتي يقتضي تحويل تاء الافتعال إلى صوت من مخرج التاء له صفة الإطباق التي تقرّبه من الصوت السابق عليه حتّى يأتلف معه ومن هنا أبدلت التاء طاءً، وبذلك أصبح النطق ميسوراً.

وهذا مع الصّاد والضّاد والظّاء نوع من تقريب الصّوت من الصّوت دون إدغام، أمّا الطّاء فالإدغام لا غير. وهذا ما سنعرّفه عند عرض صور المماثلة

(1) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 181.

المتواجدة في السّورة وتحليلها.

2- مماثلة رجعية(*) (Regressive): حيث يكون التأثير من الصّوت الثّاني على الصّوت الأوّل أي أن التّمائل يبيث الصّوت اللاحق إلى الصّوت السّابق⁽¹⁾، مثل تحويل "فاء" افتعل إذا كان واوًا إلى التّاء، نحو: اتّعد والأصل فيها: أوْتعد. وفي أمثلة أخرى نحو: اطّهر - يطّهر واثّقل - يثّقل، فالمثال الأوّل أثرت الطّاء المفخمة المستعلية على التّاء السّابقة لها فجذبتها نحوها، فجاءت الصّيغة بطاءين متواليين اندمجتا في طاء واحدة. وهذا ما حدث مع المثال الثّاني، تجاوزت التّاء مع الثّاء (اثّقل) فأثرت الثّانية على الأولى أي المماثلة هنا رجعية.

ويذكر الأصواتيون المحدثون على أن أصوات الإطباق لها سيطرة وقوّة شديدين حيث يمتدّ تأثيرهما إلى ما قبلها وما بعدها من الأصوات، بل إنّ البعض منهم توسّع في الرّؤية فذكر أن الصّوت المفخّم قد يمتدّ إلى المقاطع المجاورة⁽²⁾. وفي الأمثلة المتقدّمة كانت المماثلة تجاورية، أي لم يفصل بين الأصوات المتأثرة والمؤثرة أيّ فاصل، وحيث تتباعد بفاصل تسمّى المماثلة تباعدية وعليه يمكن تقسيم أنواع التّأثر النّاتجة عن قانون المماثلة فإن حدثت مماثلة تامّة بين الصّوتين، فالمماثلة كليّة، وإن كانت في بعض خصائص الصّوت، فالمماثلة جزئية، وفي كلّ حالة من هذه الحالات، قد يكون الصّوتان متّصلين تمامًا، بحيث لا يفصل بينهما فاصل، من الأصوات الصّامتة أو الصّوائت، وقد يكون الصّوتان منفصلين بعضهما عن بعض بفاصل من الأصوات الصّامتة أو الصّائتة (الحركات)⁽³⁾.

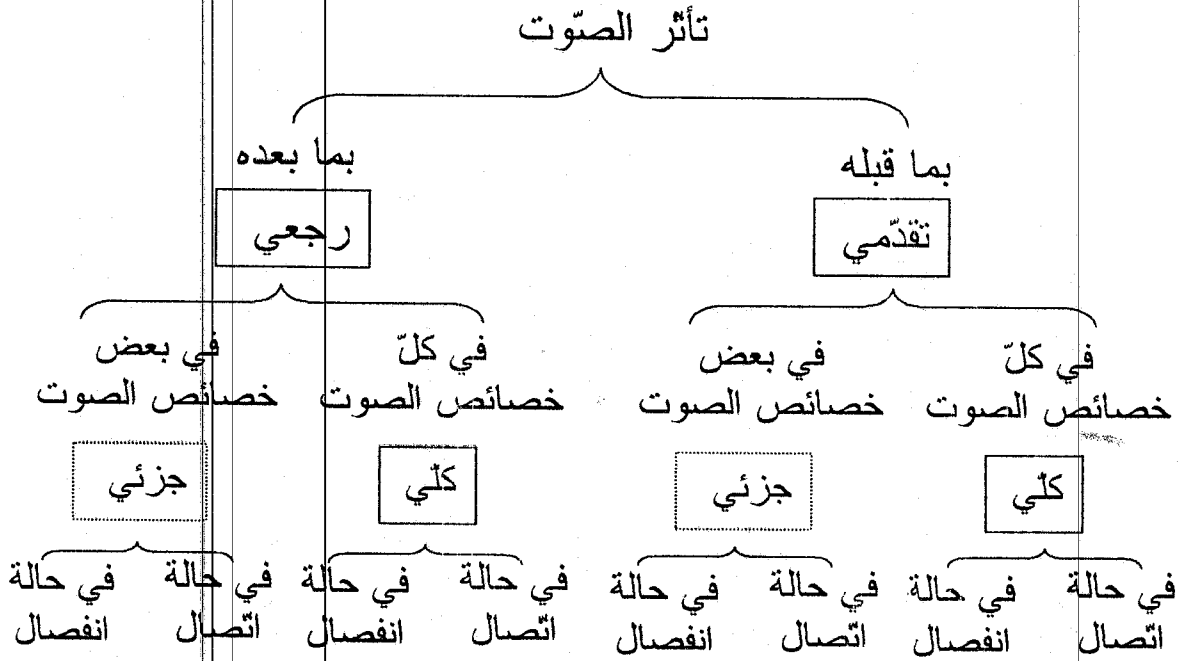
(*) هناك بعض العلماء يسميه التّأثر المدبر. ينظر التطور اللغوي: 31.

(1) ينظر الصوتيات: 118، ودراسة الصوت اللغوي: 325.

(2) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 327.

(3) ينظر التطور اللغوي: 31.

ولا بأس من عرض أنواع المماثلة وصورها المختلفة، مع ضرب الأمثلة المتنوعة على ذلك، من السورة الكريمة، وقبل هذا يمكن تلخيص بيان أشكال التلثر الصوتي، على النحو التالي⁽¹⁾:



1* وعرضنا لصور المماثلة وأنواعها سيكون أولاً بين الصوامت:

1- المماثلة التقديرية الكلية المتصلة: أو ما يسمّى بالتأثر المقبل الكلي في حالة اتصال، وفي هذه الحالة يكون الصّامت الأوّل غير منفصل عن الصّامت الثاني بحركة بينهما، وأن يؤثّر الصوت الأوّل في الثاني، ويكون الصوتان متماثلين أي متّحدان في المخرج والصفّات، أو متجانسين، ويقصد بالصوتين المتجانسين الصوتان المتّحدان في صفة من الصفّات ويختلف في المخرج وفي بقية الصفّات، ويؤدّي هذا النوع إلى سقوط الصّامت الثاني، وفي هذه الحالة يطرأ تغيير في فترة إنتاج الصوت الأوّل من المخرج، فالزّمن الذي سبّقى فيه أعضاء النطق في الوضع اللازم سيكون ضعف الزّمن اللازم لنطق الصوت العادي، لأنّ الأعضاء الصوتية

(1) ينظر التطور اللغوي: 31.

ستقوم أولاً ينطق الصّوت الأوّل مع عدم مغادرتها لمكان إنتاجه ثمّ تقوم بعد ذلك بإنتاج الصّوت الثّاني المشابه للصّوت الأوّل.⁽¹⁾

وإذا كانت فاء افتعل طاءً تبدّل التّاء طاءً، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلَمْتَهُمْ مِنْهُمْ بَرَعًا﴾⁽²⁾ واختلف في قراءة (لَمَلَّئْتُ) فنافع قرأها بتشديد اللّام للمبالغة أي (لَمَلَّئْتُ) ووافقه ابن كثير وأبو جعفر، وقرأها الباقون بتخفيفها⁽³⁾. وفي اللفظة (اطَّلَعَ) حدثت مماثلة كلية متّصلة، حيث تأثرت التّاء المهموسة المنفتحة المستقلة بالطّاء المجهورة المطبقة، فأبدلت طاءً وأدغمت فيها لغرض التقارب والانسجام بين الصّوتين المتنافرين صفة. ويعلّل سيبويه سبب إبدال التّاء بالطّاء بقوله: "ولم يدغموها في التّاء لأنّهم لم يريدوا إلاّ أن يبقى الإطباق إذ كان يذهب في الانفصال، فكرهوا أن يلزموه ذلك في حرف ليس من حروف الإطباق"⁽⁴⁾.

ويسمّي المحدثون هذا النوع من المماثلة بالتّقدمية القياسية⁽⁵⁾، والإدغام أو ما يعادل المماثلة التامة (assimilation complète) حاصل لا غير في هذا المثال. لأنّ فاء الكلمة (الطاء الأولى) والطاء التي حلّت محلّ تاء الافتعال، أصبحتا من جنس واحد والأولى ساكنة والثانية متحركة، فأدغمتا. "لأنّهما إذا كانت معها من مخرجها فهي الغاية في قربها فإن زدت على ذلك شيئاً فإنّما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ أخيه فتدغمه فيه لا محالة"⁽⁶⁾، لأنّ الإدغام يمثّل أقصى درجات التّأثير بين المتجاورين.

(1) ينظر المدخل إلى علم الأصوات: 75. وهذا ما سماه العرب بالإدغام كما سبقت الإشارة إليه.

(2) سورة الكهف: 18.

(3) ينظر الإنحاف: 364، والتيسير: 116، ومعاني القرآن للفراء: 137/2.

(4) الكتاب: 470/4.

(5) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 287.

(6) الخصائص: 230/2، وينظر التكملة من الإيضاح العضدي: 279.

ومن أمثلته في السّورة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَعَتْ نَوَافِرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾⁽¹⁾، فقد تأثرت التّاء الثّانية بمثلتها الأولى السّاكنة، وأدغمتا في بعضهما، وقد قرأها نافع بتشديد الزّاي، وقرأها مثله ابن كثير وأبو عمرو، وخالفهم الكوفيون حيث قرؤوها بالزّاي الخفيفة وقرأها ابن عامر ويعقوب تزور ساكنة الزّاي مثل تحمر⁽²⁾، والحجّة لمن شدّد أنّه أراد تتزاور، فأسكن التّاء وأدغمها في الزّاي لأنّها تفضلها بالصّفير. والحجّة لمن خفف أنّه أراد تتزاور أيضاً تاءين فثقل عليه اجتماعهما، فحذف إحداهما واكتفى بما أبقى ممّا ألقى.⁽³⁾

وكقوله أيضاً: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُمْ عِوَجًا﴾⁽⁴⁾ وقوله أيضاً: ﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾⁽⁵⁾ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾⁽⁶⁾.

فالتأثر في هذه الآيات كلي "وهو واجب الحدوث لأنّ الصّوتين المتماثلين الأوّل منهما ساكن، والثّاني متحرّك، وهما في حالة اتّصال إذ لا يوجد لفواصل بينهما من الصّوائت، ومثله ما تجاوز فيه المثلان في كلمة واحدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾⁽⁷⁾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾⁽⁸⁾ وقد قرأها نافع بالتشديد والآخرون ما عدا ابن كثير قرأها بنون واحدة

(1) سورة الكهف: 17.

(2) ينظر الإنحاف: 364، والبحر المحيط: 107/6، ومعاني القراءات: 264.

(3) الحجّة في القراءات السبع: 222. للإمام بن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1981م/1401هـ.

(4) سورة الكهف: 1.

(5) سورة الكهف: 14.

(6) سورة الكهف: 24.

(7) سورة الكهف: 6.

(8) سورة الكهف: 95.

مشددة. (1) أدغمت نونه في التّون التي بعدها، وقرأت بتنوينين ظاهرتين وهو الأصل (2).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ اتَّعَسِبَا﴾ (3) قرأها نافع بتشديد التّاء موصولة، وقرأها أيضاً ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتّشديد، لكن قرأها الباقون ثمّ اتّبع، مقطوعة ساكنة والتّاء خفيفة (4). والحجّة كمن قرأها بالوصل أنّ وزنه (افتعل) وأصله اتّبع، فأدغمت التّاء في التّاء. والحجّة لمن قرأها بألف القطع أنّه جعله من أفعل يفعل (5).

2- المماثلة التّقدمية الكلية المنفصلة: أو التّأثر المقبل الكلي في حالة

انفصال وفيها يتبع الصّوت الأوّل بحركة (6).

3- المماثلة التّقدمية الجزئية المتصلة: أو التّأثر المقبل الجزئي في حالة

الاتّصال وفيها يستبدل الصّوت الثّاني وهو الصّوت المتأثر بصوت آخر يماثله في صفة من صفاته، ولا يماثله في المخرج (7)، نحو تأثير الأصوات المفخّمة المطبقة المستعلية على التّاء المرققة التالية لها فتحول إلى نظيرتها، مثل اصتبر وتأثير الزّاي والذّال على تاء الافتعال مثل ازهر - ازدهر. من مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ (8)، إنّ أصلها: اصتفاه على وزن افتعل والذي حدث في هذا المثال أنّ الحرف المطبق المستعمل جاور التّاء المنفتحة المستقلة فأثرت فيها وأبدلتها (طاء)،

(1) ينظر معاني القرآن للأخفش: 398/2، والتيسير: 119.

(2) ينظر معاني القرآن للفراء: 159/2.

(3) سورة الكهف: 89.

(4) ينظر معاني القرآن للفراء: 158/2، والكافي: 150، وشرح الشاطبية: 272.

(5) ينظر الحجّة: 230.

(6) ولم تصادف أمثلة في السورة من هذا النوع يعني حدث فيها تأثر مقبل كلي في حالة انفصال، وهذا فيما يخص الأصوات المتجاورة، وإن كنا نقر بوجودها في الصوائت وهذا ما سنعرضه في حينه.

(7) ينظر المدخل إلى علم الأصوات: 77.

(8) سورة البقرة: 247.

لأن الطاء من مخرج التاء. فهذه الأخيرة تنتج بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصلاً فجائياً سمع ذلك الصوت الانفجاري، والطاء لا تفرق عنها في شيء، غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء. فاللسان معها يتخذ شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى، مع الرجوع إلى السوراء قليلاً⁽¹⁾. وبإبدالها يتخلصون من تلك الصعوبة التي تنشأ من النطق بصورتين متضادتين متنافرتين فيحدث الانسجام والتوافق⁽²⁾.

كما تبدل في هذا النوع من التأثير تاء "افتعل" دالاً بغير اطراد⁽³⁾، فقالوا اجتمع واجترأ⁽⁴⁾، واجترأ واجترح⁽⁵⁾، اجدمع واجدراً واجدز واجدراح. والذي حدث أن التاء المهموسة المستفلة تأثرت بالجيم المجهورة المقلقلة فأبدلت "دالاً" وهي أخت التاء في المخرج، إذ لا تفرق بينهما سوى أن التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور، وهي توافق الجيم في الجهر والقلقلة فتكون المماثلة بين الحرفين المتجاورين لهذا النوع من التأثير.

4- المماثلة التقدمية الجزئية المنفصلة: أي التأثير المقبل الجزئي في حالة

انفصال، ومن أمثلته إبدال "الدال" التي تأتي بعد القاف طاءً فيقال: تركته وقيلاً ووقيظاً⁽⁶⁾. فالطاء بدل من "الدال" بدليل قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَهْلَ لَعْنٍ اللَّعِينِ﴾⁽⁷⁾. وعلى آية حال "القاف" الشديدة المستعلية أثرت في "الدال" المتوسطة المستفلة مع وجود فاصل متمثل في الياء المدية (قيلاً) لكنه غير

(1) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 62.

(2) ينظر الكتاب: 467/4، والمفصل: 401.

(3) ينظر الممتع في التصريف: 357/1.

(4) ينظر سر الصناعة: 187/1.

(5) ينظر الكتاب: 479/4.

(6) ينظر سر الصناعة: 228/1.

(7) سورة المائدة: 3، (*) والموقودة: الشاة تضرب بخشبة حتى تموت وكان يفعلها قوم فهى عليه عز وجل.

حصين فأبدلت "الذال" "طاءً" وهي أخت الذال في المخرج وتوافق القاف في الاستعلاء.

5- المماثلة الرجعية الكلية المتصلة: أو التأثر المدبر الكلبي في حالة

اتصال، ومما ورد في هذا النوع من التأثر، تأثر "لام التعريف" بأحد عشر حرفاً هي: التاء والثاء والذال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والتون، ولا يجوز معهنّ إلا الإدغام⁽¹⁾. وهذه الأصوات الأحد عشر توافق "اللام" لأنها من أصوات طرف اللسان كاللام وصوتان منها يخالطان طرف اللسان هما: (الضاد والشين) بحيث أنّ "الضاد" استطالت حتى اتصلت بمخرج "اللام" و"الشين" تفتت حتى لحقت بمخرج "اللام"⁽²⁾. وفي هذا النوع من المماثلة يكون فيها الصوت الثاني هو المؤثر، وفي المماثلة الكلية يسقط الصوت الأول، وأمّا في الجزئية يستبدل الصوت الأول بصوت يماثل الصوت الثاني في إحدى صفاته.

ولا بأس من ضرب أمثلة على الأصوات التي تدغم في "لام التعريف" ولا يجوز فيها البيان البتّة، من ذلك: التمر والثوب، والدين والذكر والرأي والزراد والسماء والشمس والصبر والضحي والطرف والظلمات والنهار وتسمى باللام الشمسية تشبيهاً لها بلام الشمس، وتظهر مع ما تبقى من أصوات اللغة، كقولنا: القمر والباب والكتاب والحجاب والجر والغني والمفتاح والفرج والخمر والياس والهادي والأول والعلم والواحد. وتسمى باللام القمرية تشبيهاً لها بلام القمر، ويرجع علماء اللغة علّة إدغام لام التعريف في هذه الأصوات لأسباب ثلاث: إحداها لكثرتها في الكلام وموافقتها هذه الأصوات⁽³⁾، وثانيها أنّ هذه اللام لازم لها

(1) ينظر الكتاب: 457/4، والمقتضب: 213/1، والمتع في التصريف: 691/2 و692.

(2) ينظر الكتاب: 457/4.

(3) ينظر المصدر نفسه: 457/4.

للسكون فليست بمترلة ما يتحرك في بعض المواضع⁽¹⁾، وثالثها أنها مع ما بعدها كالكلمة الواحدة⁽²⁾. لهذا يلزم إدغامها فيها، إلا أن ثمة اختلاف بين القراء والنحاة، وبين النحاة أنفسهم. فالقراء الذين رَووا عن نافع من مثل ورش يدغمون لام التعريف في أربعة عشر صوتاً⁽³⁾. بينما جمهور النحاة اضطربت آراؤهم بين إدغامها في ثلاثة عشر صوتاً كسيويه والمبرد⁽⁴⁾. وبين إدغامها في أربعة عشر صوتاً كابن يعيش⁽⁵⁾. ويظهر اختلافهم في إظهار اللام عند مثلها أو إدغامها فيه، والمرجح الإدغام لسكون لام التعريف وتحرك اللام الموالية لها.

وجملة القول أن اللام تدغم في الأصوات اللثوية والصفيرية والأسنانية والأصوات المائعة، لتداني مخارجها ومخرج اللام وفي ذلك جنوح للخفة، وتظهر مع الأصوات الحلقية والشفوية والأصوات التي تخرج من وسط الحنك، ما عدا الشين لتفشيها والضاد التي استطالت، وسبب الإظهار تنافر المخارج.

ومن الأمثلة الواردة في السورة قوله عز وجل: «وَيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ»⁽⁶⁾ وقوله أيضاً: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ»⁽⁷⁾، وقوله: «إِلَّا الشَّيْطَانَ»⁽⁸⁾ وغيرها...

ويحدث هذا التأثير المدبر مع اللام لغير التعريف، كلام (هَلْ وَابِلٌ)، في نحو قولهم: هَتَرَى فِي هَلْ نَرَى، وهتُعين في هل تعين.

(1) ينظر المقتضب: 213/1.

(2) ينظر المتع في التصريف: 691/2.

(3) ينظر الإتحاف: 65.

(4) ينظر الكتاب: 457/4.

(5) ينظر شرح المفصل: 142/10.

(6) سورة الكهف: 2.

(7) سورة الكهف: 9.

(8) سورة الكهف: 63.

وعموماً فإنّ لام "هل" و"بل" تتأثر بالأصوات الإحدى عشر التي تتأثر بها لام التعريف والتي سبق ذكرها لأنّ التقارب في المخرج يحدث ثقلاً، كما أنّ سكون لام "هل" و"بل" شكّل ضعفاً أمام الأصوات المجاورة لها فتأثر هذه اللام بما بعدها وأدغمت فيها. لكن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ تأثر لام "هل وبل" بهذه الأصوات وإدغامها⁽¹⁾ فيها أحسن من غيرها، لأنّ الرّاء مثلاً أقرب الأصوات إلى اللام مخرجاً وأشبهها بها، لكن هذا التأثر يبقى غير عامّ وشامل لأنّ أهل الحجاز، قالوا: هل رأيت بدون إدغام وهي عربية جائزة⁽²⁾.

وبناءً على ما سبق، نلاحظ تأثر اللام في كلمة "بل" بالراء المتواجدة في المقطع الأوّل من الكلمة التّالية، فتقلب راء، كقول الشاعر:

عَافَتْ المَاءَ فِي الشّتَاءِ فَقَلْنَا بَلْ رَدِيهِ تَصَادِفِيهِ سَلْخِينًا

فإنّها تنطق: بَرْدِيهِ وكان ذلك السبب الذي أوقع قطرباً التّحوي المشهور في الخطأ حين زعم أنّ "برد" في كلمات الأضداد، تأتي بمعنى: برّد وسخّن، اعتماداً على هذا البيت، ولم يدر أنّ الرّاء منقلبة عن اللام في "بل"⁽³⁾.

وتتأثر لام "هل" كذلك باللام تأثراً مدبراً كلياً في حالة اتّصال، ومثاله قراءة نافع لقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ لَهِمْ مَوْعِدٌ﴾⁽⁴⁾، حيث أفنيت اللام الأولى في الثانية.

أمّا تأثر لام "هل" و"بل" بالطّاء والتّاء والدّال والصّاد والزّاي والسّين أقلّ شيوعاً وكثرةً من تأثرها بالراء لأنّ الأصوات السّابقة من الثّنايا وليس منهن انحراف ولكن يجوز التأثر ويحدث الإدغام لأنّ آخر مخرج اللام واحد فقط هو مخرج الرّاء والصّاد والزّاي والسّين يفصلها عن مخرج اللام مخرجين اثنين هما مخرج الرّاء ومخرج

(1) ينظر الدرر اللوامع: 100.

(2) ينظر الكتاب: 457/4، والمقتضب: 214/1.

(3) ينظر التطور اللغوي: 42.

(4) سورة الكهف: 58.

الطاء والذال والتاء. وأمّا الطّاء والذال والتاء فيفصلها عن مخرج اللّام ثلاثة مخرج: مخرج الرّاء ومخرج الطّاء والذال والتاء ومخرج الصّاد والزّاي والسّين. وأمّا عن الصّاد والشّين فتأثّرهما بلام "هل وبل" ضعيف مقارنة مع التّأثيرات الحاصلة سابقاً لأنّ الصّاد مخرجها من أوّل حافة اللّسان والشّين من وسطه، ولكن يجوز التّأثير والإدغام بسبب اتّصال مخرجيهما بمخرج اللّام⁽¹⁾.

كما أنّه لا بدّ من الإشارة إلى أنّه على الرّغم من حدوث التّأثير بين اللّام والتّون في (هنّرى) فهم يفضّلون البيان لأنّه أحسن من الإدغام بسبب أنّه أمتنع من أن يدغم في التّون من الأصوات التي أدغمت فيها إلّا اللّام⁽²⁾. ولا شكّ أنّ الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرّضاً للتطوّر اللّغوي من غيرها، فاللّام لكثرة شيوعه في اللّغة العربية طراً عليه ما لم يطرأ على غيره من الأصوات الصّامتة، إذ نلاحظ سرعة تأثّره بما يجاوره من الأصوات وميله إلى الفناء في معظم أصوات اللّغة⁽³⁾.

وقرأ نافع برواية ورش بإدغام (اللّام) من (قُلْ) في الرّاء⁽⁴⁾، في قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾⁽⁵⁾، وثمّ التّأثير التام أيضاً في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾⁽⁶⁾، فالصّوتان: لام في نهاية المقطع ولام ثانية في بداية المقطع متماثلان، أي متّفقين مخرجاً وصفةً. والأولى ساكنة مفرغة من الحركة والثانية متحرّكة، إذن فالمماثلة كلّية وواجبة الحدوث لأنّ الصّوتين المتماثلين في حالة اتّصال إذ لا وجود لفواصل بينهما من الصّوائت.

(1) ينظر الكتاب: 459/4.

(2) ينظر الممتع في التصريف: 694/2.

(3) الأصوات اللّغوية لإبراهيم أنيس: 202.

(4) ينظر الدراسات اللّغوية والنحوية: 48.

(5) سورة الكهف: 22.

(6) سورة الكهف: 1.

وتتأثر الراء في بعض القراءات باللام بعدها، فتقلب لاماً، في نحو قوله تعالى: **﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾**⁽¹⁾ والذي يبرر هذا التأثير الكلي هو "قرب المخرج مع اتحاد في الصفة، لأنّ كلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة، ولا يكاد يسمع للراء حفيف. مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام. وهي من الأصوات التي تتميز بالوضوح السمعي وبذلك تشبه اللام والتون والميم التي تعتبر حلقة وسطى بين الصوائت والصوامت، وكلّ الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصة به الراء⁽²⁾. وإن كان ابن جني ينكر ذلك، إذ قال: "واعلم أنّ الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأنّ إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير، فأما قراءة أبي عمرو (يغفر لكم) بإدغام الراء في اللام فقد وقع عندنا، وغير معروف عندهم، وإتّما هو شيء رواه القراء، ولا قوّة له في القياس"⁽³⁾.

وتتأثر التون بالميم واللام كثيراً لصفاتها المشتركة وقربهم في المخرج، فهي تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، ومن أوضح الأصوات الصامتة في السمع فهي جميعاً ليست انفجارية، وليست رخوة. ومن أمثلة المماثلة الرجعية في حالة اتصال تأثر التون باللام⁽⁴⁾. ومثاله قراءة نافع لقوله عزّ وجلّ: **﴿مِن لَدُنِّي﴾**⁽⁵⁾ بإدغام التون بعد إبدالها لاماً في اللام المتحرّكة ووافقته في هذا الإدغام أغلب القراء⁽⁶⁾، وقرأت بإسكان الدال مع إشمائها الضمّ، وكسر التون والهاء مع وصلها بياء: **لُدْنِي**⁽⁷⁾.

(1) سورة آل عمران: 31، والأحقاف: 31.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 200.

(3) سر الصناعة: 1/193.

(4) ينظر أحكام النون من حيث الإظهار والإخفاء والإدغام: الدرر اللوامع: 108، والإتحاف: 46.

(5) سورة الكهف: 2.

(6) ينظر الكشاف: 2/380، والإتحاف: 363.

(7) ينظر التيسير: 116، وشرح الشاطبية: 269، والبحر: 6، ومعجم القراءات: 3/348.

وقرأت (لَدُنْهِ) باختلاس كسرة التّون⁽¹⁾. وكقوله تعالى: «مِن لَدُنِّي» فقرأت بالإدغام. وقوله أيضاً: «قِيمَا لِنَدِيرٍ»⁽²⁾، وأيضاً: «إِن لَّمْ تَوْمِنُوا»⁽³⁾ وسبب حدوث هذه المماثلة هو القوّة الموقعية في الصّوت المؤثّر، لأنّ اللّام بداية المقطع فهي بذلك صوت قويّ، في حين أنّ التّون تقع في نهاية المقطع، فهي بذلك ستضعف لا محالة، ويظهر تأثرها مع الأدوات التّالية على وجه الخصوص: إمّا - أمّا وإلاّ وممّا، نحو قوله: «إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا»⁽⁴⁾، وقوله أيضاً: «وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ»⁽⁵⁾.

وأما عن تأثر التّون بالميم في السّورة فيكثر أيضاً ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: «وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُمْ»⁽⁶⁾، وقوله: «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ»⁽⁷⁾، وقوله أيضاً: «وَيَسْخَرُ جَاكِزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»⁽⁸⁾، ويجوز إدغام التّون في الميم عند النّحاة أيضاً في مثل: أمّحى، أصلها إن محى⁽⁹⁾. وقد يؤدّي تجاوز صوت التّون مع الرّاء إدغامها، نحو قوله تعالى: «وَأَلْفَنِ رُدَدَاتٍ إِلَى رَبِّي»⁽¹⁰⁾، وتدغم أيضاً مع الواو نحو قوله سبحانه: «مَا لَلَّهِ مِنَ ذُوْدِهِ مِنْ وَاوِيٍّ»⁽¹¹⁾، وتدغم مع الياء في نحو: «إِن يَقُولُونَ»⁽¹²⁾، وتدغم مع التّون بطبيعة الحال

(1) ينظر الكشاف: 380/2، ومعاني القراءات: 264.

(2) سورة الكهف: 2.

(3) سورة الكهف: 6.

(4) سورة الكهف: 5.

(5) سورة الكهف: 16.

(6) سورة الكهف: 17.

(7) سورة الكهف: 19.

(8) سورة الكهف: 82.

(9) ينظر المنصف: 73/1.

(10) سورة الكهف: 36.

(11) سورة الكهف: 26.

(12) سورة الكهف: 5.

في مثل قوله: «لَنْ نَدْعُوا»⁽¹⁾، ولا إشكال في ذلك لالتحاد المخرج وعدم وجود ما يمنع ذلك. وكثيراً ما التقى في القرآن الكريم وفي هذه السورة نونان لسهولة لهما وشيوعهما. كما أثبتت الدراسة الإحصائية التي قمت بها في الفصل الأول.

وكل التشابهات المذكورة، يتلاحق فيها الحرفان المتشابهان في كلمة واحدة ويوجد سواها تشابه بين الكلمتين. والتشابه فيه آخر صوت من الكلمة الأولى مع أول صوت من الكلمة الثانية أشهره إدغام النون الساكنة في آخر الكلمة، تنويناً كانت أو غير تنوين، في الأصوات التالية: ل، ر، م، و، ي. فأمثلته كثيرة في قراءات القرآن الكريم.⁽²⁾

ومن صور هذا النوع من المماثلة ما يحدث في صيغتي (تفعل) و(تفاعل)، حيث تتأثر التاء الموجودة في بداية المقطع، بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصّفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي.⁽³⁾ فقالوا: يسمعون ويذكرون ويَطْوَعُونَ، في: يتسمعون ويتذكرون ويتطوعون، وفي صيغة (تفاعل) قالوا يثاقلون - يساءلون ويذارؤون في يثاقل - يثاقل - يتدارأ. وقد "حدث هذا في اللغة العربية القديمة، وجاء ذلك في القرآن الكريم جنباً إلى جنب مع الصيغة الأخرى، التي لم يحدث فيها تطوّر"⁽⁴⁾. ولعل هذه الظاهرة كانت في سبيل التطوّر في العربية الفصحى عندما جاء الإسلام، ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم. كما قلنا، جنباً إلى جنب مع الصيغة القديمة التي لم يحدث فيها تغيير للأصوات⁽⁵⁾. كقوله تعالى: «لِيَسْأَلُوا أَيُّنَهُمْ»⁽⁶⁾ لم يحدث فيها أي

(1) سورة الكهف: 14.

(2) ينظر التطوّر اللغوي: 31.

(3) ينظر المرجع نفسه: 38.

(4) ينظر المرجع نفسه: 39.

(5) ينظر نفسه: 39.

(6) سورة الكهف: 19.

تأثر، ونجد سبويه يعقب على هذا التأثير الذي يحدث في صيغتي (تفعل) و(تفاعل) بأن البيان فيهما عربي حسن لأنهما متحرّكان أي أنّ تاء الفعل وفائه متحرّكان، لكن مع ذلك يجوز هذا الإدغام⁽¹⁾. لقوله عزّ وجلّ: ﴿اطِيرْنَا بِكَ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿إِنَّا نَطِيرْنَا﴾⁽³⁾.

ويضاف إلى ذلك تأثر الباء الساكنة بالميم التي تأتي بعدها فتبدل ميمًا وتدغم فيها لكون سكون الباء شكلٌ ضَعْفٌ أمام حركة الميم ولما كانت المتحركة مهموسة وفي بداية المقطع جذبت إليها "الباء" الساكنة المجهورة، وحدثت مماثلة رجعية كلية. وفي قوله: ﴿لَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾⁽⁴⁾ لم يحدث التأثر لأنّ الباء متحركة وليست ساكنة. ولو كانت ساكنة لكانت القراءة بهذا الشكل: لَأَقْرَبُ مِنْ ← لأقرمن. ومن هذا التأثير يحدث مع الباء الساكنة عند مجاورتها الفاء في حالة اتصال، نحو: اذْهَبْ فِي ← اذْهَبِي. لكن ثمة اختلاف بين النحاة والقراء في مبدأ إدغام الباء في الفاء، حيث يقرّ سبويه بأنّ هذه الأصوات التي لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها، وهي: الميم والراء والفاء والشين، فالميم لا تدغم في الباء، وذلك نحو: أكرم به، لأنّهم يقلبون التّون ميمًا في قولهم: العنبر فلما وقع مع الباء الصّوت الذين يفرّون إليه من التّون لم يغيروه⁽⁵⁾.

إلا أنّ أحد القراء خالف مذهبه حيث قرأ: ﴿إِنْ نَسَأْخَسِفِ بِهِمْ﴾⁽⁶⁾ بإدغام الفاء في الباء.⁽⁷⁾

(1) ينظر الكتاب: 474/4، ودروس في علم أصوات العربية: 54.

(2) سورة التمل: 27.

(3) سورة يس: 36.

(4) سورة الكهف: 24.

(5) ينظر الكتاب: 447/4.

(6) سورة سبأ: 9.

(7) ينظر التيسير: 146، والكافي: 185، والإنحاف: 458.

ومن الأمثلة التي حدثت فيها المماثلة، تأثر "الثاء" بصوت التاء، نحو قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾⁽¹⁾، لكن نافع قرأها بالإظهار وأدغمه حمزة والكسائي وأبو جعفر⁽²⁾. والسبب في ذلك القوة الذاتية في الصوت المؤثر بحيث أن التاء أقوى صفةً من الثاء، لأنها شديدة انفجارية والثاء رخوة، ويرجع السبب إلى قوة موقعية الصوت المؤثر وهو التاء فهذا الأخير يأتي في بداية المقطع وهي بذلك صوت قوي، والثاء تأتي في نهاية المقطع وأتسمت بالضعف فيه، ونتيجة لذلك أثرت التاء المتحركة في الثاء الساكنة وأبدلتها "تاء" مثلها ثم أدغمت فيها فحدثت بذلك الانسجام والتوافق بين الصوتين المتنافرين وزال ثقل النطق بهما.

وغير بعيد عن هذا الشكل ما حدث مع لفظة (ورقكم) في قوله عز وجل: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾⁽³⁾ تتأثر القاف بالكاف، فتبدل من مثلها وتدغم إدغامًا تامًا، لأن القاف كما ينطق بها الآن، لا فرق بينها وبين الكاف إلا في أن القاف أعمق قليلًا في أقصى الحنك⁽⁴⁾. فقد قرأها نافع بكسر الراء ووافقه الآخرون مع الإظهار، أي اكتفى بمماثلة بين كسرة الراء والقاف، وعن ابن محيظ قرأها بالإدغام، أي إدغام القاف في الكاف إدغامًا كاملاً⁽⁵⁾. وهناك من القراء من أسكنوا الراء: بِوَرِقِكُمْ⁽⁵⁾.

وتتأثر الدال بعشرة أصواتٍ من بينها التاء، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ﴾⁽⁶⁾ قرأت بالإدغام: أَشْهَدْتُمْ، إدغام الدال في التاء بعد إبدالها

(1) سورة الكهف: 19.

(2) ينظر النشر: 16/2، والإنحاف: 364، وأثر القراءات في الأصوات: 139.

(3) سورة الكهف: 19.

(4) ينظر الأصوات اللغوية: 201.

(5) ينظر التيسير: 116، والبحر: 110/6، والكافي: 147، والإنحاف: 365، والمختص: 24/2.

(6) سورة الكهف: 51.

تاءً، وسبب حدوث هذه المماثلة الرجعية، يرجع دائماً إلى قوّة موقعية الصّوت المؤثر وهو التّاء، لأنّها في بداية المقطع فهي بذلك صوتٌ قويٌّ، والدّال واقعٌ في نهاية المقطع، فأثرت فيه التّاء، بالرّغم من أنّ صوت "الدّال" أقوى من التّاء صفةً، لأنّه مجهور والتّاء مهموس لكن القوّة الموقعية غلبت، فحدثت بذلك مماثلة وتحقّق التوافق بين الصّوتين.

ومّا يلاحظ على هذا النوع من التّأثر، أو المماثلة الرجعية الكلية في حالة اتّصال كثيرة الشّيع في السّورة.

6- المماثلة الرجعية الكلية في حالة انفصال: التّأثر المدبر الكلّي في

حالة انفصال، وفي هذا النوع يكون الصّامت الأوّل متبوعاً بحركة فيسقط. نحو قوله تعالى: ﴿لَأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾⁽¹⁾ وتنطق: لأقرمّن هذا، تسقط حركة الباء وتدغم الباء في الميم⁽²⁾. والصّوتان في هذه الحالة متحرّكان، وفيه خلاف بين القراء والنّحاة، فجمهور القراء يقولون بالإظهار، أمّا النّحاة فيجيزون الإدغام ويستحسنونه، لأنّ توالي الحركات مستثقل عندهم بدليل أنّه لا يتوالى خمسة حروف متحرّكة ولا أربعة في كلمة واحدة خاصّةً في الشّعر نظيراً للثقل وهذا مذهب سيبويه⁽³⁾. ونحو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾⁽⁴⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَيُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁽⁵⁾.

كلّ هذه التّماذج يفصل بين أصواتها الصّامته بصائت قصير.

(1) سورة الكهف: 24.

(2) ينظر المدخل إلى علم الأصوات: 80، ودروس في أصوات العربية: 66.

(3) ينظر الكتاب: 437/4.

(4) سورة الكهف: 15.

(5) سورة الكهف: 56.

7- المماثلة الرجعية الجزئية في حالة اتصال: التأثير المدبر الجزئي في

حالة اتصال، وفيها يؤثر الصّوت الثاني على الأوّل فيتحوّل إلى صوتٍ يشبهه في أحد صفاته⁽¹⁾. ففي اللهجات العربية القديمة تتحوّل الصّاد قبل الدّال إلى زاي مثل: يَزْدُقُ في يَصْدُقُ. واتّصال الصّاد بالدّال هنا شرط لتحقيق التّأثير السّابق⁽²⁾.

فلمّا كانت الصّاد ساكنة مهموسة احتكاكية والدّال مجهورة شديدة تأثرت الصّاد السّاكنة لضعفها بالدّال المتحرّكة لقوّتها فأبدلت زايًا، لكن ليست خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق⁽³⁾. كما أنّ الزّاي توافق الصّاد في المخرج كما توافق الدّال في صفة الانفجار (الجهر)⁽⁴⁾. ولم نعثر على مثال في السّورة.

8- المماثلة الرجعية الجزئية المنفصلة: التأثير المدبر الجزئي في حالة

انفصال وفيها يتأثر الصّامت الأوّل بالثاني، لكنّه يكون متبوعًا بحركة، نحو ما جاء في قولهم: بَعِيرٌ ضاحِبٌ وصاحبٌ، فقد أثرت الحاء المهموسة على الصّاد المجهورة تأثيرًا رجعيًا فتحوّلت إلى نظيرها المهموس وهو الصّاد، ومثل ذلك أيضًا قولهم مكّة وبكّة⁽⁵⁾.

ومن أمثلة هذا التّأثير ما جاء في السّورة كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَلْبُهُمْ بِرِاسِطٍ

ذُرَاعَيْنِ بِالْوَعِيدِ﴾⁽⁶⁾، حيث تأثر الصّاد المتحرّك بالصّائت الطّويل بالدّال التي تأتي بعدها رغم وجود فاصل فأبدلت زايًا خالصة وقرأت بالوزيد.

ومن أمثلتها أيضًا: ﴿تُرِيدُ زَيْنَتًا﴾⁽⁷⁾ فقد قرأها أبو عمرو بإدغام الدّال في الزّاي

(1) ينظر المدخل إلى علم الأصوات: 80.

(2) التطور اللغوي: 45.

(3) ينظر الكتاب: 477/4، والخصائص: 144/2.

(4) ينظر دروس في علم الأصوات العربية: 72.

(5) ينظر المدخل إلى علم الأصوات: 80.

(6) سورة الكهف: 18.

(7) سورة الكهف: 28.

بعد إبدالها زائياً، لكن نافع قرأها بالإظهار ويجوز بعض الدارسين إدغامها لأنّ الهواء يتسرّب مع الدال لتصبح احتكاكية، وبهذا تشبه الزاي في المخرج والرخاوة والجره⁽¹⁾.

ومما يلاحظ في قراءة نافع أنّه يؤثر الإظهار⁽²⁾.

*2 صور المماثلة بين الصوائت المتجاورة في السّورة:

لا تقتصر المماثلة على الأصوات الصّامته فقط بل تتعداه إلى الأصوات الصّائتة، وفيما يلي صورها الواردة في السّورة.

1/ المماثلة التّحذيمية الكلّية المتصلة: ومن أمثلة هذا التّأثير إبدال السّاكنة

باطّراد⁽³⁾. ممّا يناسب حركة ما قبلها، فجعلوها ألفاً إذا سبقت بفتح لأنّ الألف من

جنس الفتحه، وواواً إذا سبقت بضمّ، لأنّ الواو من جنس الضمّة، وياءً إذا سبقت

بكسر لأنّ الياء من جنس الكسرة⁽⁴⁾. ومن أمثلة ذلك قوله عزّ وجلّ: «وَيُسِرُّ

المؤمنين»⁽⁵⁾ ويعدّ هذا الإبدال جائزاً في عرف النّحاة وقياساً مطّرداً يقصد إليه

المتكلم قصداً إذا أراد التّخفّف من ثقل الهمزة⁽⁶⁾. في حين أنّهم ذهبوا إلى التّخفيف

من ثقل الهمزة المتحرّكة فأبدلوها ألف مدّ إذا كانت مفتوحة، مفتوحاً ما قبلها

وواواً إذا كانت مضمومة، مضموماً ما قبلها، وياءً إذا كانت مكسورة، مكسوراً

ما قبلها⁽⁷⁾. ويقصد بهمزة بين بين، أي بين الهمزة والصّوت الذي منه حركتها فلن

(1) ينظر الأصوات الغوية: 198.

(2) ينظر في اللهجات العربية: 72.

(3) ينظر الممتع في التصريف: 404/1.

(4) ينظر الأصوات اللغوية: 91.

(5) سورة الكهف: 2.

(6) ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: 97.

(7) ينظر المرجع نفسه: 97.

كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مضمومة فيما بين الهمزة والواو وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء⁽¹⁾.

ومن صور هذه المماثلة التقديمية التي تحدث في الصّوائت قراءة نافع للهمزة الساكنة فقد كان قبلها مدًا يجانس حركة ما قبلها⁽²⁾. فقد قرأ بإبدال الهمزة حرف مدّ من جنس سابقها في الأسماء والأفعال. وكذلك في قوله: «إِن لَّمْ تَوْمِنُوا»⁽³⁾، وقوله عزّ وجلّ: «وَلَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ بَيِّنٌ»⁽⁴⁾، وقوله أيضاً: «وَأَهْرَأَكُمُ عَذْفٌ يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا»⁽⁵⁾. وهذا التآثر لا يحدث في حالة ما إذا كان السكون في الهمزة علامة للجزم أو البناء، لأن إسقاط الهمزة يستدعي وجود حركة طويلة واجبة الحذف للجزم، فيحدث في الموقع⁽⁶⁾.

ومن أمثلة التآثر المقبل الكلّي بين الصّوائت المتجاورة إبدال الألف من النون في حالة الوقف على المنصوب المتوّن غير المقصور، في نحو قولهم: رأيت زيداً في رأيت زيداً، بحيث أبدلوا "الألف" من تنوين النصب لأنّ قبل التنوين يوجد فتحة فيحدث التماثل⁽⁷⁾.

2/ المماثلة التقديمية الكلية المنفصلة: ومن أمثلة هذا النوع تآثر حركة الضمّ في ضمير النصب والجرّ الغائب المفرد المذكّر (هُ) والجمع المذكّر (هُم) والجمع المؤنث (هُنّ) والمثنى (هُمَا)، بما قبلها بمن كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء فتقلب الضمّة كسرة، مثل: بِرِجْلِهِ تَقْلِبُ بِرِجْلِهِ، فِيهِ - فِيهِ. ويبدو في المثال الأوّل أنّ

(1) ينظر سر الصناعة: 48/1.

(2) ينظر الإتحاف: 75، والكافي: 48، وشرح الشاطبية: 83.

(3) سورة الكهف: 6.

(4) سورة الكهف: 15.

(5) سورة الكهف: 10.

(6) ينظر أثر القراءات القرآنية في الأصوات: 169.

(7) ينظر الكتاب: 168/4، والمقتضب: 61/1.

كسرة اللام أثرت في ضمة الهاء، أمّا المثال الثاني تأثرت الياء الساكنة في ضمة الهاء رغم أن الهاء فاصل بين الياء الساكنة وكسرة الهاء، فأصبحت ضمة الهاء كسرة⁽¹⁾.

ومن صور هذه المماثلة بين الصّوائت في قراءة نافع لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أُتْسَانِي﴾⁽²⁾ بكسر الهاء، لتأثرها بالكسرة الطويلة قبلها⁽³⁾. لكنّ الحجازيين يضمّون مطلقاً، فيقولون ضربتُه ومررتُ به⁽⁴⁾.

3/ المماثلة التقدمية الجزئية المتصلة: لم أصادف أمثلة عند النحاة القدامى، أمثال سيبويه والمبرد وابن جنّي، حدث فيها تأثر مقبل جزئي في حالة اتصال الحركات.

أمّا القارئ نافع فقد أمال بعض الأسماء المؤنثة على وزن "فعلَى" بضمّ الفاء وفتحها وكسرهما، من أمثلة ذلك: الدّنيا، بشرى، وموتى وإحدى⁽⁵⁾.

ومن أمثله الواردة في السّورة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽⁶⁾ وقوله أيضاً: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾⁽⁷⁾.

ووافق في هذه الإمالة حمزة والكسائي وأبو عمرو⁽⁸⁾. والذي حدث في هذه الأمثلة أنّهم نحووا بالألف نحو الياء، لأنّ الألف والياء وإن تقاربا وصفاً فقد تباينا من حيث أنّ الألف من حروف الحلق والياء من حروف الفم فقاربوا بينهما⁽⁹⁾.

(1) ينظر بحوث ومقالات في اللغة: 84، والتطور اللغوي: 34، ودروس في علم الأصوات العربية: 146.

(2) سورة الكهف: 63.

(3) ينظر التطور اللغوي: 35.

(4) ينظر التطور اللغوي: 35، وينظر إمالة هاء الضمير في معاني القرآن للفراء: 5/1.

(5) ينظر الدراسات النحوية واللغوية: 52.

(6) سورة الكهف: 104.

(7) سورة الكهف: 88.

(8) ينظر الإتقان في علوم القرآن: 93.

(9) ينظر شرح المفصل: 54/9.

أورد النحاة واللغويون والقراء أمثلة عديدة ينطبق عليها هذا الشكل من التأثير في "باب الإمالة". والإمالة ما هي إلا نوع من المماثلة التي تؤدي إلى الانسجام بين الأصوات اللينة. وهذه الظاهرة موجودة في كثير من لغات العالم ومنها العربية⁽¹⁾. وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت⁽²⁾. وللإمالة ستة أسباب أولها: الكسرة إذا كانت قبل الألف، مثل: كِتَاب، عِمَاد أو بعدها في نحو: عالم ومساجد. وثانيها: الياء إذا كانت قبل الألف مثل شيان، وثالثها: الألف المنقلبة عن الياء في مثل: سَعَى. ورابعها: الألف التي بمرتلة المنقلبة عن الياء في مثل: حبلَى، وخامسها: الألف التي يكسر ما قبلها في بعض الأحوال في مثل: خاف، وسادسها: الإمالة للإمالة نحو: رأيتُ عماداً، فتمتال فتحة الدال لإمالة ما قبلها⁽³⁾.

وتمنع الإمالة إذا سبقت الألف بأحد أصوات الاستعلاء مفتوحة كانت أو مضمومة، وتجاوز إذا كانت مكسورة قبل الألف لا بعدها. وكذلك تمنع الإمالة، إذا وقعت الراء مضمومة أو مفتوحة قبل الألف أو بعدها بينما تجاوز إذا وقعت قبل الألف "راء" مفتوحة وبعدها راء مكسورة فغلبت المكسورة المفتوحة لأن الإمالة تجاوز إذا وقعت بعد الألف راء مكسورة⁽⁴⁾. ولاشك في أن الانتقال من الكسرة إلى الفتحة يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت الصوائت بعضها من بعض بل أن تصبح مشابهة لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة⁽⁵⁾.

(1) ينظر الدراسات النحوية واللغوية: 49.

(2) ينظر الكتاب: 117/4.

(3) ينظر التكملة: 223، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 207.

(4) ينظر التكملة: 224.

(5) ينظر الدراسات اللغوية والنحوية: 51.

ولا بأس من شرح الإمالة والفتح كما يراهما المحدثون من علماء الأصوات اللغوية. فالفتح والإمالة صوتان من الأصوات الصائتة، سواءً كانا قصيرين أو طويلين، وأصوات اللين القصيرة سمّيتها في البحث بالصّوائت. وسمّتها القدماء: الحركات، أمّا أصوات اللين الطويلة كانوا يسمونها بألف المدّ وياء المدّ وواو المدّ. ولا فرق بين الصّوائت الطويلة والقصيرة إلا في الكميّة⁽¹⁾. فمخرج الفتحة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ألف المدّ ووضع اللسان معه، وكذلك الكسرة وياء المدّ متماتلان في المخرج ووضع اللسان⁽²⁾. فلا فرق أن تمال الفتحة، أو تمال ألف المدّ، لأنّ العملية العضوية في الحالتين واحدة. فاللسان مع الفتح يكاد يكون مستويًا في قاع الفم، فإذا أخذ في الصّعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذٍ ذلك الوضع الذي يسمّى الإمالة، وأقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذي يسمّى عادةً بالكسرة، طويلة كانت أم قصيرة⁽³⁾. فهناك إذاً مراحلٌ بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة وإمالة شديدة⁽⁴⁾. ونلاحظ أنّ الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلاّ اختلافًا في وضع اللسان مع كلٍّ منهما، حين النطق بهذين الصّوتين واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح⁽⁵⁾. والواضح أنّ الفتح والإمالة لغتان فصيحتان نزل بهما القرآن والفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامّة أهل نجد⁽⁶⁾. والإمالة أقوى في الفعل منها في الإسم لتمكّنها في التصريف⁽⁷⁾.

(1) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 201، والكلام إنتاجه وتحليله: 77-80.

(2) ينظر دراسة الصّوت اللغوي: 126.

(3) ينظر في اللهجات العربية: 64.

(4) ينظر الدراسات اللغوية والنحوية في مصر: 49، والدرر اللوامع: 115.

(5) ينظر في اللهجات العربية: 65.

(6) ينظر الإتحاف: 102.

(7) ينظر التيسير: 45، والكافي: 60، والدرر اللوامع: 114، وشرح الشاطبية: 119.

والقرّاء مع الإمالة ثلاثة أصناف: صنف تكثر في قراءته الإمالة مثل حمزة والكسائي،
وصنف يكثر في قراءته الفتح، وخير مثالٍ لذلك عبد الله ابن كثير، وصنف توسّط
بينهما، وخير مثالٍ لذلك هو ورش عن نافع⁽¹⁾. وما يهمننا هنا الإمالة في قراءة نافع.
ومن أمثلة هذا النوع ممن التّأثر إمالة الألف نحو الياء إذا سبقت بكسرة مثل
قراءة نافع لقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدَهُ الْكِتَابَ﴾⁽²⁾ ووافقه في هذه الإمالة
أشهر القرّاء⁽³⁾. حيث أثرت كسرة الكاف في الألف رغم وجود فاصل بينهما.

5/ المماثلة الرجعية الكلية المتصلة: التّأثر المدبر الكلّي في حالة اتّصال،
تحدث هذه المماثلة بين الصّوات القصار والطّوال، فعندما يكون الصّوت المؤثّر هو
"الواو" أو "الياء" والمتأثّر هو الواو أو الياء نحو تأثير الياء على الواو الساكنة
السّابقة، فتتحوّل إلى ياء. نحو: شوِي ← شيّ.

وعندما يكون الصّوت الثّاني المؤثّر صائت (قصير) والمتأثّر صوت الواو أو
الياء، مثل تأثير الكسرة على الياء السّابقة لها فينتج كسرة طويلة، وتنتقل هذه
الحركة إلى السّاكن قبلها، نحو: يَسِيرُ أصلها يَسِيرُ.

وتؤثّر الكسرة على الواو السّابقة لها فتحوّل إلى ياء، ثمّ تتحوّل الكسرة والياء
إلى كسرة طويلة، فتنتقل إلى السّاكن قبلها نحو: مُقُولٌ ← مُقِيلٌ.
تؤثّر الضمّة على الواو السّابقة لها، فنتج ضمّة طويلة وتنتقل إلى السّاكن
قبلها. نحو يَقُولُ أصلها: يَقُولُ ← يقول.

وتؤثّر الضمّة الطّويلة على الواو السّابقة لها فتسقط وتنتقل الضمّة الطّويلة إلى
السّاكن قبلها، نحو: مَصُونٌ ← مصون.⁽⁴⁾

(1) ينظر الكافي: 60، والإتحاف: 103.

(2) سورة الكهف: 1.

(3) ينظر الإتقان في علوم القرآن: 13.

(4) ينظر المدخل إلى علم الأصوات: 79-80.

ومن أمثلتها قولهم: قَوْل: قَالَ، حيث تأثرت الواو المفتوحة بالفتحة التي قبلها فقلبت ألفاً لتمائل الفتحة والألف⁽¹⁾. ومن أمثلتها في السّورة قوله عزّ وجلّ: ﴿يُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾⁽²⁾ والأصل فيها: قَوْلُوا. وينضاف إلى هذا التّأثر نوع إذا كانت فيه أحد حروف الحلق لاماً للفعل أو عيناً وإنهم يفتحونها في صيغة الفعل المضارع: (يَفْعَلُ) مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْفِعْلِ الْمَاضِي عَلَى وَزْنِ (فَعَلَ) أَنْ يَجِيءَ مُسْتَقْبَلَهُ عَلَى وَزْنِ: يَفْعَلُ أَوْ يَفْعُلُ. مثل: سَأَلَ = يَسْأَلُ، والسبب في حدوث هذه المماثلة أنّهم كرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها حروف الحلق بحركة ما ارتفع من حروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو (الألف) لأنّ الحركات مأخوذة من الحروف فالضمة مأخوذة من الواو التي مخرجها من بين الشفتين والكسرة مأخوذة من الياء التي بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى، فإذا كانت حروف الحلق عينات أو لامات استقلوا أن يضمّوا أو يكسروا ففتحوا وتخلّصوا بهذا من تلك المشقة وحقّقوا الاستخفاف⁽³⁾.

فحدث فيما سقناه من مثال: مماثلة رجعية تامة في حالة اتّصال بين فتحة عين المضارعة وجنس صوت الحلق، وإلى مثل هذا ذهب ابن جني عندما تحدّث عن تقريب الصّوت من الصّوت مع أصوات الحلق في باب الإدغام الأصغر⁽⁴⁾. وقد ورد الفعل: سأل، يسأل في صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾⁽⁵⁾.

6/ المماثلة الرجعية الكلية المنفصلة: ومن أمثلة هذا التّأثر إتياع الكسرة

(1) ينظر المدخل إلى علم الأصوات: 80.

(2) سورة الكهف: 4.

(3) ينظر الكتاب: 101/4-102.

(4) ينظر الخصائص: 143/2.

(5) سورة الكهف: 70.

بالكسرة فقالوا في: مُتْنِن - مُتْنِن (1). وقالوا في: مَنخِر - مَنخِر حيث تتأثر في المثال الأول ضمة "الميم" بكسرة "التاء" لوجود فاصلٍ غير حصينٍ بينهما وهو النون الساكنة فقلبت كسرة مثلها، وأمّا المثال الثاني فتأثرت فتحة الميم بكسرة الخاء فقلبت كسرة مثلها للتخفيف والانسجام. ومن ذلك قولهم أيضاً: أُجِيئكَ : أُجُوكَ. فقلبت كسرة الجيم ضمة لمائلة ومشابهة كسرة الهمزة.

ومن هذا النوع من التأثير إمالة كل ألف سواء كانت أصلية أم زائدة بعدها راء متطرّفة مجرورة. نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ جَعَلْنَا لَمْرَأَ﴾ (2). "وقد روى الأزرق عن ورش عن نافع تقليل الإمالة" (3) أي التوسّط بين الفتح والإمالة. وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمُ الْأُمْرَاءُ﴾ (4)، فقد أثرت كسرة الراء المتطرّفة بعد الألف على فتحة الميم، وقرأت بالإمالة (5). ولهذا التأثير ما يسوّغه من الناحية الصوتية فالراء تشترك مع الياء صفةً في كونهما صوتين متوسطين (6) حتى أن الألثغ يجعل الراء أحياناً ياءً (7).

7/ المماثلة الربعية الجزئية المتصلة :

إنّ الفعل المبني للمجهول وزنه "فَعِل" فتضمّ فاؤه وتكسر "عينه" مثل: قَوْلٍ وَيُبِيعُ فتستقل الكسرة في الياء والواو، فمنهم من يسكّن "الواو" فتصبح: قَوْلٍ وَيُسكّن "الياء" فتصبح يُبِيع فتصبح ساكنة بعد ضمة، فتقلب واواً فتصير بُوعَ. ومنهم من يثقل كسرة "العين"، فيقلبها إلى "الفاء"، فتصير: يُبِيع وقَوْلٍ. فتستقل الواو الساكنة بعد الكسرة فتتأثر وتثقلب "ياءً" وتصبح: قِيلَ. ويشمّون "فاء" الفعل ضمة بعد نقل

(1) ينظر الكتاب: 109/4، والخصائص: 142/2.

(2) سورة الكهف: 96.

(3) التوضيح لرواية ورش عن نافع: 155.

(4) سورة الكهف: 22.

(5) ينظر الإتحاف: 113، والتيسير: 49.

(6) ينظر المقتضب: 196/1.

(7) ينظر الكتاب: 268/2.

الكسرة إليها للتدليل أن "الفاء" مضمومة في الأصل، فتضم الشفتين ثم ينطق بالفعل، ولا يجب التلفظ بشيء من الضمة ولو لفظ بشيء من الضمة لكان رومًا لا إشمًا⁽¹⁾.

والإشمام ظاهرة صوتية تقع في الصوائت والصوامت، وفي الأول هي الإشلاة بالشفتين إلى الحركة بعد التسكين من غير تصويت يسمع أو هي منح الحركة صفة حركة أخرى، أو بمعنى آخر إشراب الحركة بعضًا من منابع إخراجها⁽²⁾.

وأما الإشمام في الصوامت، فهو أن تشرب الصوت بعضًا من صفة الصوت الآخر باختلاف الدرجات، نحو إشمام الصاد صوت الزاي، في قراءة قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽³⁾.

والإشمام هو الروم عند اللغويين، يقول ابن منظور: "والإشمام روم الحرف الساكن بحركة خفيفة لا يعتد بها ولا تكسر وزنًا"⁽⁴⁾.

ويذهب بعض القراء إلى التفريق بين الإشمام والروم، فالروم عندهم صوت الحركة الذي لا يسمع، لأنه روم الحركة من غير بيان له⁽⁵⁾، وفي عرفهم يكون الروم في الرفع والضم والخفض والكسر ولا يستعملونه في النصب والفتح لخفتها⁽⁶⁾.

وأما الإشمام "عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت"، وقال بعضهم أن تجعل شفتيك على صورة الضمة إذا لفظت بها وكلاهما واحد⁽⁷⁾.

(1) ينظر الكتاب: 168/4-169 والخصائص: 144/2.

(2) ينظر الأصوات اللغوية: 312.

(3) الفاتحة: 6.

(4) اللسان مادة (شَمَم).

(5) النشر: 121/2.

(6) ينظر الإنحاف: 135.

(7) ينظر النشر: 121/2.

وتتأثر الراء في بعض القراءات باللام بعدها، فتقلب لأمًا، في نحو قوله تعالى: **﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾** ⁽¹⁾ والذي يبرر هذا التأثير الكلي هو "قرب المخرج مع اتحاد في الصفة، لأن كلا منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة، ولا يكاد يسمع للراء حفيف. مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام. وهي من الأصوات التي تتميز بالوضوح السمعي وبذلك تشبه اللام والتون والميم التي تعبر حلقة وسطى بين الصوائت والصوامت، وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصة به الراء ⁽²⁾. وإن كان ابن جني ينكر ذلك، إذ قال: "واعلم أن الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير، فأما قراءة أبي عمرو (يغفر لكم) بإدغام الراء في اللام فقد وقع عندنا، وغير معروف عندهم، وإنما هو شيء رواه القراء، ولا قوة له في القياس" ⁽³⁾.

وتتأثر النون بالميم واللام كثيراً لصفاهما المشتركة وقرهم في المخرج، فهي تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، ومن أوضح الأصوات الصامته في السمع فهي جميعاً ليست انفجارية، وليست رخوة. ومن أمثلة المماثلة الرجعية في حالة اتصال تأثر النون باللام ⁽⁴⁾. ومثاله قراءة نافع لقوله عز وجل: **﴿مِن لَدُنِّي﴾** ⁽⁵⁾ بإدغام النون بعد إبدالها لأمًا في اللام المتحركة ووافقه في هذا الإدغام أغلب القراء ⁽⁶⁾، وقرأت بإسكان الدال مع إشمائها الضم، وكسر النون والهاء مع وصلها بياء: **لُدْنِي** ⁽⁷⁾.

(1) سورة آل عمران: 31، والأحقاف: 31.

(2) ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 200.

(3) سر الصناعة: 1/193.

(4) ينظر أحكام النون من حيث الإظهار والإخفاء والإدغام: الدرر اللوامع: 108، والإتحاف: 46.

(5) سورة الكهف: 2.

(6) ينظر الكشف: 2/380، والإتحاف: 363.

(7) ينظر التيسير: 116، وشرح الشاطبية: 269، والبحر: 6، ومعجم القراءات: 3/348.

والذي يسجل أن مردّ ذلك إلى درجات الإظهار الصّوتي المصاحبة لعملية التحقيق الذاتي. وللتفريق خطأً بين الإشمام والرّوم، اصطلاح علماء القراءات والمجودين على رموز يتبعون مجرياتها. قال سيوييه: "النقطة للإشمام، لأنّ الإشمام أضعف من الرّوم، فجعل للإشمام نقطة وللرّوم خطأً، لأنّ النقطة أنقص من الخط"⁽¹⁾. وبناءً على ما سبق فإنّ ظاهرة الرّوم عند غالبية القراء النطق بجزءٍ من الحركة مدرك بالسمع، والإشمام الإشارة والتهيؤ الشفوي دون الإسماع.

8/ المماثلة الرجعية الجزئية المنفصلة:

يعتمد هذا النوع في التأثير على إشمام الضمة شيئاً من الكسرة في "الرّاء"، مثل ابن بور، ومررت بمدعور⁽²⁾، فتأثرت هنا ضمة "الباء" في "بور" بكسرة "الرّاء" مع وجود فاصل غير حصين وهو "الواو" الساكنة فأشمت الضمة شيئاً من الكسرة. كما يعتمد أيضاً على ما أورده سيوييه من أمثلة ينطبق عليها هذا الشكل من التأثير فقد أمالوا "الألف" في عالم مساجد، وعذافر، للكسرة التي بعدها، وإمالة الألف نحو الياء، في مثل سعى وقضى، لأنّ الألف منقلبة عن "الياء" فالأصل: سَعَى وقَضَى⁽³⁾. ومن صورها في السّورة قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ مُّفْسِكٌ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾⁽⁴⁾ وقوله أيضاً: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾⁽⁵⁾، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمََ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾⁽⁶⁾، فقد أثرت في الأمثلة السابقة كسرة الفاء في فتحة الكاف قبلها فنحوا بها نحو الكسرة وأمالوا الألف نحو الياء.

(1) الكتاب: 169/4.

(2) ينظر الكتاب: 143/4، والخصائص: 144/2.

(3) ينظر الكتاب: 143/4، والخصائص: 141/2.

(4) الكهف: 6.

(5) الكهف: 100.

(6) الكهف: 102.

صور المخالفة الصوتية في السورة :

-المخالفة: (dissimilation)

المخالفة سبب من أسباب حدوث الإبدال، وضربٌ من ضربويه، وهي مصطلح أطلقه علماء اللغة المحدثون على ما سماه القدماء "بإبدال أحد الحرفين المثليين إذا اجتمعا"⁽¹⁾ و"بكراهية اجتماع المتجانسين"⁽²⁾، لكن رغم هذا الاختلاف في التسميات بين القدماء والمحدثون يبقى المعنى واحد بينهما، وإن كان المصطلح الحديث أكثر دقة ووضوحاً، والمخالفة لغة من خَلَفَ. والخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة في اللغة العربية، أحدهما: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف قدام، والثالث: التغيير⁽³⁾. والخلف كذلك يجيء بمعنى البذل⁽⁴⁾.

أما اصطلاحاً فهي دعوة صوتين متماثلين إلى التخالف والتباعد قصد تخفيف النطق وتمهيله، لأنّ النطق بالمتماثلين ثقيل، وغالباً ما يخالف بالصّوائت الطّوال والصّوامت المانعة (ل، ر، م، ن)⁽⁵⁾.

فقانون المخالفة إذا يقتضيه اجتماع المثليين لثقل النطق بهما معاً، خاصّة إذا كان الصّوت الأوّل متحرّكاً، والثّاني ساكناً فيعمدون إلى إبدال أحدهما من باب الاستخفاف، وكراهية التّضعيف، فإمّا أن يخالف بصوت من أصوات العلة ممّا يدفع إلى القول من أنّ المخالفة مظهر من مظاهر الإعلال. وإمّا أن يخالف بالأصوات الصّحيحة السّهلة النطق كالأصوات المائعة.

(1) ينظر أدب الكاتب لابن قتيبة: 376، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة-لبنان.

(2) شرح المفصل: 153/10.

(3) ينظر مقاييس اللغة مادة (خلف).

(4) ينظر اللسان مادة (خلف).

(5) ينظر التطور اللغوي: 57، والأصوات اللغوية: 212.

وبصيغة أخرى نجد المخالفة ضدّ المماثلة، أمّا القانون الذي يحكمها فيعمد إلى التخفيف من التّطق بالصّوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلّب مجهوداً⁽¹⁾. فلا بدّ في هذه الحالة من التصرّف في أحد المتماثلين المتماثلين أو المتقاربين لإزالة ثقل لفظ التّماثل أو تعذره، فهي بذلك تعاكس الضّرب الأوّل الذي تحدثنا عليه أعلاه، أي أنّ المماثلة تنحو إلى الاتّصال أو بمعنى آخر إلى تقريب الأصوات المتنافرة أو المتباعدة بعضها من بعض، في حين أنّ هذه الظّاهرة تنحو إلى الانفصال والمباعدة بين الأصوات المتماثلة.

وقد يبدو في الأمر بعضٌ من التّناقض، إذا كيف يكون النزوح نحو التّماثل استخفافاً ثمّ يكون الهروب من التّماثل استخفافاً أيضاً؟ والحقّ أنّه لا تناقض في هذا الأمر، إذ أنّ ثمة نوعين مختلفين من الاستثقال أحدهما ناتج من تأليف الأصوات المتنافرة أو المتباعدة مخرجاً أو صفة، والثاني ناتج عن تكرار الصّوت نفسه مرّة أو أكثر، وتختلف درجة الثقل في كلّ نوع وقد عاجت اللّغة العربية كلّ نوع من التّوعين بشكلٍ يناسب درجة ثقله، ولعلّه من الواضح أنّ اجتماع الأصوات المتنافرة أكثر استثقلاً من اجتماع الأمثال، ولهذا فقد تصرّفت اللّغة في كلّ حالات التّلفر، في حين أنّها لم تتصرف إلّا في بعض صور التّماثل، "يتّضح ذلك إذا قارنا مظاهر الإبدال التي حدثت لتقريب الأصوات بتلك التي حدثت لمخالفتها، إذ نرى أنّ أغلب مظاهر التّقريب لازمة وواجبة، ولم يتكلّم في الأصل المبدل منه في أكثرها، في حين أنّ مظاهر المخالفة أكثرها جازت بوقليل منها واجب ولازم"⁽²⁾.

وينعتها بعض اللّغويون "بالقوّة السّالبة في الميدان اللّغوي، لأنّها تترج إلى

تخفيض حدّة الخلافات بين الأصوات"⁽³⁾.

(1) ينظر بحوث ومقالات في اللّغة: 55.

(2) ينظر الإبدال في اللّغة العربية لمولاي عبد الحفيظ طالي: 305 (رسالة ماجستير).

(3) ينظر دراسة الصوت اللّغوي: 330، والصوتيات: 120.

ويؤكد بعضهم أيضاً أن أكثر اللغات تعتمد تحقيق ظاهرة المخالفة في الأصوات الأنفية والترددية، تيسيراً للنطق وتحقيقاً لحالة الانسجام في التيار الكلامي، ويمكن في ضوء هذه الظاهرة تفسير الكثير من عوامل الإبدال والإعلال التي تطفوا على سطوح بعض الوحدات اللغوية⁽¹⁾.

ويعلل بعض الدارسين حركة ظاهري المماثلة والمخالفة في التطور اللغوي بقوله أن المماثلة: "تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق ولا تلقي بالأل إلى الجانب الدلالي الذي قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين. أما المخالفة فينظر إليها عكس ذلك، مع أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات، ولا تلقي بالأل إلى العامل النطقي الذي يتأثر نتيجة تباعد أو تحالف الصوتين"⁽²⁾.

ويعرفها إبراهيم أنيس بقوله: "...وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين، وقد دلت البحوث التي قام بها علماء الأصوات، أن ظاهرة المخالفة قد شاعت في كثير من اللغات السامية"⁽³⁾. ومما يلفت الانتباه أن ظاهرة المخالفة نادرة بالنسبة للمماثلة⁽⁴⁾. وبالفعل فإننا لم نجد صوراً كثيرة للمخالفة في السورة. ومما تجدر الإشارة إليه أن القدماء لاحظوها في العربية حيث أوردوها سيبويه في باب ما شذ فأبدل مكان اللام ياءً كراهية التضعيف وليس مطرد، ومثل لها بقولهم: تسرّيتُ وتظنّيتُ وتقصّيتُ، وأصلها تسرّرتُ وتظنّنتُ وتقصّصتُ⁽⁵⁾.

(1) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الحليل: 291.

(2) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 231.

(3) ينظر الأصوات اللغوية: 211.

(4) ينظر التطور النحوي: 35، ودراسة الصوت اللغوي: 230.

(5) ينظر الكتاب: 4/424.

ويذكر المبرّد أنّ التّضعيف مستقلّ لحركة اللّسان في عملية الرّفْع والعودة وقد ضرب لنا أمثلة في ذلك: أَمَلَيْتُ وَأَمَلَلْتُ وَتَسَرَّيْتُ فِي تَسَرَّرْتُ، إذ يقول: "والدليل على هذا إنّما أبدل لاستثقال التّضعيف قولك: "دينار وقرّاط، والأصل دنّار وقرّاط، فأبدلت الياء للكسرة فلمّا فرّقت بين المضاعفين رجع الأصل، فقلت: دنانير وقراريط وقريريط⁽¹⁾.

ونبه ابن جني أيضاً على استثقالهم المثليين حتّى قلبوا أحدهما في نحو: أَمَلَيْتَ وَأَصْلُهَا أَمَلَلْتُ، وقولهم: "لا وريّك لا أفعل" يريدون: لا وربّك لا أفعل⁽²⁾. وقولهم في أمّا: أَيْمًا، وقراه بعضهم: أَيْلا ولا ذمّة في إلا ولا ذمّة⁽³⁾. وفي التّثريب الحكيم نقراً: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُتُّنِي﴾⁽⁴⁾ والأصل يتمطّط. يقال: تمطّى فلان، أي تبختر.

والقدماء على هذا النّحو استثقلوا التّضعيف ورأوا في تحقيقه جهداً كثيراً فمالوا إلى إبدال الصّوت المضعّف بأحد الأصوات الصّائتة لسهولة تسهيلها ويسرها في التّخفيف.

ومن أمثلتها أيضاً تشعّر - شنغير^(*)، وتحدّس - تحندس^(*) اللّيل، والرّس، الرّمس^(*) والعبّاس - العنباس^(*)⁽⁵⁾. والمخالفة لا تكاد تتمّ إلاّ حين يتجاوز صوتان من أصوات الإطباق، أو الأصوات الرّخوة على أنّ المخالفة قد تكون في النّادر من

(1) ينظر المقتضب: 246/1.

(2) ينظر الخصائص: 231/2.

(3) ينظر المصدر نفسه: 65/2.

(4) سورة القيامة: 33.

(*) الشنغير: السّيء الخلق.

(*) تحندس الليل إذا أظلم.

(*) الرمس: الدفن.

(*) والعبّاس والأسد.

(5) ينظر الأصوات اللغوية: 214.

الأحيان، بين الأصوات الشديدة الانفجارية، إَجَار التي روي فيها إِنْجَار وكذلك إَجَاص التي روي فيها أيضاً: انْجَاص⁽¹⁾.

ومن أمثلة المخالفة في العربية أيضاً: قيراط ودينار بدلاً من قرّاط ودنّار والدليل على ذلك الجمع "قراريط ودنانير، ومن أمثلتها كذلك قوهم: خَبَجُوا⁽²⁾ بدلاً من خَبَّوا بثلاث باءات فأبدلوا من الباء الوسطى خاءً ليفرقوا بين فَعَلَ وفَعَّل⁽³⁾.

وقد اضطرّ الصّرفيون أيضاً إلى إقحام قانون المخالفة في بعض الكلمات وهي: وَوَاصِل ووَاق وَوَلِي، فقاموا بقلب الواو همزة إذا تصدّرت قبل واو المتحرّكة مطلقاً، أو ساكنة متأصلة الواوية. فقالوا فيها: أواصل وأواق وأولى⁽⁴⁾.

ومن المخالفة ما يحدث بين (الحركات) الصّوائت، كالمخالفة بين حركتي الفتح المتتالين إذا كانت الأولى منها طويلة، فتتحول الثانية إلى كسرة مثل: أَحُوذِيَّين، فالأصل في نون المثني هو الفتح، والدليل على فتحها أنّها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكّر، وكذا في بعض الأمثلة التي بقيت على أصلها القديم، وهي ما يسمّيه أحد الدارسين المحدثين بالركام اللغوي مثل: شتّان⁽⁵⁾ وهو تننية شتّ والشتّ = المتفرّق⁽⁶⁾. ومن المخالفة الصّوتية كذلك ما يصطلح عليه بالمخالفة الكميّة بين المقاطع الصّوتية فيقال "فِيهِ" بدلاً من "فِيهِ" و"مِنَهُ" بدلاً من "مِنَهُ"⁽⁷⁾. فالصّورة الأولى: (ص ح ح+ص ح) والثانية (ص ح ح+ص ح ح).

(1) ينظر الأصوات اللغوية: 215.

(2) ينظر اللسان مادة (خب): تَخَيَّبَ الحَرَّ سَكَنَ بعد فورته وخبجوا عنكم من الظهيرة أبردوا.

(3) ينظر التطور اللغوي: 63.

(4) ينظر المرجع نفسه: 63.

(5) ينظر المرجع نفسه: 66.

(6) ينظر اللسان مادة (شتّ).

(7) ينظر التطور اللغوي: 67.

وأما الصّورة الثانية فهي: (ص ح ص + ص ح) و (ص ح ص + ص ح ح).
 والمخالفة تقدّمية رجعية ويقصد بالتقدّمية وجود صوتين متشابهين، ثمّ يؤثّر
 الصّوت الأوّل على الثاني، فيكون الصّوت الأوّل هو المؤثّر، ويقصد بالرجعية
 وجود صوتين متشابهين ثمّ يؤثّر الصّوت الأوّل على الثاني، فيكون الصّوت الأوّل
 هو المؤثّر، ويقصد بالتقدمية وجود صوتان متشابهان ثمّ يؤثّر الصّوت الثاني على
 الصّوت الأوّل. وتنقسم المخالفة التّقدمية أو الرجعية إلى متّصلة، أي لا يتبع
 الصّوت الأوّل بحركة، ومنفصلة أي يتبع الصّوت الأوّل بحركة⁽¹⁾.

الإبدال :

هنالك ظواهر صوتية تركيبية عديدة تعتري الصّوت اللّغوي، حيث مجاورته
 أو إئتلافه مع غيره في سياقٍ ما، وظاهرة الإبدال عجتّ بها كتب اللّغة القديمة، لأنّ
 "من سنن العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مكان بعض"⁽²⁾. والإبدال من
 حيث اللّغة من أبدال الشّيء من الشّيء، وبدلّه أي اتّخذ منه بدلاً، وأبدل الشّيء
 بغيره... والأصل في الإبدال جعل شيء مكان آخر⁽³⁾. أمّا دلالة الاصطلاحية عند
 اللّغويين فهي وضع صوتٍ مكان صوتٍ آخر، أو كما أشار ابن يعيش إلى هذا
 فقال: "الإبدال هو أن تقيم حرفاً مقام حرفٍ إمّا ضرورةً وإمّا استحساناً"⁽⁴⁾.
 وهو ضربين صرفي ولغوي، يقول أحد اللّغويين: "إبدال الحروف على ضربين:
 أحدهما بَدَل حرفٍ من حرفٍ لأجل الإدغام، الآخر بدل حرفٍ من حرفٍ لغير
 الإدغام، فبدل الإدغام كإبدالك من الباء الميم في قولك: اصحب مطراً، وكذلك

(1) ينظر المدخل إلى علم اللّغة: 82. والتطور النحوي: 34.

(2) فقه اللّغة للتعالّي: 452

(3) ينظر اللسان مادّة (بدل)، والإبدال بالكسر التبادل، ينظر الإبدال والمعاقبة والنظائر: 1.

(4) شرح المفصل: 7/10.

الصّاد من الزاي، في أوجز صابراً، وهكذا في الإدغام⁽¹⁾.

أمّا المعنى اللّغوي للإبدال الصّرفي فهو إقامة "حرفٍ مقامِ حرفٍ آخرٍ في موضعه، إمّا ضرورةً وإمّا استحساناً أو صنعةً"⁽²⁾ بغير تسهيل اللفظ أو الوصول به إلى الهيئة التي يشيع مجيئه عليها، نحو: قامَ التي تنحدر من الأصل: قوام. وقد كان هذا الضّرب من الإبدال محطّ اهتمام الصّرفيين والنّحاة. ويتقسم الإبدال الصّرفي إلى قسمين: قياسي يستند إلى قوانين وضوابط تحكمه، وعدد أصواته محدودة وهي الهمزة والألف والتّاء والدّال والصّاد والطّاء والميم والهاء والسّواو والياء⁽³⁾، أمّا السّماعي فأصواته هي: الهمزة والتّاء والدّال والزّاي والطّاء والميم والنّون والهاء والياء⁽³⁾.

بينما الإبدال اللّغوي فدائرته أوسع لاشتماله على أصوات لا يشملها الضّرب الأوّل، وهو يختلف عن الإبدال الصّرفي، بحكم أنه غير مقيد بقواعد، فهو إقامة حرفٍ مقامِ حرفٍ مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة، ولا يكون الإبدال إبدالاً حقّاً إلّا إذا كان بين البديل والمبدل منه علاقة صوتية⁽⁴⁾. والإبدال اللّغوي مصدره السّماع والرّواية، لأنّه "يقتصر على التّقل والسّماع دون أن يكون قياساً يسمح للنّاطق بصوغ أمثلة جديدة في اللّغة فالدراسة في مادّته تقف عند حدود الجمع والوصف المقارنة والاستنتاج دون أن تتجاوز ذلك إلى قواعد قياسية إنشائية"⁽⁵⁾. والملاحظ في الدّراسات اللّغوية القديمة، أنّه كثيراً ما يلتبس الأمر بين مصطلحي الإبدال والقلب ويخلط بينهما، فالأوّل كما تقدّم معناه إقامة صوتٍ

(1) الإيضاح: 243.

(2) ينظر سر الصناعة: 69/1.

(3) الإبدال في اللغة العربية: 22.

(4) ينظر القراءات القرآنية: 73.

(5) ينظر المرجع نفسه: 73.

مكان صوت، أمّا القلب فالمراد به عند بعض اللّغويين أحياناً ظاهرة القلب المكاني، نحو: جَذَبَ وَجَبَدَ، وَبَكَلَ (*) وَلَبَكَ (1). وهو في عرف البلاغين قلب المعنى بتقديم بعض أجزاء الجملة، وتأخير بعضها الآخر، ومن اللّغويين من توسّع في استعمال مصطلح القلب، كما هي الحال عند سيويه الذي يدلّ به في بعض الأحيان على القلب المكاني (2)، وهو في موضع آخر يستعمل مصطلح القلب بمعنى الإبدال من ذلك قوله: "كما لم يمنع في السّماليق قلب السّين صاداً" (3).

والهدف من الإبدال التّخفيف، وما هو في الواقع إلّا لهجات وقعت على دلالات متّفقة، ومختلفة من حيث البنية التّركيبية، ولو بحرفٍ من أجل التّباين. فالأصوات حين تتجاور في التّركيب قد يكون تجاورها منسجماً ومتناغماً، وقد يكون بينها بعض التّنافر، فليس كلّ صوتٍ صالحاً لأن يجاور كلّ صوتٍ آخر في الكلمة (4). فإذا وجد تنافر بين صوتين كان الإبدال أحد السّبل إلى إزالته وإحلال الانسجام والتّوافق محلّه.

وفي الشّواهد التّالية المنتقاة من السّورة وقفة مع جوانب الصّنيع اللّغوية التي تبدل فيها هذه الأصوات.

يقع الإبدال قياساً في الوزن الصّري (افتعل) وشواهدة تؤكّد على أنّها أبدلت بقوة عامل المماثلة البصوتية "وقد تطرّقنا لهذا سابقاً"، إذ أنّ الأصوات تختلف في درجات تأثرها بما يجاورها من الأصوات في المخرج وكيفية الممر الهوائي حيث تتوزّع الأصوات حسب تلك المواقع إلى أصوات انفجارية أو أصوات احتكاكية وأصوات مركّبة، وأصوات مكرّرة وأصوات جانبية، وأصوات أنفية، وكذلك

(1) ينظر المزمهر: 476/1. (*) بكل ولبك بمعنى واحد والبكل: الخلط، ينظر اللسان مادة (بكل).

(2) ينظر الكتاب: 467/3.

(3) ينظر نفسه: 133/4.

(4) ينظر المناهج: 131.

حسب طبيعة اهتزاز الأوتار الصوتية إلى أصواتٍ مجهورةٍ وأصواتٍ مهموسةٍ⁽¹⁾.
 فقد حدث الإبدال في الفعل (اطَّلَعَ) في قوله تعالى: «لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
 فِي آرَاءِ»⁽²⁾، فالصَّيْغَةُ (اطَّلَعَ) أصلها: اطلع على وزن افتعل. ولما جاور في هذه الصَّيْغَةُ
 صوتٌ مطبق (الطاء) صوتًا منفتحًا (التاء) ونحن على علمٍ أن الإطباق هو ارتفاع
 مؤخر اللسان نحو آخر الحنك الأعلى وانطباقه عليه، مع تقعر وتراجع إلى الورا،
 ليكون حجرة رنين فينحصر الصوت ويخرج مفخمًا، أمّا الانفتاح فهو عكس
 الإطباق، إذ هو جري النفس لانفراج ظهر اللسان عند التطق بالصوت، وعدم
 انطباقه على الحنك الأعلى فالصَّفتان كما هو واضح متضادتان⁽³⁾.

وعند تجاور الصَّوتان في الكلمة لم يجد الناطق بدءًا من إبدال الصوت المنفتح
 صوتًا مطبقًا لتحقيق الانسجام بين الصَّوتين، ولم يحدث العكس، أي إبدال الصوت
 المطبق صوتًا منفتحًا "لأنَّ الصوت الأضعف يُردُّ إلى الأقوى ولا يُردُّ الأقوى إلى
 الأضعف"⁽⁴⁾. والأقوى في هذا الحال هو الصوت المطبق لأنَّ فيه فضلًا على الإطباق
 استعلاءً وتفخمًا، أمّا المنفتح فهو غالبًا مستفل ومرفق. والذي حدث في هذه
 الصَّورة من الإبدال الذي أنا بصدد تحليله، إبدال تاء الافتعال طاءً عندما تكون فاء
 الكلمة صوتًا مطبقًا، فاستثقل العرب هذا الأمر لصعوبة نطق صوتين متنافرين
 صعوبةً تصل إلى حدِّ التعذُّر، فأبدلوا من التاء صوتًا من مخرجها يوافق تلك
 الأصوات في الصَّيْغَةُ في الإطباق والاستعلاء، وذلك الصوت هو الطاء فحصل
 الانسجام بين فاء الصَّيْغَةُ وتائها، وزال الاستثقال، وتحقق التيسير المطلوب. وقد
 علَّل ابن يعيش إبدال تاء الافتعال طاءً بقوله: "والعلة في هذا الإبدال أن هذه

(1) علم الصرف الصوتي لعبد القادر عبد الجليل: 428-429.

(2) سورة الكهف: 18.

(3) ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل: 271.

(4) الإبدال اللغوي: 290.

الحروف مستعلية فيها إطباق، والتاء حرف مهموس غير مستعل فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاذه وينافيه، فأبدلوا من التاء طاءً لأنهما من مخرج واحد، ألا ترى أنه لولا الإطباق في الطاء لكانت دالاً... وهذا الإبدال وقع لازماً فلا يتكلم بالأصل" (1).

نرى أن الانسجام بين الأصوات قد تحقق بإبدال التاء طاءً فتحقق بالتالي التيسير المطلوب، غير أن العرب لم يكتفوا بهذا التيسير وطلبوا درجة أكبر، ذلك بإبدال تاء الافتعال صوتاً من جنس ما قبلها. وفي كلمة (اطلع) أدغمت الطاء الأولى السلكة في الثانية والإدغام ثاني مرحلة في هذه الصيغة.

كما يكثر بوجه خاص إبدال الضاد بالطاء والتي هي الصوت المطبق القسيم للطاء المهموسة (2).

ولا بأس من إيراد بعض النماذج من السورة، رأيت ضرورة تحليلها وتعليلها، ومنها قوله تعالى: «وَلَمَّا رُكِدَاتُ إِلَى رَبِّي» (3)، فالشاهد في هذه السورة إبدال التون راءً، فالنون صوت مجهور مائع مرقق ومستفل أغنّ، ينطق عندما يصل الهواء من الرئتين محرّكاً بالوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، حتى إذا وصل بعده هبط أقصى الحنك الأعلى فيسدّ بهبوطه فتحة الفم ويتسرّب الهواء من التجويّف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع (4).

وعليه فإنّ التون من أكثر الأصوات العربية تأثيراً بما يجاورها، ولهذا تعرّضت لظواهر صوتية مختلفة، كالإظهار والإدغام والقلب والإخفاء (5). والمقام هنا لا يتسع

(1) شرح المفصل: 46/10 و47.

(2) ينظر العربية ليوهان فك: 111.

(3) سورة الكهف: 36.

(4) ينظر الأصوات اللغوية: 68.

(5) ينظر الإتحاف: 46، والتيسير: 44، وشرح الشاطبية: 116.

لذكرها، وهي كثيرة الشبوع في العربية، والصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام، كان عرضة لظواهر تركيبية متنوعة تعتريه كالإبدال والإدغام، فهو يخضع لتغيرات تباينية تضبط وظيفته التشكيلية.

وما يهمنا هنا إبدال النون الساكنة عند مجاورتها لبعض الأصوات مثل الراء: حيث أبدلت واختفت مع بقاء العنة وأدغمت فيها وهذا يحدث خاصة في قراءة نافع⁽¹⁾. وبإبدالها وإدغامها انسجم الصوتان وزال التنافر وحصلت المشاكلة بينهما. وتحدث هذه التغيرات، أو هذا الإبدال مع أصوات تشبه النون، وهي أصوات ستة: النون والميم والراء واللام والياء والواو، والنماذج الواردة في السورة كثيرة، نحو قوله عز وجل: «أَلَنْ نَجْعَلَ»⁽²⁾ وقوله: «وَمَنْ يَهْدِ»⁽³⁾ وقوله أيضا: «وَقَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ»⁽⁴⁾.

الحذف:

وللعربية وسيلة أخرى للتخلص من أعباء المركبات الصوتية الثقيلة، فنجدها تلجأ إلى إجراء بعض التغيرات الصوتية لرفع هذا الثقل، كالحذف. والحذف في كلام العرب على ضربين: أحدهما عن علة فهو ما وجدت فيه كقولهم: يَعدُّ في يَوعِدُ الأصلية بحذف فاء الفعل والآخر عن استخفاف فلا يسوغ قياسه⁽⁵⁾.

والنوع الثاني هروبا من التضعيف لجأوا إلى الحذف استخفافا، وكان الأجدر

(1) ينظر الإتحاف: 47.

(2) سورة الكهف: 48.

(3) سورة الكهف: 17.

(4) سورة الكهف: 19.

(5) ينظر شرح الملوكي في التصريف: 333.

هم إبدال أحد المثلين، لأنه حسب رأي ابن جنّي: "أحسن وأسوغ، لأنه أقل فحشا من الحذف وأقرب"⁽¹⁾.

وتميل العربية إلى التّخلص من توالي المقاطع المتماثلة فتحذف واحداً منها، والمقاطع المتماثلة هنا، ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الصّامتة المتماثلة أو المتقاربة في المخارج، ويحدث ذلك في أوّل الكلمة، أو في وسطها أو في آخرها كما أنّ العربية تميل كذلك أحياناً إلى التّخلص من توالي الأصوات المتماثلة⁽²⁾.

ويعدّ بعض المستشرقين هذه الظاهرة من التّرخيم، إذ يقول أحدهم: "ومن التّرخيم ما هو جنس من التّخالف، وهو حذف أحد المقطعين المتتاليين، أو لهما حرفان مثلاً أو شبهان". وأمثال ذلك في القرآن عديدة، نحو: (يقتلونني) بدلاً من (يقتلونني)، واسطال بدلاً من استطال، واسطاع بدلاً من استطاع⁽³⁾.

ومن أمثلة الحذف في السّورة الفعل: استطاع، ومضارعه في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسطَاعُوا لَهُ نِيبًا﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَأُولِئِكَ مَا لِمَنْ لَسَطِ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾⁽⁵⁾.

يقول ابن السكّيت: "ويقال: ما أستطيع، وما أسطيع، وما أستطيع، بمعنى واحد"⁽⁶⁾. فالصيغة (اسطاعوا) وردت بحذف التّاء للخفة، لأن التّاء قريبة المخرج من الطّاء، وقرئ: (فما اسطاعوا) بقلب السّين صاداً، وأمّا من قرأ بإدغام التّاء في الطّاء فملاق بين ساكنين على غير المد⁽⁷⁾، وقال بعضهم استاع بحذف الطّاء، وقال

(1) ينظر الخصائص: 19/3.

(2) ينظر بحوث ومقالات في اللغة: 27.

(3) التطور النحوي: 70، وينظر التكملة: 209.

(4) سورة الكهف: 97.

(5) سورة الكهف: 82.

(6) ينظر بحوث ومقالات في اللغة: 47، نقلاً عن القلب والإبدال: 46.

(7) الكشف: 402/2.

بعضهم: أسطاع يسطيع، "فجعلها من القطع، كأنها أطاع يطيع، فجعل السّين عوضاً من إسكان الياء"⁽¹⁾، وقرأها نافع بالتخفيف والباقون أيضاً ما عدا حمزة الذي شدّد الطّاء⁽²⁾.

والظاهر أنّ سبب حذف التّاء من الفعل (استطاع) هو التقاء التّاء المنفتحة بالطّاء المطبقة القريبة من مخرجها، وهي وسيلة للهروب من ثقل اجتماع صوتين متنافرين، ونتيجة لترعة اللّسان العربي نحو التّسهيل والتّيسير والاقتصاد في الجهد العضلي.

هذه هي معظم الظواهر التركيبيّة التي تعتري الأصوات في السّياق، وقد حلّص جلال الدّين السيوطي كلّ هذه الحالات، فقال: "اجتماع الأمثال مكروه ولذلك يفرّ منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل، فمن الأوّل قالوا: في دَهْدَهْتُ الحجر، دهيت، قلبوا الهاء الأخيرة ياءً كراهة اجتماع الأمثال، وكذلك قولهم في: حَا حَا زيد، حيحازيد، قلبوا الألف ياءً لذلك. وقال الخليل: أصل (مهما) الشّرطية (ماما) قلبوا الألف الأولى هاءً لاستقباح التّكرير... وكذلك دينار ودياج وقيراط وديماس وديوان، أصلها دَنَار ودَبَاج وقَرَّاط، قلب أحد حرفي التّضعيف ياءً لذلك، ولَبَّى أصله لَبَّب، وقلبت الباء الثّانية، التي هي اللّام ياءً، هرباً من التّضعيف، فصار لَبَّى، ثم أبدلت الياء ألفاً، لتحركها وانتفاح ما قبلها، فصار: لبي ومن الثّاني حذف أحد مثلي ظَلَلْتُ وَمَسِسْتُ وَأَحْسَسْتُ، فقالوا: ظَلْتُ، وَمَسْتُ وَأَحْسَسْتُ..."⁽³⁾. وفي هذه القول إشارة واضحة للظواهر الصّوتية من مماثلة ومخالفة وإبدال وحذف إلى غير ذلك.

(1) ينظر معاني القرآن للأخفش: 399/2.

(2) ينظر التيسير: 119، وشرح الشاطبية: 284.

(3) الأشباه والنظائر: 18/1، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان (د.ط.).

التفخيم والترقيق:

تكاد تجمع كتب القراءات على أنّ التفخيم والترقيق من أكثر التغيرات التي اختلف فيها بين أهل الأداء، لأنّ العرب تستعمل نوعين من اللّام والراء، مفخمة ومرققة على أن الأصل فيهما الترقيق، ومن ثمة كان من اللازم عليهم وضع قواعد وقوانين تحدّد موقع اللّام من الحالتين عند دخولها في التشكيل.

والتفخيم لغة: من فَخِمَ ومنه فَخِمَ الشّيءُ فَخَامَةً، أي ضَخِمَ وَعَظُمَ، وَفَخِمَ الكلام، وَتَفَخَّمَهُ عَظْمَهُ⁽¹⁾.

وفسّره بعض الباحثين بأنّه ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلاه قليلاً في اتّجاه الطّبق اللّين، وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتّجاه الحائط الخلفي للحلق⁽²⁾.

والتفخيم ظاهرة صوتية تحدث كلّما استعلى اللسان نحو مؤخر الفم فيتشكّل تجويف الحلق والفم تشكيلة خاصّة تقوّي الاهتزازات المنخفضة فيصير جرس الصّوت غليظاً وثقيلاً أي مفخماً⁽³⁾، وأصواته هي أصوات الاستعلاء: الحاء، الصّاد، الضّاد، الطّاء، الظّاء، القاف، الغين، مضافاً إليها من أصوات الاستفال الراء واللام والألف في مواضع معيّنة⁽⁴⁾.

والترقيق صفة مقابلة للتفخيم، والرّقة لغة: نقيض الغلظ⁽⁵⁾، والأصوات العربية قبل التشكيل تميّز بترقيقها ما عدا السبعة المستعلية، إذ يجب ترقيق أصوات الاستفال مطلقاً سواءً كانت متحرّكة بالفتح أو الضّم، أو الكسر، أم ساكنة⁽⁶⁾، مل

(1) ينظر اللسان مادة (فخم).

(2) ينظر دراسة الصوت اللغوي: 279.

(3) ينظر مبادئ اللسانيات: 59.

(4) ينظر أحكام قراءة القرآن: 110.

(5) ينظر اللسان مادة (رقق).

(6) ينظر أحكام قراءة القرآن: 152.

عدا الرّاء واللام والألف في مواضع معيّنة⁽¹⁾.

فالألف تفخّم في مواضع معيّنة، ولتفخيم اللّام وترقيقها أحكام وشروط أقرّها القراء والنّحاة بالإجماع، لكن هذا لا يمنع من وجود بعض الاختلافات الطّيفة في القراءات القرآنية بين القراء، والسّبب هو تباين النّطق ببعض الحركات عند علماء التّجويد، وعليه فهذه الأحكام ليست مستقرّة ثابتة، فيمكن أن ينطق الصّوت بالترقيق والتّفخيم في كلمة واحدة، لكن تبقى الحجّة للأقوى، ولذوي التّعليل المقنع. وبناءً على هذا سنحاول أن نبسّط هذه الأحكام قدر الإمكان مع انتقاء الحكم السّديد الذي يوافق النّطق السّليم، دون أن نغلب رأياً على رأيٍ آخر، أو مذهباً في الأداء على غيره، إلاّ إذا تهيأ له من الدلائل ما يؤيّده ويقدمه على غيره.

1/ أحكام تفخيم وترقيق اللام عند القراء والنحاة:

لقد أثبتت الدّراسات التاريخية أن أحكام القراءة بما فيها ترقيق اللّام والرّاء وتفخيمهما، كانت أداءً عند القراء، لكن لم ينظروا لها، فأول من فعل ذلك هم النّحاة، ثمّ تبعهم القراء مستفيدين من عمل هؤلاء بعد القرن الثالث الهجري، وهنا يظهر التّفاوت بين الفريقين.

1- حكم اللّام في اسم الجلالة «الله»:

أ- تفخيمها: استقرّ الجمهور من العلماء على التّفخيم المطلق للام لفظ الجلالة عند الابتداء بالاسم، ذلك لأجل التّعظيم، ولتقدّم الفتحة همزة الوصل⁽²⁾، كقوله تعالى: ﴿قُلْ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمُ﴾⁽³⁾.

(1) ينظر أحكام قراءة القرآن: 110.

(2) ينظر النشر في القراءات العشر: 155/2.

(3) سورة الكهف: 26.

كما نصّوا على تفخيمها إذا سبقت بإحدى الحركات الخلفية كالفتحة المفخمة⁽¹⁾، والضمة والسبب هو أنّ هاتين الحركتين مفخمتان يكون خروجهما باستعلاء طرف اللسان اتجاه وسط الحنك الأعلى مع ارتداء مؤخرته إلى الخلف لتتصل بالحلّق، ممّا يوجب تفخيم الصّوت الذي يليهما. ووجود العارض كالسكون بين الحركتين، لأنّ السكون مانع غير حصين⁽²⁾، يبقى اللّام على حال التفخيم.

ب- ترقيقها: أمّا إذا سبقت بكسرٍ سواء كانت الكسرة أصلية أو عارضة للتخلّص من التقاء الساكنين فإنّه يوجب ترقيقها⁽³⁾، لأنّ الكسرة تمنع التفخيم بوصفها حركة أمامية يستفل اللسان معها إلى قاع الفم، ممّا ينتج عنه اجتذاب اللّام اجتذاباً قوياً إلى الأمام، بنقل حركتها من الفتح المفخّم إلى الفتح المرقّق، لأنّ التفخيم لا يحدث في الأمام، وإتّما يحدث في الخلف، ومن الأمثلة القرآنية قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾⁽⁴⁾.

2- حكم اللّام في غير لفظ الجلالة :

- تفخيم اللّام في لفظ غير الجلالة إذا كانت اللّام نفسها مفتوحة، مخففة كانت أو مشدّدة⁽⁵⁾، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾⁽⁶⁾.

- أن تكون اللّام مفتوحة غير ممالّة وقبلها أحد الأصوات المستعلية مفتوحة كانت، أو ساكنة⁽⁷⁾، ولا سيما المطبقة منها كالصّاد والطاء والظّاء. وما يحدث مع هذه

(1) ينظر التيسير في القراءات السبع: 53.

(2) ينظر التوضيح لرواية ورش عن نافع: 142.

(3) ينظر النشر في القراءات العشر: 115/2، وشرح الشاطبية: 139.

(4) سورة الكهف: 1.

(5) ينظر المختصر الجامع لأحكام رواية ورش: 27.

(6) سورة الكهف: 6.

(7) ينظر المختصر الجامع لأحكام رواية ورش: 27.

الأصوات هو أنها مفخمة مطلقاً، تؤثر في الصوت الذي يليها، فتكسبه صفة التّفخيم. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾⁽¹⁾. والصّدق في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوا وَمَا صَلَبُوا وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾⁽²⁾، ومن أمثلة الظّاء قوله: ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾⁽³⁾.

أمّا ما كانت فيه اللّام مضمومة وسبقت بصوت استعلاء، فحكمه حكم اللّام المفتوحة، لأنّ الأصل في الضّم التّفخيم، إلّا أنّه لم يرد في الكتب تفصيلاً في ذلك عدا بعض الإشارات الخفيفة غير الشّافية. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَمَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾⁽⁴⁾.

لكن إذا كسر صوت الاستعلاء أو صوت اللّام زال التّفخيم وردّت اللّام إلى أصلها⁽⁵⁾. وسبب التّريق مع الكسر سبقت الإشارة إليه.

3- ما جاز فيه الوجهان مع تغليب التّفخيم :

اختلف أهل الأداء في قراءة بعض الكلمات بالتّفخيم والتّريق ومن أمثلة ذلك: - اختلافهم فيما وقع فيه بعد اللّام المفتوحة ألف ذات ياء، وكانت اللّام نفسها مسبوقة بحرف استعلاء⁽⁶⁾، كقوله تعالى: ﴿يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾⁽⁷⁾. فالحجّة لمن رققها أنّه أمال "يَصَلِّي"، والإمالة والتّفخيم ضدّان لا يجتمعان⁽⁸⁾، والحجّة لمن فخمها هو حكم مجاورتها لصوت الاستعلاء.

(1) سورة الكهف: 18.

(2) سورة مريم: 157.

(3) سورة الزخرف: 17.

(4) سورة البرق: 19.

(5) ينظر النشر في القراءات العشر: 119/2.

(6) ينظر المرجع نفسه: 114-113/2.

(7) سورة الأعلى: 12.

(8) ينظر النشر: 114-113/2.

- اختلافهم فيما وقعت فيه اللام مفتوحة طرفاً وسبقتها هذه الأصوات الثلاثة، ووقف عليها بالسكون⁽¹⁾، كقوله تعالى: «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»⁽²⁾. فلمن قرأها بالترقيق دلالة على حكم الوقف وفي التفتيح دلالة على حكم الوصل⁽³⁾. والحكم نفسه ينطبق على ما وجد فيه فاصل بين اللام و بين هذه الحروف الثلاثة.

وما استحسان القراءة باللام المفخمة في القرآن الكريم إلا دليل على فونيميتها.

2/ أحكام تفتيح وترقيق الراء عند القراءة والنحاة :

أما الراء فتفخّم إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، سواءً أكانت في أول الكلمة، أو متوسطة أو متطرّفة، مثل قوله عزّ وجلّ: «هَذَا آفِرَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنِكَ»⁽⁴⁾. وإن كانت مكسورة وجب ترقيقها سواءً أكانت في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، نحو: «عَلَى آثَارِهِمْ»⁽⁵⁾، وقوله أيضاً: «وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا»⁽⁶⁾...⁽⁷⁾

وأما الراء الساكنة فتفخّم إذا سبقت بفتحة، مثل: «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ»⁽⁸⁾. أو ضمة، مثل قوله: «فَأَوْوِا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ»⁽⁹⁾.

(1) التيسير في القراءات السبع: 53.

(2) سورة البقرة: 27.

(3) ينظر النشر: 114/2.

(4) سورة الكهف: 78.

(5) سورة الكهف: 6.

(6) سورة الكهف: 10.

(7) ينظر أحكام قراءة القرآن: 155.

(8) سورة الكهف: 19.

(9) سورة الكهف: 16.

وترقق إذا سبقت بكسرة لازمة مثل قوله عز وجل: ﴿وَيَهَيِّئُ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا﴾⁽¹⁾، وإذا وليها حرف استعلاء فلا خلاف في تفخيمها⁽²⁾، مثل: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾⁽³⁾.

ويرى الدارسون أنّ صفة التّفخيم كالأطباق صفة قوّة في الصّوت اللّغوي. ويسمّي ابن سينا اللّام المفخّمة بالمطبقة، لأنّه يصاحبها في أثناء التّطوق بها ما يصاحب الأصوات المطبقة، فهي بالنّسبة إلى اللّام المرقّقة كنسبة الطّاء إلى التّاء⁽⁴⁾.

(1) سورة الكهف: 16.

(2) ينظر المسألة في دراسة نشرت تحت عنوان: "الراء في العربية دراسة صوتية" لادوار بوحنا: 80، مجلة اللسان العربي، المجلد 17، ج 1.

(3) سورة الكهف: 19.

(4) ينظر رسالة أسباب حدوث الحروف: 91.

الخاتمة:

كانت هذه هي رحلتي مع موضوع: " البناء الصّوتي في سورة الكهف، دراسة صوتية وتشكيلية " تتبعت فيه دراسة الأصوات العربية في حال انتزاعها من التركيب، وفي حال تألفها مع بعضها البعض في سياقات صوتية مختلفة. إرادة التعرّف على البنية الصّوتية للكلمة العربية.

وقد أفضت بي الدّراسة إلى جملةٍ من النتائج أعرضها فيما يلي :

*1 استطاع اللّغويون القدامى بما امتلكوا من القوّة والتمكّن والوضوح ودقّة الملاحظة، الوصول إلى العديد من النتائج المحمودّة فرغم تناثر دراساتهم وقتّها، فإنّها لا تزال تعدّ مفخرة في ميدان علم الأصوات.

*2 نظرية الوحدة الصّوتية أو الصّوت اللّغوي لم تكن حكراً على المدرسة الغربيّة الحديثة، ففي تراثنا الصّوتي ممّا يتعلق بها كما أشار القدامى إلى معظم النظريات الحديثة التي تناولت الفونيم بالتفسير.

*3 إن الأصوات الصّائتة (الحركات) من أكثر الأصوات استخداماً، ويأتي بعدها الأصوات المائعة لسهولة استخدامها ووضوحها السّمي.

*4 القرب أو البعد في مخارج الأصوات أثناء البناء، هي محور الفكرة التي تلاقي عندها البلاغيّون واللّغويين . غير أن اللّغويين قد بحثوا في هذا المجال بحثاً أكثر توسّعاً في كلّ ما يتّصل بمخارج الأصوات، وذلك من حيث السّهولة والعسر والجمال والقبح، وتلقف العلم الحديث نتائج هذه الدّراسات ونماها وزاد عليها .

*5 ليس قرب مخارج الأصوات أو بعدها هو السّبب الوحيد للثقل أثناء تألف الأصوات وإنّما يوجد عوامل أخرى له، كما أنّ للصّوائت (الحركات) دخل في

بناء الكلمة، وتتفاوت مراتبها خفةً وثقلاً، فالفتحة أخفّ الحركات، تليها الكسرة فالضمة.

*6 حدّد اللّغويون أصواتاً بعينها تسهل في النطق، وأخرى تحسن في التّركيب، وثالثة لا يجب أن تقع في التّركيب، وهي الأصوات ذات المخرج الواحد، ولا سيما أصوات الحلق التي يؤدّي قربها في بناء الكلمة إلى الثقل في النطق.

*7 كثرة انتشار المقاطع الثلاثة الأولى في العربية أي انتشار المقطع القصير المفتوح (ص ح)، والمتوسّط المغلق (ص ح ص)، والمتوسّط المفتوح (ص ح ح).

*8 لم يتعامل القدامى مع المقاطع، وظاهرتي التبر والتنغيم تعامل الشارحين المفسرين لأسبابها ونتائجها وإنما تعاملوا معها، من حيث وظيفتها في المعنى. فكانوا يتحسّسون تقسيم كلامهم إلى مقاطع مع الضّغط على واحدٍ منها، لكنهم لم يقفوا عند تعليقه.

*9 إنّ نظام المقاطع في اللّغة العربية أساس لفهم كثيرٍ من الظواهر اللّغوية والتي تبني عليها الأعمال الأدبية الكبرى، فالقراءات المتعدّدة لا يجب أن تهمل جانباً من العلم فالكلّ وحدة متكاملة متلائمة.

*10 إنّ محاولة نفي وجود التنغيم عند القدامى من طرف الباحثين، وكان من الأولى عليهم أن يجتهدوا في تعاملهم مع الظاهرة، لأنّ الاستعمال هو الكاشف الحقيقي لوجود الظاهرة، فعدم معالجتهم لا يلغي وجودها.

*11 يجب إعادة قراءة الكثير من المواضيع وفق المنهج الصّوتي التنغيمي، فالجملة المكتوبة تتعدّد مفاهيمها ودلالاتها بمجرد نطقها، فمن الإحاف أن نلزم جملةً أو كلاماً معاني لا نقصدها.

*12 ظاهرة المماثلة ظاهرة صوتية-صرفية تهدف أساساً إلى التخلّص من ثقل الأصوات المتجاورة وتنافرها في الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتجاورتين لغرض

تحقيق الانسجام والتوافق بين الأصوات والاقتصاد في الجهد العضلي، يضاف إليها الإبدال والمخالفة، وغير ذلك ...

¹³* تنوع سبب حدوث الظواهر الصوتية التركيبية بين تحليل نفسي وتحليل صوتي، فالنفسى يتمثل في الإسراع في الحركات، وأما الصوتي فارتكز أساساً على قانون الأقوى أي أن يتميز الصوت المؤثر بقوة ذاتية أو قوة موقعية أو هما معاً.

¹⁴* تناول النحاة القدامى ظاهرة المماثلة بشكلٍ عامٍ وواسعٍ، وجوزوا في الإطلاق مصطلحاتٍ صوتيةٍ للمعنى الواحد أحياناً، إيماناً بوجود فروقٍ دقيقةٍ بين المسميات، فما سمّوه إدغاماً يعدّ في عرف المحدثين مماثلة تامة، وما سمّوه مضارعة يعدّ في عرفهم مماثلة ناقصة... أما سكوتهم عن مصطلح المماثلة وهو مصطلح حديث يستجمع أطراف الظاهرة تامة كانت أم ناقصة فيبرزه قول من قال: لا مشاحة في الإصلاح إذا عرفت الحقائق، فيكون ذلك رداً وجيهاً ينصف القدامى، وينفي عنهم صفات عدم التوسّع وعدم التفصيل والتدقيق.

والله من وراء القصد، عليه توكلت، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم - رواية ورش عن نافع

1- أبحاث في أصوات العربية، لحسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد 1998.

2- الإبدال في اللغة العربية، لموادي عبد الحفيظ طالي، رسالة ماجستير، جامعة حلب، 1410هـ، 1990م.

3- الإبدال والمعاقبة والنظائر، لابن إسحاق الزجاجي، تحقيق: عز الدين التبوخي، (د.ط) دمشق، 1381هـ، 1962م.

4- إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لعبد الغني الدمياطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1998م/1419هـ.

5- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، 1974.

6- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي وبأسفله الصحائف، إعجاز القرآن للباقلاني دار المعرفة (دط، دت).

7- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، لمسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة - دمشق، 1982.

8- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصابور شاهين - مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، 1408هـ/1987م.

9- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، ضبط نصه وعلق عليه محمد طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط3، 1417هـ/1997م.

10- أدب الكاتب، ابن قتيبة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان، (دط، دت).

- 11- أسباب حدوث الحروف، للشيخ الرئيس ابن سينا، تحقيق: حسان الطيان ويحيى مير علم، مراجعة: شاكر الفحام وأحمد راتب النفاخ، ط1، 1983م.
- 12- أسس علم اللغة، لماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، ط3، 1987م.
- 13- الأشباه والنظائر، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت (دت، دط).
- 14- الأصوات لكمال بشر، دار المعارف - مصر، 1975م.
- 15- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، 1971م.
- 16- الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر - الأردن، ط1، 1998م/1418هـ.
- 17- أصوات اللغة، عبد الرحمان أيوب، دار التأليف، ط1.
- 18- أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة ط3، 1416هـ/1996م.
- 19- الأصول: دراسة استمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، تمام حسان، دار الثقافة - المغرب، ط1، 1401هـ/1981م.
- 20- الأصول في النحو لابن السراج تحقيق عبد الحسن الفتلي مؤسسة الرسالة - بيروت ط1، 1405هـ/1985م.
- 21- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرمة، عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1979.
- 22- إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق أحمد صقر، دار المعارف ط5 - القاهرة.
- 23- الأعلام، خير الدين الزركلي (د.ط) الطبعة الثالثة.
- 24- الألسنية العربية، لريمون طحان، المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللبنانية - بيروت.
- 25- البحث اللغوي عند العرب، لأحمد مختار عمر، دار الكتب - القاهرة، ط4، 1982.
- 26- البحث اللغوي عند الهنود، لأحمد مختار عمر، دار الثقافة بيروت 1972.
- 27- بحوث ومقالات في اللغة، الرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م.

- 28- البحر المحيط، لأبي حيان، د.ط، د.ت
- 29- البنية اللغوية في اللهجة الباهلية: دراسات في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء- الأردن.
- 30- البنية اللغوية لبردة البويصري، لرابح بوحوش، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر.
- 31- بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت.
- 32- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط5، 1985م.
- 33- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط2، دار المعارف - مصر.
- 34- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف - مصر، 1975م.
- 35- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية - تونس، 1984م.
- 36- التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط3، 1410هـ/1990م.
- 37- التطور النحوي للغة العربية، لبرجستراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1406هـ/1982م.
- 38- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 39- التكملة في الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1984م.
- 40- التنافر الصوتي والظواهر السياقية، لعبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع - مصر، ط1، 1419هـ/1999م.
- 41- التنوعات اللغوية، لعبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء - الأردن، ط1، 1417هـ/1997م.

- 42- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار القومية العربية للطباعة - مصر، 1384هـ/1964م.
- 43- التوضيح لرواية ورش عن نافع، لمحمد بن موسى الشرويني الجداوي، دار همومة - الجزائر، ط₂، 1997م .
- 44- التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان الداني، تحقيق: أوتيرير تزل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط₁، 1416هـ/1996م.
- 45- الجامع في اللغة العربية، لنايف سليمان وخالد فلاح وعادل جابر، دار الصفاء - الأردن، ط₄، 1416هـ/1996م .
- 46- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405هـ/1985م .
- 47- الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق: علي توفيق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط₅، 1417هـ/1996م.
- 48- جمهرة اللغة، لابن دريد، دار صادر - بيروت، 1351هـ .
- 49- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، ط₄، 1401هـ/1981م.
- 50- الحصيلة اللغوية، أحمد محمد المعتوق، عالم المعرفة - الكويت، 1417هـ/1996م .
- 51- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي - بيروت، (د.ط، د.ت).
- 52- دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتينو، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، نشرات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية - تونس، 1966م.
- 53- دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، ط₃، 1405هـ/1985م .
- 54- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين - بيروت، ط₅، 1973م.
- 55- دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشروق العربية - بيروت، ط₄، (د.ت).

- 56-الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع، لأحمد نصيف الجنابي، مكتبة دار التراث - القاهرة، 1977م.
- 57-الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، لحسام سعيد النعيمي، (د.ط، د.ت).
- 58-الدراسات العملية في علم وظائف الأعضاء العام، لصبحي عمران شلش، مؤسسة المجلس الأعلى العربي - الجزائر، 1992.
- 59-الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، لذكريا محمد الأنصاري الشافعي، تحقيق: نسيب شناوي - دمشق، 1980، (د.ط).
- 60-دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط2، 1963م.
- 61-الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، عبد القادر عبد الخليل، دار الصفاء - الأردن، ط1، 1417هـ/1997م.
- 62-رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار بيروت للطباعة - بيروت، 1983م.
- 63-الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية - دمشق ن 1393هـ/1973م.
- 64-سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم - دمشق، ط1، 1985/1405م.
- 65-سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي، شرحه وصححه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح - القاهرة، 1389هـ/1969م.
- 66-شرح شافية بن الحاجب، الأسترابادي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، 1402هـ/1982م.
- 67-شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لابن لجزري، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.
- 68 شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبي - القاهرة (د.ت).
- 69-الصوتيات لبارتيل مالميرج، ترجمة: محمد حلمي هليل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية - القاهرة، 1994م.

- 70- ظاهرة التنوين في اللغة العربية، لعوض المرسي جاهاوي، مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي - الرياض، ط¹، 1403هـ/1982م.
- 71- العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ليوهان فوك، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - مصر، 1400هـ/1980م.
- 72- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، شركة الشرق الأوسط للطباعة - الأردن، ط¹، 1998م.
- 73- علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مذكور، دار الثقافة للنشر، 1987م.
- 74- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة - القاهرة، (د.ط).
- 75- علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات - الكويت.
- 76- علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة - القاهرة 1980م.
- 77- علم اللغة في القرن العشرين، لجورج موانان، ترجمة: نجيب غزاوي، سلسلة الكتب العلمية - سوريا، 1982.
- 78- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، - حلب، 1415هـ/1994م.
- 79- علم وظائف الأصوات اللغوية (الفنولوجيا)، لعصام نور الدين، دار الفكر - بيروت، ط¹، 1996م.
- 80- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: المهدي مخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر - العراق، 1980، ومطابع الرسالة - الكويت.
- 81- غرائب اللغة العربية، للأب روفائيل نخلة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية - بيروت، ط².
- 82- فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط³، 1408هـ/1987م.
- 83- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ملتزم الطبع والنشر، ط⁶، 1968م.

- 84- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة، ط ٥، (د.ت).
- 85- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية - بيروت، 1979م.
- 86- فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين - بيروت، 1968م.
- 87- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق: أمين نسيب، دار الجليل - بيروت،
1418هـ/1998م.
- 88- في علم اللغة العام، عبد الصابور شاهين، مطبوعات جامعة حلب - سوريا، 1982م.
- 89- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأجلو المصرية - القاهرة، ط ٥، 1995م.
- 90- في اللهجات العربية القديمة، إبراهيم السامرائي، دار الحدائث للطباعة - بيروت، ط ١،
1994م.
- 91- الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، تحقيق: مصطفى الشويخي، الدار التونسية للنشر -
تونس، 1405هـ/1985م.
- 92- فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، تعريب: رمضان عبد التواب، دار النشر،
1977م.
- 93- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصابور شاهين، مكتبة الخانجي -
القاهرة.
- 94- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار
الجيل - بيروت، ط ١، 1411هـ/1991م.
- 95- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة
- بيروت.
- 96- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف
بجاسي خليفة، دار الفكر - بيروت، 1402هـ/1982م.
- 97- الكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ط ١،
1404هـ/1984م.
- 98- لسان العرب لابن منظور، دار صادر للطباعة، دار بيروت للطباعة -

بيروت، 1374هـ/1955م

99- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة - المغرب.

100- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة - الأردن، ط1،

1401هـ/1981م.

101- اللغة لفندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو

المصرية - القاهرة، 1950م.

102- اللغة والتواصل عبد الجليل مرتاض، دار همومة، الجزائر

103- اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب - تونس،

1398هـ/1978م.

104- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، مكتبة المعارف - الرياض، ط1

1420هـ/1999م.

105- اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، ط2 - القاهرة،

1414هـ/1993م.

106- مبادئ علم اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط2،

1419هـ/1999م.

107- مبادئ في اللسانيات، حولة طالب الإبراهيمي، دار القصبه للنشر - الجزائر، 2000.

108- مبادئ علم الأصوات العام، ديفيدا بروكرومي، ترجمة: محمد فتيح، كلية دار العلوم -

القاهرة، ط1، 1988م.

109- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: علي

النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل - القاهرة 1414هـ/1994م.

110- محاضرات في الألسنية العامة، فردينان دوسوسير، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر،

المؤسسة الجزائرية للطباعة - الجزائر، 1986م.

111- محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية زبير دراقي - الجزائر.

112- المختصر الجامع لأحكام رواية ورش عن نافع، علي أقاسم، منشورات روضة القرآن

- وهران، 1994م .

113- المدخل إلى علم الأصوات، دراسة مقارنة، صلاح الدين صالح حسنين، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ط₁ ، 1981م .

114- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط₁ ، 1982م .

115- ما ذكره الكوفيون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافي ، تحقيق : صبيح التميمي ، دار الشهاب - باتنة ، الجزائر .

116- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العربية صيدا - بيروت، 1986م .

117- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، محمد رشاد الحمزاوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، 1987م .

118- مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي، آمنة بن مالك، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر .

119- المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب، المهدي بوروبة ، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ، 1981م ، جامعة حلب .

120- المعجم العربي نشأته وتطوره ، حسين النصار ، دار مصر للطباعة - مصر .

121- معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم ، وأحمد مختار عمر ، ط₁ ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1402هـ/1982م .

122- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث - لبنان ، (د.ت ، د.ط).

123- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، لأبي منصور الجواليقي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط₂ ، مطبعة دار الكتب - الكويت ، 1385هـ/1969م .

124- معاني القراءات ، للأزهري ، تحقيق : الشيخ أحمد فريد المزبدي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط₁ ، 1420هـ/1999م .

- 125- معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق : فائز فارس ، ط₂ ، 1401هـ/1981م .
- 126- معاني القرآن ، للفراء ، عالم الكتب - بيروت ، ط₃ ، 1403هـ/1983م .
- 127- المفصل في علم العربية ، لأبي القاسم الزمخشري ، دار الجليل - بيروت ، ط₂ ، دت .
- 128- المقتضب ، لأبي العباس المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم الكتب - بيروت ، (دط ، دت) .
- 129- مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ضبطه وشرحه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط₁ ، 1403هـ/1983م .
- 130- الممتع في التصريف ، لابن عصفغور الإشبيلي ، ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار المعرفة - بيروت ، ط₁ ، 1407هـ/1987م .
- 131- مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، دار الثقافة - المغرب ، 1974م .
- 132- المنصف : شرح الإمام أبي الفتح بن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني ، تحقيق : إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، وزارة المعارف العمومية ، ط₁ ، 1373هـ/1954م .
- 133- موسيقى الشعر ، لإبراهيم أنيس ، ط₅ ، 1982م ، د.ط .
- 134- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع ، للشيخ سيدي إبراهيم المارغيني ، دط ، دت .
- 135- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، تصحيح : محمد الضباع ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- 136- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط₁ ، 1418هـ/1998م .
- 137- نصوص في فقه اللغة ، للسيد يعقوب بكر ، دار النهضة العربية - بيروت ، دط ، 1976م .
- 138- نظريات في اللغة ، أنيس فريجة ، المكتبة الجامعية - دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ط₁ ، 1973م .

- 139-النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: محمد خلف الله،
ومحمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر، ط₂، 1387هـ/1968م .
- 140-همع الهوامع وشرح جمع الجوامع في اللغة العربية، للسيوطي، مكتبة الكليات
الأزهرية - القاهرة، ط₁، 1327م.
- 141-الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، منشورات دار الشرق - بيروت، ط₂، .
- المجلات والدوريات :
- 1-المجلة العربية للعلوم الإنسانية تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المقال
لـ: محمد السيد سليمان العيد. العدد 36، المجلد 09، 1989.
- 2-مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب - الرباط، المغرب، المقال لـ: إدوارد يوحنا،
الجزء الأول، المجلد 17، 1399هـ/1979م .
- 3-مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب - الرباط، المقال لـ: عبد الرحمن أيوب،
الجزء الأول، المجلد 16، 1398هـ/1978م .
- 4-مجلة مجمع اللغة العربية - دمشق، الجزء الرابع، المجلد 39، 1415هـ/1994م، مطبعة
الصباح، المقال لـ: محمد حسن الطيبان.

المراجع الأجنبية :

- 1-An Outline of english phonetics -Daniel Jons- Cambridge, 1957
2-Dictionnaire de linguistique, Duboi et les autres la rousse 94 .
3-Eléments de linguistique générale -André Martimet, Arnand Colin- Paris.
4-Que sais-je ? La phonologie --Jean Houis Duchet- Dar el Fikr.
5-Principes de phonologie -N.S. Troubetz koy- Editions Klinck sieck -Paris, 1986,
traduit par : J. Cantineau.

فهرس الموضوعات

- الإهداء.
- شكر وتقدير.
- الرموز المستعملة.
- المقدمة.
- المدخل: ماهية الدرس الصوتي عند العرب 1
- الجهود الصوتية عند العرب القدماء 3
- 1 الجهود الصوتية عند النحاة واللغويين 4
- 2 الجهود الصوتية عند الأدباء والحكماء والفلاسفة 13
- 3 الجهود الصوتية عند القراء وعلماء التجويد والمفسرين 18
- جهود العرب المحدثون 21
- * الفصل الأول
- الدراسة الصوتية لآيات سورة الكهف 23
- المبحث الأول : الطبيعة الصوتية لأصوات العربية 24
- تعريف الصوت اللغوي 25
- الطبيعة الصوتية للصوامت 30
- 1. مخارج الصوامت 30
- 2. صفات الصوامت 37
- 2.1. الصفات المزدوجة 38
- 2.2. الصفات الأحادية 53

59	الطبيعة الصوتية للصوائت
59	أولاً: مخارجها وصفاتها
61	1. المخرج
63	2. الصفات
66	المبحث الثاني : البناء الصوتي للكلمات في السورة
67	قواعد تأليف الأصوات في العربية
82	-الدراسة الإحصائية لأصوات السورة
	* الفصل الثاني
96	البناء المقطعي لآيات السورة والظواهر فوق التركيبية
97	المبحث الأول: البناء المقطعي لآيات السورة
99	-معالجة المقطع عند العرب القدماء
103	-مفهوم المقطع
109	أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية
111	1. تقسيم المقاطع العربية من حيث الكمية
112	2. تقسيم المقاطع العربية من حيث الشكل
114	مميزات المقطع في اللغة العربية
117	الدراسة الإحصائية لمقاطع السورة
120	تحليل
125	المبحث الثاني: الظواهر فوق التركيبية
126	-النبر
133	1. تعريف النبر
137	2. قواعد نبر الكلام في العربية

139.....3. انتقال النبر

141.....-التنغيم

144.....1. النغمة

147.....2. التنغيم

151.....3. التطبيق نقد وتقويم

* الفصل الثالث

157.....الدراسة التشكيلية للسورة أو التغيرات التركيبية

168.....صور المماثلة الواردة في السورة

174.....1. مماثلة تقديمية

179.....2. مماثلة رجعية

174.....صور المماثلة بين الصّوامت

174.....1. المماثلة التقديمية الكلية المتصلة

177.....2. المماثلة التقديمية الكلية المنفصلة

177.....3. المماثلة التقديمية الجزئية المتصلة

178.....4. المماثلة التقديمية الجزئية المنفصلة

179.....5. المماثلة الرجعية الكلية المتصلة

188.....6. المماثلة الرجعية الكلية المنفصلة

189.....7. المماثلة الرجعية الجزئية المتصلة

189.....8. المماثلة الرجعية الجزئية المنفصلة

190.....صور المماثلة بين الصّوائت في السورة

190.....1. المماثلة التقديمية الكلية المتصلة

191.....2. المماثلة التقديمية الكلية المنفصلة

192.....	3.المماثلة التقديمية الجزئية المتصلة
193.....	4.المماثلة التقديمية الجزئية المنفصلة
195.....	5.المماثلة الرجعية الكلية المتصلة
196.....	6.المماثلة الرجعية الكلية المنفصلة
197.....	7.المماثلة الرجعية الجزئية المتصلة
199.....	8.المماثلة الرجعية الجزئية المنفصلة
200.....	صور المخالفة الصوتية في السورة
200.....	-المخالفة
205.....	الإبدال
210.....	الحذف
213.....	التفخيم والترقيق
214.....	1/ أحكام تفخيم وترقيق اللام عند القراءة والنحاة
214.....	1. حكم تفخيم اللام في اسم الجلالة
215.....	2. حكم اللام في غير لفظ الجلالة
216.....	3. ما جاز فيه الوجهان مع تغليب التفخيم
217.....	2/ أحكام تفخيم وترقيق الراء عند القراءة والنحاة
219.....	- الخاتمة
222.....	- قائمة المصادر والمراجع
233.....	- فهرس الموضوعات